

مِائَةُ الْعُقُولِ

تَرْغِيْلُ اِيْخَارِ اَلرَّسُوْلِ

بِكِتَابِ

اَلْاِمَامِ اَبِي اَبِي اَسْمَاءَ اَلْمَدَنِيِّ

ص ١٠٠

اَلْمَدَنِيُّ

مِرَاةُ الْحَقُولِ

فِي شَرْحِ أَخْبَارِ آلِ الرَّسُولِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَجْلِسِيُّ (رحمته الله)

شَرَحَهُ كَامِلُ الْإِسْلَامِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْكَلْبِيُّ الْمُبْتَوِيُّ فِي سَنَةِ ١٣٢٨ هـ

الجزء السابع

حقوق الطبع محفوظة

للمناشر

الطبعة الثالثة

١٢، ١٤ هـ ق

١٥، ١٣ هـ ش

* نام کتاب: مرآة العقول جلد ٧

* تأليف: علامه مجلسي

* ناشر: دارالكتب الاسلاميه

* تيراژ: ١٠٠٠ نسخه

* نوبت چاپ: سوم

* چاپ از: خورشيد

* تاريخ انتشار: ١٣٧٠

آدرس ناشر: تهران - بازار سلطاني - دارالكتب الاسلاميه

تلفن: ٥٢٠٤١٠ و ٥٢٧٤٤٩

مِرَاةُ الْحَقُولِ

إِخْرَاجُ وَمُقَابَلَةُ وَتَصْحِيحُ
السِّيَرَةِ شُعْلَا السُّرُوحِ

بِنَفَقَةٍ
دَارُ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ
لِصَلَحِهَا الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْأَخْوَيْدِي

تهران - بازار سلطانی

تلفن ۵۲۰۴۱۰

جداً خالداً لوليّ النعم حيث أسعدني بالقيام بنشر
هذا السفر القيم في الملأ الثقافي الديني بهذه الصورة الرائعة .
ولروّاد الفضيلة الذين وازرونا في انجاز هذا المشروع المقدّس
شكر متواصل .

الشيخ محمد الاخو ندى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافي]

[تصنيف الشيخ أبى جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ره)]

﴿ باب ﴾

﴿ طينة المؤمن والكافر ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة

الحمد لوليّه والصلوة على خير البرايا محمد وعترته ، وبعد : فهذا هو المجلد الرابع من كتاب مرآة العقول لبيان مافى الكافي من أخبار آل الرسول ممّا ألفه أفقر العباد إلى غفران ربّه الغنى : محمد باقر بن محمد تقى عفى الله عن جرائمهما .

قال قدس الله روحه أو بعض رواة كتابه : كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافي تصنيف الشيخ أبى جعفر محمد بن يعقوب الكليني رضى الله عنه وأرضاه .

أقول : تلك الفقرات لم تكن في بعض النسخ ، والظاهر أنّه من كلام رواة الكافي وقدّم الايمان على الكفر لانه الاصل والاهمّ أولاته وجودى كما قيل ، وفى القاموس كلين كأمير قرية بالرى منها محمد بن يعقوب الكليني من فقهاء الشيعة ، انتهى .

وقد يقال : كلين كزبير أيضاً قرية بالرى ، ومحمد بن يعقوب منها ، كذا سمعت بعض المشايخ يذكر عن أهل الرى .

« باب طينة المؤمن والكافر »

الحديث الاول : مرسل .

عليين : قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين : قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحنُّ إلى ما خلقوا منه و

قوله : خلق النبيين ، الخلق يكون بمعنى التكوين وبمعنى التقدير ، وفي النهاية : طين عليه اى جبل ويقال : طانه الله على طينته ، أى خلقه على جبلته وطينة الرجل خلقه وأصله ، وقال : عليون إسم للسماء السابعة وقيل : اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، وقيل : أراد أعلى الامكنة وأشرف المراتب واقربها من الله تعالى فى الدار الآخرة وتعرب بالحروف والحركات كقنسرين وأشباهها على أنه جمع أو واحد ، انتهى .

وإضافة الطينة إما بتقدير اللام أو من أوفى « قلوبهم وأبدانهم » بدل النبيين . ويعتدل أن يراد بالقلب هنا العضو المعروف الذى يتعلق الروح أولاً بالبخار المنبعث منه ، فلا يناق ما مرَّ في باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين وأرواحهم مخلوقة من فوق ذلك على أنه لو أريد به الروح أمكن الجمع بجعل الطينة مبدأ لها مجازاً باعتبار القرب والتعلق ، أو بتخصيص النبيين بغيره صلى الله عليه وآله .

ويؤيده خبر ابن مروان ، وفي القاموس : سجين كسكين موضع فيه كتاب الفجر و واد في جهنم أو حجر في الارض السابعة ، وفي النهاية إسم علم للنار . فعيل من السجن .

قوله : فخلط بين الطينتين ، أى في بدن آدم عليه السلام فلذا حصل في ذريته قابلية المرتبتين واستعداد الدرجتين « ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة » لخلط طينته بطينة الكافر ، وكذا العكس « فقلوب المؤمنين تحنُّ » أى تميل و تشاق ، قال الجوهرى : الحنين الشوق و توقان النفس « إلى ما خلقوا منه » أى إلى الأعمال المناسبة لما خلقوا منه

قلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه .

المؤدبة إليها أو إلى الانبياء والاروصياء المخلوقين من الطينة التي خلق منها قلوبهم ، وكذا الفقرة الثانية تحتمل الوجهين .

وقال بعضهم في تأويل الخبر : المراد بعلتين أشرف المراتب وأقربها من الله تعالى ، وله درجات كما يدل عليه ما ورد في بعض الاخبار الآتية من قولهم أعلى عليين وكما وقع التنبيه عليه في هذا الخبر بنسبة خلق القلوب والأبدان كليهما إليه مع اختلافهما في الرتبة ، فيشبه أن يراد به عالم الجبروت والملوك جميعاً اللذين فوق عالم الملك أعنى عالم العقل والنفس ، وخلق قلوب النبيين من الجبروت معلوم ، لأنهم المقرَّبون وأما خلق أبدانهم من الملوك فذلك لأنَّ أبدانهم الحقيقية هي التي لهم في باطن هذه الجلود المدبَّرة لهذه الأبدان ، وإنما أبدانهم العنصرية أبدان أبدانهم لاعلاقة لهم بها فكأنَّهم وهم في جلايب من هذه الأبدان ، قد نفضوها وتجرَّدوا عنها لعدم ركونهم إليها وشدة شوقهم إلى النشأة الأخرى ، ولهذا نعموا بالوصول إلى الآخرة ومفارقة هذا الدني ، ومن هنا ورد في الحديث : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وإنما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلك لأنَّها مرتبة من هذه ومن هذه تعلقهم بهذه الأبدان العنصرية أيضاً داموا فيها ، وسجن أخس المراتب وأبعدها من الله سبحانه فيشبه أن يراد به حقيقة الدنيا وباطنها التي هي مخبوءة تحت عالم الملك أعنى هذا العالم العنصري ، فإنَّ الأرواح مسجونة فيه ، ولهذا ورد في الحديث : المسجون من سجنته الدنيا عن الآخرة ، وخلق أبدان الكفار من هذا العالم ظاهر .

وإنَّما نسب خلق قلوبهم إليه لشدة ركونهم إليه وإخلاصهم إلى الأرض ، وتناقلهم إليها ، فكأنَّه ليس لهم من الملوك نصيب لاستغراقهم في الملك ، والخلط بين الطينتين إشارة إلى تعلق الأرواح الملكوتية بالأبدان العنصرية ، بل نشوها منها شيئاً فشيئاً فكل من النشأتين غلبت عليه صار من أهلها ، فيصير مؤمناً حقيقياً أو كافراً حقيقياً

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبد الغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجل خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار ؛ و قال : إذا أراد الله عزّ وجل بعبد خيراً طيّب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره ؛ قال وسمعته يقول : الطينات ثلاث : طينة الأنبياء والمؤمنين من تلك الطينة ، لأن الأنبياء هم من صفوتها ، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لآزب . كذلك لا يفرّق

أو بين الأمرين على حسب تدارك مراتب الإيمان والكفر ، انتهى .

وقال آخرون : إن الله تعالى لما علم في الأزل الأرواح التي تختار الإيمان باختيارها والتي تختار المعصية باختيارها ، سواء خلقوا من طينة عليّين ، أو من طينة سجين فلمّا علم ذلك أعطى أبدان الأرواح التي علم أنهم يختارون الإيمان كيفية عليّين للمناسبة وأعطى أبدان الأرواح التي علم أنها تختار الكفر باختيارها كيفية السجين من غير أن يكون للأمرين مدخل في اختيارهم الإيمان والكفر ، وخلط بين الطينتين من غير أن يكون لذلك الخلط مدخل في اختيار الحسنة والسيئة ، فمن في قوله : من هذا ومن ههنا ، للعلية المجازية .

الحديث الثاني : مجهول .

« من طينة الجنة » أي من طينة يعلم حين خلقه منها أنه يصير إلى الجنة أو من طينة مرجحة لأعمال تصير سبباً لدخول الجنة لأعلى سبيل الاجاء « إذا أراد الله بعبد خيراً ، أي حسن عاقبة وسعادة » طيّب روحه ، بالهدايات الخاصة والالطاف المرجحة ، وذلك بعد حسن اختياره وما يعود إليه من الاسباب ، قوله تعالى : « من طين لازب » ^(١) قال البيضاوي : هو الحاصل من ضرب الجزء المائي الى الجزء الارضي وفي القاموس : اللزوب اللصوق والثبوت ، ولزب ككرم لزباً ولزوباً دخل بعضه في بعض والطين لزق وصلب ، انتهى .

الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم؛ وقال: طينة الناصب من حمأ مسنون وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه والله المشيئة فيهم.

أقول: ويمكن أن يكون على هذا التأويل للآية الكريمة المراد باللزوب لصوقهم بالائمة عليهم السلام وملازمتهم لهم، فقوله: كذلك لا يفرق الله، الخ. وفي بعض النسخ لذلك، أي للزوبهم ولصوقهم بأئمتهم ولصوق طينتهم بطينتهم، لا يفرق الله بينهم وبينهم. أولكونهم من فرع تلك الطينة لا يفرق الله بينهما في الدنيا والآخرة، لأن الفرع ملحق بالاصل وتابع له.

قوله عليه السلام: من حمأ مسنون، إشارة إلى قوله تعالى: «واقدا خلقنا الإنسان من صلبال من حمأ مسنون»^(١) والصلصال الطين اليابس تسمع له عند النقر صلصلة أي صوت، وقيل: طين صلب يخالطه الكثيب، وقيل: منتن، والحمأ: الطين الاسود، والمسنون المتغير المنتن، وقيل: أي مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة، وقيل: أنه الرطب، وقيل: مصور عن سيويه، قال: أخذ منه سنة الوجه، والحمأ المسنون: طين سجين.

قوله: فمن تراب، أي خلقوا من تراب غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين، ولا بماء آسن أجاج كما مزجت به طينة الكافرين، فلا يكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء، ولعل هذا وجه جمع بين الآيات الكريمة، فإن ما دل على أنه خلق من حمأ مسنون فهو في الناصب، وما دل على أنه خلق من طين لازب فهو في الشيعة، وما دل على أنه خلق من تراب فهو في المستضعفين، فيحتمل حينئذ أن يكون المراد إدخال تلك الطينات جميعاً في بدن آدم لتحصيل قابلية جميع تلك الامور والاقسام في أولاده وأن يكون المراد خلق كل صنف من تلك الطينة بإدخال ذلك الطين في النطفة أو بحصول تلك النطفة من هذه الطينة.

والاوسط أظهر لما رواه الشيخ في مجالسه باسناده عن عبيد بن يحيى عن يحيى

ابن عبد الله بن الحسن عن جدّه الحسن بن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ :
 إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد وألين من الزبد وأبرد من الثلج وأطيب من
 المسك ، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها ، وخلق شيعتنا منها فمن لم يكن من
 تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّ وجلّ على ولاية
 أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، قال عبيد : فذكرت لمحمد بن الحسين هذا الحديث
 فقال : صدقك يحيى بن عبد الله هكذا أخبرني أبي عن جدّي عن أبيه عن النبي ﷺ
 قال عبيد : قلت : أستهي أن تفسره لنا إن كان عندك تفسير ؟ قال : نعم أخبرني أبي
 عن جدّي رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الله ملكاً رأسه تحت العرش وقدماءه في تخوم
 الأرض السابعة السفلى ، بين عينيه راحة أحدكم فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق
 خلقاً على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى
 بها في النطفة حتى تصير إلى الرحم ، منها يخلق وهي الميثاق .

قوله : والله المشيئة فيهم ، أي في المستضعفين والتعميم بعيد .

وقال بعضهم : في قوله عليه السلام : والمؤمنون الفرع من طين لازب ، لأنّ الجبروت
 صفوة الملكوت وأصله ، والملكوت فرع الجبروت ، واللازب اللازم للشيء اللاصق به ،
 وإنّما كانت طينتهم لازبة للزوبها طينة أئمتهم ولصوقها بها لخلطها بها وتركبها من
 العالمين جميعاً ، ألا ترى إلى شوقهم إلى أئمتهم وحنينهم إليهم ، وكما أنّ الأمر كذلك
 كذلك لا يفرّق الله بين أئمتهم وبينهم ، والحمأ الطين الأسود هو كناية عن باطن
 الدنيا وحقيقة تلك المعجزة الشواء ، وأمّا خلق المستضعفين من التراب أغنى ماله
 قبول الاشكال المختلفة و حفظها ، فذلك لعدم لزومهم لطريقة أهل الايمان ،
 ولا لطريقة أهل الكفر وعدم تقيّد بهم بعقيدة لاحق ولا باطل ، ليس لهم نور الملكوت
 ولا ظلّمة باطن الملك ، بل لهم قبول كلّ من الأمرين بخلاف الآخرين فاتهما لا
 يتحوّلان عمّا خلقوا له ، وأمّا قوله : والله المشيئة فيهم ، فهو ردّ لتوهم الإيجاب في

٣ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب . عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن فقال : من طينة الأنبياء ، فلم تنجس أبداً .

٤ - محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد وغيره ، عن محمد بن خلف ، عن أبي نهشل قال : حدثني محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله جلّ وعزّ خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق أبدانهم من ددن ذلك ، وقلوبهم تهوى إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ، ثمّ تلا هذه الآية « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنسَانِ لَفِي عِلْبَيْنِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونِ » * كتاب

فعله سبحانه ، وفيه إشارة إلى قوله عز وجل : « ولو شاء لهديكم أجمعين » ^(١) .
الحديث الثالث : ضعيف .

« فلن تنجس أبداً » ^(٢) بنجاسة الشرك والكفر وإن نجست بالمعاصي فتطهر بالتوبة والشفاعة ، وقيل : لن يتعلق بالدنيا تعلق ركون وإخلاق يذهله عن الآخرة .
الحديث الرابع : مجهول .

وقد مرّ بعينه في باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وقال بعض أرباب التأويل : كل ما يدركه الإنسان بحواسّه يرتفع منه أثر إلى روحه ، ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته ، وكذلك كل متقال ذرة من خير أو شرّ يعمل به أثره مكتوباً ثمّة ، ولا سيّما ما رُسخت بسبب الهيئات ، وتأكدت به الصفات وصار خلقاً وملكة ، فالأفاعيل المتكرّرة والعقائد الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش الكتابيّة في الألواح ، كما قال الله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » ^(٣) وهذه الألواح النفسيّة يقال لها صحائف الأعمال ، وإليه الإشارة بقوله سبحانه : « وإذا الصحف نشرت » ^(٤) وقوله

(١) سورة النحل : ٩

(٢) كذا في جميع النسخ وفي المتن « فلم تنجس ... »

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٤) سورة الاسراء : ١٣ .

مرفوم يشهده المقرَّبون ، وخلق عدونا من سجين و خلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ، لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه ، ثمّ تلا هذه الآية : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينَ كِتَابَ مَرْفُومٍ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »^(١).

عزّ وجلّ : « وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً »^(٢) فيقال له : « قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »^(٣) « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون »^(٤) فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين و كانت معلوماته أموراً قدسية و أخلاقه زكية وأعماله صالحة فقد أوتى كتابه بيمينه أعنى من الجانب الاقوى الروحاني ، وهو جهة عليّين وذلك لأنّ كتابه من جنس اللوح العالية والصحف المكرّمة المرفوعة المطهرة بأيدي سفرة كرام بررة يشهده المقرَّبون ، و من كان من الاشقياء المردودين و كانت معلوماته مقصورة على الجرميات وأخلاقه سيئة وأعماله خبيثة فقد أوتى كتابه بشماله أعنى من جانبه الاضعف الجسماني وهو جهة سجين ، وذلك لأنّ كتابه من جنس الاوراق السفلية والصحائف الحسّية القابلة للاحتراق فلا جرم يعذب بالنار وإنّما عود الارواح الى ما خلقت منه كما قال سبحانه : « كما بدأكم تعودون »^(٥) « كما بدأنا أول خلق نعيده »^(٦) فما خلق من عليّين فكتاباه في عليّين ، وما خلق من سجين فكتاباه في سجين .

(١) سورة المطففين ٧ - ١٠ .

(٢) سورة الاسراء : ١٣ .

(٣) سورة ق : ٢٢ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٩ .

(٥) سورة الاعراف : ٢٩ .

(٦) سورة الانبياء : ١٠٤ .

٥ - عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد وغير واحد ، عن الحسين بن الحسن جميعاً ، عن محمد بن أورمة ، عن محمد بن علي ، عن إسماعيل بن يسار ، عن عثمان بن يوسف قال : أخبرني عبد الله بن كيسان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان ، قال : أمّا النسب فأعرفه و أمّا أنت ، فلست أعرفك ، قال : قلت له : إنني ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك ، فأخالط الرجل ، فأرى له حسن السمّ و حسن الخلق و [كثرة] أمانة ، ثمّ أفتشه فأبتيته عن عداوتكم وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة ثمّ أفتشه فأبتيته عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟ فقال لي : أما علمت يا ابن كيسان أنّ الله عزّ وجل أخذ طينة من الجنة وطينة من النار ، فخلطهما جميعاً ، ثمّ نزع هذه من هذه ؛ وهذه من هذه فمارأيت من أولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمّ فمما مستهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة ، فمما مستهم من

الحديث الخامس : ضعيف .

« فلست أعرفك » أي بالتشيع « فافتشه عن عداوتكم » التعدية بمن لتضمن معنى الكشف ، والسمّ : الطريق وهيئة أهل الخير ، وزعارة بالزاء والراء المشددة وقد يخفف الشراسة وسوء الخلق ، وفي بعض النسخ بالدال والعين والراء المهملات وهو الفساد والفسق والخبث . « فخلطهما جميعاً » أي في صلب آدم إلى أن يخرجوا من أصلاب أولاده ، وهو المراد بقوله : ثمّ نزع هذه من هذه إذ يخرج المؤمن من صلب الكافر ، والكافر من صلب المؤمن و حمل الخلط على الخلطة في عالم الاجساد واكتساب بعضهم الاخلاق من بعض بعيد جداً .

وقال بعضهم : ثمّ نزع هذه - إلى آخره - معناه أنّه نزع طينة الجنة من طينة النار ، و طينة النار من طينة الجنة بعد ما مستت إحدیهما الاخرى ، ثمّ خلق أهل الجنة من طينة الجنة ، وخلق أهل النار من طينة النار ، واولئك إشارة إلى الاعداء

طينة النار وهم يعودون إلى ما خلقوا منه .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد . عن محمد بن خالد ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال : نعم .

٧ - علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن ابن علي بن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة ، فقبض يمينه قبضة ، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، وأخذ من

وهؤلاء إلى الأولياء ، وما خلقوا منه في الأول طينة النار وفي الثاني طينة الجنة .

الحديث السادس : ضعيف . والمراد فضل طينتهم .

الحديث السابع : ضعيف .

قوله : في أول ساعة « الخ » قيل : لما كان خلق آدم عليه السلام بعد خلق السماوات والارض ضرورة تقدّم البسيط على المركّب ، وكان خلق السماوات والارض وأقواتها في ستة أيام من الاسبوع وقد جمعت جميعاً في الجمعة صار بدو خلق الانسان فيه ، والمراد بكلمته جبرئيل لأنه حامل كلمته أو لاهتداء الناس به كاهتدائهم بكلام الله أو لكونه مخلوقاً بكلمة كن بلا مادة ، وقيل : المراد بالسماوات درجات الجنة وبالارضين دركات سجنين ليطابق الاخبار الاخر ، ويحتمل أخذها منهما معاً ، وقيل : كان المراد بالتربة ماله مدخل في تهيئة المادة القابلة لأن يخلق منها شيء فيشمل الطينة بمعنى الجبلّة وآثار القوى السماوية المربية للنطفة ، وبالجبلّة ماله مدخل في السبب القابلي ، انتهى .

وقيل : اطلاق التربة على ما أخذ من السماوات من قبيل مجاز المشاركة أي ما يصير تربة وينقلب إليها ، والقصوى مؤنث الاقصى أي الأبعد ، ويدل على أن الارض سبع طبقات كالسماوات كما قال تعالى : « الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض

كلّ سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة
انقصوى فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى
بشماله ، ففلق الطين فلفقتين فذرا من الأرض ذرواً ومن السماوات ذرواً فقال للذي
بيمينه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن
أريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال وقال للذي بشماله : منك الجبارون

مثلهم» ^(١).

قوله ^(عليه السلام) : ففلق الطين فلفقتين ، ضمير فلق إمّا راجع إلى الله أو إلى جبرئيل ،
وكذا قوله : فذراً ، وفي القاموس فلقه يفلقه شقه كفلقه وقالق الحب خالقه أو شاقه
باخراج الورق منه ، وقال : ذرت الريح الشيء ذرواً وأذرت وذرتة أطارته وأذهبت
وذراً هو بنفسه .

أقول : الكلام يحتمل وجوهاً « الأول » أن يكون قوله : ففلق تفريعاً وتأكيداً
لما مضى ، أي فصار يقبض بعض الطين باليمين وبعضه بالشمال الطين صنفين ، ففرّق من
الأرض أي ما كان في يده من طين الأرض ، وكذا الثاني فقال الله أو جبرئيل للذي بيمينه
قبل الذرّ أول الذي كان بيمينه بعده .

الثاني : أن يكون المعنى ففلق كلّ طين من الطينين فلقاً أي جعل كلّاً منهما
حصتين ففرّق من كلّ طين حصّة ليكون طينة للمستضعفين والأطفال والمجانين ، وقال
لما بقي في اليمين : منك الرسل « النخ » ولما بقي في الشمال : منك الجبارون « النخ »
وعلى هذا لعلّ إرجاع الضمائر إلى الله تعالى أولى ، فيقرأ أريد في الموضعين بصيغة
المتكلم ، وعلى الوجه الآخر يقرأ بصيغة الغائب المجهول .

الثالث : ما ذكره بعض الأفاضل حيث قال : كان الفلق كناية عن إفراز ما يصلح
من المادتين لخلق الانسان ، وإنّما ذراً من كلّ منهما ما ذراً لأنّه كان فيهما ما ليس
له مدخل في خلق الانسان وإنّما كان مادة لسائر الاكوان خاصّة .

والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته ، فوجب لهم ما قال كما قال ، ثم إن الطينتين خلطتا جميعاً ، وذلك قول الله عز وجل : « إن الله فالق الحب والنوى »^(١) فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمى النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعده عنه وقال الله عز وجل : « يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي »^(٢)

قوله ﷺ : ثم إن الطينتين خلطتا ، أي ما كان في اليدين أو جميع الطينتين المذروء منهما وغير المذروء ، وقوله ﷺ : فالحب طينة المؤمنين ، هذا بطن من بطون الآية وعلى هذا التأويل المراد بالفلق شق كل منهما وإخراج الآخر منه أو شق كل منهما عن صاحبه أو خلقهما « من أجل أنه نأى » كأن مناسبة نأى ونوى من جهة الاشتقاق الكبير المبني على توافق بعض حروف الكلمتين فإن الأول مهموز الوسط والثاني من المعتل ، ويحتمل أن يكون أصل المهموز من المعتل أو بالعكس ويؤيد أن صاحب المصباح المنير والراغب في المفردات ذكرا نأى في باب النون مع الواو ، أو يقال ليس الغرض ببيان الاشتقاق بل ببيان أن النوى بمعنى البعد ، وذكر نأى لتناسب اللفظين فإن الواوى أيضاً يطلق بهذا المعنى ، قال في القاموس : النية الوجه الذي يذهب فيه والبعد كالنوى فيهما « انتهى » .

والآية في سورة الانعام هكذا : « إن الله فالق الحب والنوى » قال في مجمع البيان : أي شاق الحب اليابسة الميتة فيخرج منه النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر ، وقيل : معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما ، وقيل : المراد به ما في الحب والنواة من الشق ، وهو من عجيب قدرة الله تعالى في إستوائه .

« يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي » أي يخرج النبات الفص

فالحَيُّ : المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي : هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحَيُّ : المؤمن ، والميت : الكافر وذلك قوله عز وجل : « أو من كان ميتاً فأحييناه »^(١) فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر

الطري الخضر من الحب اليابس ، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجرة مادام غضاً قائماً بأنه حي ، فإذا يبس أو قطع أو قلع سمّوه ميتاً .

وقيل : معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ، ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وغيره ، وهذا أصح ، وقيل : معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي ، وقيل : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . ثم قال سبحانه في هذه السورة أيضاً : « أو من كان ميتاً فأحييناه فجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » .

قال الطبرسي : أو من كان ميتاً أي كافراً فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس وغيره ، شبه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة ، وقيل : معناه من كان نطفة فأحييناه وجعلنا له نوراً ، المراد بالنور العلم والحكمة أو القرآن أو الإيمان ، وبالظلمات ظلمات الكفر ، وإنما سمى الله الكافر ميتاً كأنه لا ينتفع بحياته ولا ينتفع غيره بحياته فهو أسوأ حالاً من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ، ولا يتضرر غيره به ، وسمى المؤمن حياً لأنه له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمى الكافر ميتاً والمؤمن حياً في عدة مواضع ، مثل قوله : « انك لا تسمع الموتى »^(٢) و « لتنذر من كان حياً »^(٣) وقوله : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات »^(٤)

(١) سورة الانعام : ١٢٢ .

(٢) سورة الروم : ٥٢ .

(٣) سورة يس : ٧٠ .

(٤) سورة فاطر : ٢٢ .

وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاء من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة

وسمى القرآن والعلم والايمان نوراً لأن الناس يبصرون بذلك ، ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة ، كما يهتدى بسائر الانوار ، وسمى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر أمره شدة « انتهى » .

وأقول : على التأويل المذكور في الخبر وأكثر التفاسير المذكورة قوله تعالى : « يخرج الحي » بيان لقوله « فالحق الحب » .

قوله : حين فرق الله بينهما بكلمته ، أي بقدرته أو بأمر كن ، أو بجبرئيل ، والتفريق في الميلاء أو في الطينة ، والاول أظهر ، فقوله : كذلك ، تشبيه الاخراج من الظلمات إلى النور وبالعكس باخراج الحي من الميت وبالعكس ، في أن المراد فيهما إخراج طينة المؤمن من طينة الكافر وبالعكس ، وليس المراد تأويل تسمية تلك الآية أعني قوله سبحانه : « أو من كان ميتاً » الخ ، فإنه لم يذكر فيها إخراج الكافر من النور إلى الظلمة ، بل فيها أنه في الظلمات ليس بخارج منها بل هو إشارة إلى قوله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » الآية (١) ، ولا ينافيه قوله ﷺ : ويخرج الكافر ، مع أن الآية نسب الاخراج إلى الطاغوت لأن لخذلانه سبحانه مدخلاً في ذلك ، مع أنه يمكن أن يقرأ على بناء المجزء المعلوم ، أو على بناء المجهول ، وما قيل : من أنه يظهر من هذا الحديث أن اخراج المؤمن من الكافر وبالعكس في وقتين تفريق الطين و وقت الولادة فليس بظاهر كما عرفت . ثم استشهد ﷺ لاطلاق الحياة على الايمان أو كونه من طينة مقرّبة له بقوله سبحانه : « لينذر من كان حياً » أي كان من طينة الجنة على تأويله ﷺ ، قال الطبرسي : أي أنزلناه ليخوف به من معاصي الله من كان مؤمناً لأن الكافر كالميت بل أقل من الميت أو من كان عاقلاً كما روى عن عليّ ﷺ وقيل : من كان حي القلب

بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل : « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » ^(١).

حي البصر « ويحق القول على الكافرين » أي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم .

وأقول : على تأويله عليه السلام يحتمل أن يكون المراد بالقول ما مر من قوله سبحانه : منك الجبارون والمشركون والكافرون « الخ » .
فذلكة

إعلم أن ما ذكر في هذا الباب وفي بعض الابواب الآتية من متشابهات الاخبار ومعضلات الآثار، ومما يوهم الجبر ونفي الاختيار ولا أصحابنا رضوان الله عليهم فيها مسالك :
الاول : ما ذهب إليه الاخباريون وهو أننا نؤمن بها مجملات ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها وعن أنها من أي جهة صدرت ونرد علمه إليهم عليه السلام .
الثاني : أنها محمولة على النقيصة لموافقتها لروايات العامة ومذاهب الاشاعرة الجبرية وهم جلهم .

الثالث : أنه كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون فانه سبحانه لما خلقهم وكان عند خلقهم عالماً بما يصيرون اليه فكأنه خلقهم من طينات مختلفة .

الرابع : أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم وهذا أمر يتن لا يمكن إنكاره ، فانه لا يريب عاقل في أن النبي صلى الله عليه وآله وأباجهله ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابلية ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف فان الله تعالى كلف النبي صلى الله عليه وآله بقدر ما أعطاها من الاستعداد والقابلية لتحصيل الكمالات وكتفه ما لم يكلف أحداً مثله ، وكلف أباجهله ما في وسعه وطاقته ، ولم يجبره على شيء من الشر والفساد .

الخامس : أنه لما كلف الله تعالى الارواح أولاً في الذر وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشر باختيارهم في ذلك الوقت ، وتفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلت عليه بعض الاخبار فلا فساد في ذلك .

﴿ باب آخر منه ﴾

﴿ وفيه زيادة وقوع التكليف الاول ﴾

١ - أبو علي الأشعري ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان ، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماءً

باب آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف الاول

أقول : إنما أفرد لتلك الأخبار باباً لاشتغالها على أمر زائد لم يكن في الأخبار السابقة رعاية لضبط العنوان بحسب الامكان .

الحديث الاول : موثق كالصحيح .

« لما اختلف اثنان » ^(١) أى في مسألة الاستطاعة والاختيار والجبر ، أو لما تنازع اثنان في أمر من أمور الدين لاختلاف أفهائهم وقابلياتهم وطينهم ، ولما بالغوا في هداية الخلق « كن ماءً عذباً » أمر تكويني أو استعارة تمثيلية لبيان علمه تعالى باختلاف مواد الخلق وإستعداداتهم وماهم إليه صائرون وفي القاموس : ماء أجاج ملح مرّ ، وقال أديم النهار عاقته أو بياضه ، ومن الضحى أوّله ومن السماء والارض ما ظهر وقال : عركه دلكه وحكّه حتّى عفاه وقال : الذرّ صغار النمل ومائة منها زنة حبة شعير ، الواحدة ذرة ، وقال : دبّ يندبّ دبّاً وديبياً : مشى على هنيئة ، وقال : أقلته فسخته ، واستقاله : طلب إليه أن يقيله ، وقال : هابه يهابه هيباً ومهابة : خافه .

وقال السيّد رضی الله عنه في نهج البلاغة : روى اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال : كنّا عند أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس ، قال : إنما فرق بينهم مبادئ طينهم ، وذلك أنّهم قد كانوا فلفة من سبخ أرض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب أرضهم بتقاربون ،

(١) وفي المتن « ما اختلف ... » بدون اللام .

عذاباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي وكن ملحقاً أوجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي
ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ثم أخذ طيناً

و على قدر إختلافها يتفاوتون ، فتامّ الرواء ناقص العقل ومادّ القامة قصير الهمّة و
زأكي العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة منكر الجليلة وتائه
القلب متفرّق اللبّ وطليق اللسان حديد الجنان .

وقال ابن ميثم في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنّما فرّق بينهم «النخ» أى تقاربهم في الصور و
الاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مبادئه وهى السهل والحزن ، والسبخ والعذب
وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومبادئه المذكورة وقال أهل التأويل : الاضافة بمعنى
اللام أى المبادئ لطينهم كناية عن الاجزاء العنصريّة الّتي هى مبادئ المركّبات ذوات
الامزجة ، أو السبخ كناية عن الحارّ اليابس والعذب عن الحارّ الرطب والسهل عن البارد
الرطب ، والحزن عن البارد اليابس ، انتهى .

وأقول : لا يبعد أن يكون الماء العذب كناية عمّا خلق الله في الانسان من
الدواعي إلى الخير والصالح كالعقل والنفس الملكوتي ، والماء الاجاج عمّا ينافي ويعارض
ذلك ويدعو إلى الشهوات الدنيّة واللذات الجسمانية من البدن وما ركب فيه من
الدواعي إلى الشهوات ، ويكون مزجها كناية عن تربيتهما في الانسان ، فقوله : أخلق
منك ، أى من أجلك جنّتي وأهل طاعتي ، إذ لولا ما في الانسان من جهة الخير لم يكن
لخلق الجنّة فائدة ولم يكن يستحقّها أحد ، ولم يصر أحد مطيعاً له تعالى ، وكذا قوله :
أخلق منك ناري إذ لولا ما في الانسان من دواعي الشرور لم يكن يعصي الله أحد ، ولم يحتاج
إلى خلق النار للزّجر عن الشرور ثم لأظهار إحاطة علمه بما سيقع من كلّ فرد من أفراد
البشر للملائكة لطفاً لهم ولبنى آدم ايضاً بعد اخبار الرسل بذلك جعلهم كالذرّ ، وميّز
من علم منهم الايمان ممّن علم منهم خلافه ، وكلفهم بدخول النار ليعلموا قبل التكليف
في عالم الاجساد أن ما علم منهم مطابق للواقع « فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية » وعلم
الملائكة من يطيع بعد ذلك ومن يعصى وأثبت ذلك في الالواح مطابقاً لعلمه تعالى .

من أديم الأرض فمرّكه عركاً شديداً فإذا هم كالذرّ يدبّون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر ناراً فأسمعت فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها فيها بوها ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها فقال : كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً فقال أصحاب الشمال : يا ربّ أفلنا فقال : قد أفلتكم فادخلوها ، فذهبوا فيها بوها ، فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء

وقوله : فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر ، أي لاجل ما قرّر في الانسان من جهني الخير والشر ترى الأب يصير تابعاً للعقل ومقوّياً لدواعي الخير وزاجراً للشهوات فيصير من الأخيار ، والابن يتبع الهوى والشهوات ويسلّطها على العقل فيصير من الاشرار مع نهاية الارتباط بينهما .

وقوله : ولا يستطيع هؤلاء ، أي لا يتخلف ما علم الله تعالى منهم ، لكن لا يختارونها إلاّ باختيارهم وإرادتهم واستطاعتهم .

هذا ما خطر بالبال على وجه الاحتمال والله يعلم غوامض اسرارهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وقال بعض أهل التأويل عبّر عن المادّة نارة بالماء وأخرى بالتربة لاشتراكهما في قبول الاشكال ، ولاجتماعهما في طينة الانسان وتركيب خلقتة ، وأديم الارض وجهها وكأّنه كناية عما ينبت منها ممّا يصلح أن يصير غذاء الانسان ويحصل منه النطفة أو تربّئ به ، والعرك : الدلك وكأّنه كناية عن مزجه بحيث يحصل منه المزاج ويستعدّ للحياة ، والذرّ : النمل الصغار ووجه الشبه الحسّ والحركة وكونهم محلّ الشعور مع صغر الجنة والخفاء ، وهذا الخطاب إنّما كان في عالم الأمر ولشدة ارتباط الملك بالملكوت وقوامه به جاز إسناد مادّته إليه وإن كان عالم الامر مجرداً عن المادّة واجتماعهم في الوجود عند الله تعالى إنّما هو لاجتماع الاجسام الزمانيّة عنده تعالى دفعة واحدة في عالم الامر وإن كانت متفرقة مبسوطة متدرّجة في عالم الخلق ووجودهم في عالم الأمر وجود ملكوتيّ ظليّ ينبعث من حقيقة هذا الوجود الخلقى الجسماني وهو صورة علمه سبحانه بها وعبر عنه بالظلال في حديث آخر ، وأمره تعالى إليّاهم

أن يكونوا من هؤلاء ؛ ولا هؤلاء من هؤلاء .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة أن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله جلّ وعزّ : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريبتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية » ^(١) من ظهورهم ذريبتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية » ^(١)

إلى الجنة والنار هدايته إياهم إلى سبيلهما ، ثم توفيقه أو خذلانه ، ولعلّ المراد بالنار المسعرة بعد ذلك التكاليف الشرعية وتحصيل المعرفة المحرقة للقلوب لصعوبة الخروج عن عهدها واستقالة أصحاب الشمال كناية عن تمنّيهم الطاعة وعدم قدرتهم التامّة عليها لغلبة الشقوة عليهم ؛ وكونهم مسخرة تحت سلطان الهوى كما قالوا « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالّين » انتهى .

والاجترأ على تلك التأويلات في الاخبار جرأة على الله ورسوله والائمة الاختيار إلا أن يكون على سبيل الاحتمال ، لكن بعد ثبوت ما بنوا عليه الكلام من المقدمات التي لم تثبت بالبرهان واليقين بل بعضها منافي لما ثبت في الدين المبين .
الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

وظاهر الحديث أن السؤال عن الباقر عليه السلام كان في زمن أبيه وهو حاضر ، وفيه أنه لم يعهد إدراك زرارة علي بن الحسين عليه السلام فيحتمل أن يكون روى ذلك عن الرجل السائل ولم يكن زرارة حاضراً عند السؤال ، مع أنه يمكن إدراكه زمان السجادة عليه السلام وعدم روايته عنه ولذا لم يعد من أصحابه ، وفي تفسير العياشي هكذا عن زرارة أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام إلى آخر الخبر ، وهو أصوب .

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم » قال البيضاوي : أي أخرج من أصلاهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن ، ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض ، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذريبتهم « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم » أي نصب لهم دلائل ربوبيته وركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الاقرار

فقال وأبوه يسمع يَسْمَعُ : حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً ، ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعر كها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار ، فدخل

بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألسن بربكم ؟ قالوا بلى ، فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم منه منزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ، وبدل عليه قوله : « قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة » أي كراهة أن تقولوا « إننا كنا عن هذا غافلين » لم ننبه عليه بدليل « أو تقولوا » عطف على أن تقولوا « إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » فافتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكّن مع العلم به لا يصلح عذراً « أفتهلكنا بما فعل المبطلون » يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك ، وقيل : لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم ، وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك ، لحديث رواه عمر ، انتهى .

وقال بعض المحققين لعل معنى إشهد ذرية بني آدم على أنفسهم بالتوحيد إستنطاق حقايقهم بالسنة قابليات جواهرها وألسن إستعدادات ذواتها ، وأن تصديقهم به كان بلسان طباع الامكان قبل نصب الدلائل لهم أو بعد نصب الدلائل ، أو أنه نزل تمكينهم من العلم وتمكينهم منه بمنزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل نظير ذلك قوله عز وجل : « إنما قولنا لشيء » ^(١) الخ ، وقوله عز وجل : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » ^(٢) ومعلوم أنه لا قول ثمّة وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى ، ويحتمل أن يكون ذلك النطق باللسان المملكون الذي به يسبح كل شيء بحمد ربه ، وذلك لأنهم مفلطرون على التوحيد .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : من تراب ، التربة هذا من قبيل إضافة الجزء إلى الكل ، قوله :

(١) سورة النحل : ٤٠ .

(٢) سورة فصلت : ١١ .

أصحاب اليمين ، فصارت عليهم برداً وسلاماً وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .
 ٣ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين ، ثم قبض قبضة فعركها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذراهم فإذاهم يدبّون ، ثم رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها فأمر الله جل وعز أن نار فكانت عليهم برداً وسلاماً ، فلمّا رأى ذلك أهل الشمال قالوا : ربنا أقلنا ، فأقالهم ، ثم قال لهم : ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها ، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام وقال أبو عبد الله عليه السلام : فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . قال : فيرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من دخل تلك النار فلذلك قوله جل وعز : « قل إن كان للرحمن ولد فأنا

من يمينه وشماله ، الضميران راجعان إلى الملك المأمور بهذا الامر كجبرئيل أو العرش أو إلى التراب فاستعار اليمين للجهة التي فيها اليمن والبركة ، والشمال للآخرى ، أو اليمين لصفة الرحمانية والشمال لصفة القهّارية ، فالضميران راجعان إلى الله تعالى كما في الدعاء : الخير في يديك ، أي كلّما يصدر منك من خير أو شر أو نفع أو ضرر فهو خير ، ومشمّتل على المصالح الجليلة .

الحديث الثالث : حسن موثق كالصحيح .

قوله : فيرون ، أي أهل البيت عليهم السلام « قل إن كان للرحمن ولد ، الآية ، قيل في تفسير الآية وجوه :

« الأول ، فأنا أوّل العابدين منكم ، فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لا يصح له ، وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ، ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ، ولا يلزم من ذلك صحّة كينونة الولد وعبادته له ، فإن المحال قد يستلزم

أَوَّلُ الْعَابِدِينَ . (١)

﴿ باب آخر منه ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن داود المجلي ، عن زرارة ، عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبًا وَمَاءً مَالِحًا أَجَاجًا ، فَاَمْزَجَ الْمَاءَانِ ، فَأَخَذَ طِينًا مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذَّرِّ يَدْبَتُونَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَالِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا :**

المحال ، بل المراد فنيهما .

والثاني : **أَنَّ مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فِي زَعْمِكُمْ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ الْمَوْحِدِينَ لَهُ .**
الثالث : **أَنَّ الْمَعْنَى إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْآتِينَ مِنْهُ أَوْ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، مِنْ عَبْدٍ يَعْبُدُ إِذَا اشْتَدَّ أَفْه .**

الرابع : **أَنَّ كَلِمَةَ إِنْ نَافِيَةٌ أَيْ مَا كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَوْحِدِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .**
أقول : وبناء الخبر على التفسير الاول ، إذ يظهر منه أنه عليه السلام كان مبادراً إلى كل خير وسعادة وإطاعة ، فلا بدَّ أَنْ يَكُونَ مبادراً في دخول النار عند الأمر به .

باب آخر منه

الحديث الاول : مجهول .

« فَأَخَذَ طِينًا » أي مزجه بالماثين ليحصل فيه استعداد الخير والشر معاً فيصح التكليف « إِلَى الْجَنَّةِ » أي امضوا الى الجنة سالمين من العذاب والنكال ، أو الى ما يوجب الجنة سالمين من شبه الشياطين وسواسهم « أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ » يعني فعل ذلك كراهة أَنْ تَقُولُوا ، وفي أكثر النسخ أَنْ تَقُولُوا بصيغة الخطاب كما في القراءات

بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ألسن بربكم و أن هذا محمد رسولى ، و أن هذا على أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى فثبتت لهم النبوة و أخذ الميثاق على أولى العزم أن تنبى ربكم و محمد رسولى و على أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده و لاة أمرى و خز أن علمى - ﷺ - و أن المهدي أنصربه لدينى و أظهر به دولتى و أنتقم به من أعدائى و أعبد به طوعاً و كرهاً قالوا : أقرنا يا رب و شهدنا ، ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة فى المهدي و لم يكن لآدم عزم على الاقرار به وهو قوله عز وجل : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً »^(١) قال : إنما هو : فترك ، ثم أمر ناراً فأججت

المشهوده ، فيكون ذكر تتممة الآية إستطراداً ، والأصوب هنا أن يقولوا بصيغة الغيبة موافقاً لقراءة أبى عمرو فى الآية .

قوله ﷺ : ثم أخذ ، لعل كلمة ثم هنا وفيما سيأتى للتراخي الربى لا الزماني ، لما بين الميثاقين من التفاوت ، وإلا فالظاهر تقدم أخذ الميثاق على النبيين على غيرهم ، وكذا أخذ الميثاق على أولى العزم وغيرهم لما سيأتى ، وأريد بأولى العزم نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد ﷺ ولا ينافى دخول الاقرار بنبوة نبيينا ﷺ فيما عهد إليهم دخوله عليه السلام في المعهود إليهم ، قيل : ولما كانوا معهودين معلومين جاز أن يشار إليهم بهؤلاء الخمسة مع عدم ذكرهم مفصلاً ، وإنما زاد في أخذ الميثاق على من زاد فى رتبته وشرفه لأن التكليف إنما يكون بقدر الفهم والاستعداد ، فكما زاد زاد ، وإنما يعرف مراتب الوجود من له حظ منها وبقدر حظها منها ، وأما آدم فلما لم يعزم على الاقرار بالمهدي لم يعد من أولى العزم ، وإن عزم على الاقرار بغيره من الاوصياء .

« إنما هو فترك » يعنى معنى فنى ههنا ليس إلا فترك ، ولعل السر فى عدم عزم آدم على الاقرار بالمهدي استبعاده أن يكون لهذا النوع الانسانى إتفاق على امر

فقال لأصحاب الشمال: أدخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال: قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فتم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية.

٢ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، وبالنبوة لكل نبي فكان أوّل من أخذه عليهم الميثاق بنو ته محمد بن عبدالله عليه السلام ثم قال الله عز وجل لا آدم: انظر ماذا ترى، قال: فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته، وهم ذر قد ملأوا السماء، قال آدم عليه السلام: يا رب ما أكثر ذريتي ولا أمر ما خلقتهم؟ فماتريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عز وجل: يعبدونني لا يشركون

واحد، انتهى.

واقول: الظاهر ان المراد بعدم العزم عدم الاهتمام به وتذكره، او عدم التصديق اللساني حيث لم يكن ذلك واجباً لاعدم التصديق به مطلقاً، فانه لا يناسب منصب النبوة، بل ما هو أدون منه.

وقوله: إنما هو فترك، اي معنى النسيان هنا الترك، لأن النسيان غير مجوز على الانبياء عليهم السلام، او كان في قرائتهم عليهم السلام «فترك» مكان «فنسى» او المعنى ان العزم انما كان ما ذكر، اي العزم على الاقرار المذكور، فترك آدم عليه السلام او كان المطلوب الاقرار التام ولم يأت به، او عزم أو لا تم ترك والاوّل اظهر.

وفي القاموس الأجيح تلهب النار كالتأجج، وأججتها تأجيحاً فتأججت.

الحديث الثاني: حسن.

قوله: فكان، وتم قال، وفنظر، الكل معطوف على أخرج، وقوله: قال آدم، جواب لما، و«لأمر ما» اي لامر عظيم قوله: يعبدونني، اي اريد منهم ان يعبدونني، وقوله: لا يشركون بي شيئاً، حال او استيناف يياتي قوله: وكذلك

بي شيئاً و يؤمنون برسلي و يتبعونهم ، قال آدم ﷺ : يا رب فمالى أرى بعض
 نذر أعظم من بعض و بعضهم له نور كثير و بعضهم له نور قليل و بعضهم ليس له نور ؟
 فقال الله عز وجل : كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالانهم ، قال آدم ﷺ : يا رب
 فتذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال الله عز وجل : تكلم فإن روحك من روحي و طبيعتك
 [من] خلاف كينونتي : قال آدم : يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد و قدر
 و حد و طبيعة واحدة و جبلة واحدة و ألوان واحدة و أرزاق سواء لم يبع بعضهم على
 بعض و لم يكن بينهم تحاسد و لا تباغض و لا اختلاف في شيء من الأشياء ، قال الله
 عز وجل يا آدم بروحي نطقت و بضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به وأنا الخالق

خلقتهم ، في بعض النسخ لذلك اي لاجل الاختلاف ، كما قال سبحانه : « ولا يزالون
 مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » على بعض التفاسير ، او لأن يعبدوني ولا
 يشركوا بي شيئاً .

« من روحي » اي من روح اصطفيته واخترته ، او من عالم المجردات بناءً
 على تجرد النفس ، وقيل : الروح الاول النفس ، والثاني جبرئيل ، ولا يخفى ما فيه
 « و طبيعتك » اي خلقتك الجسمانية البدنية او صفاتها التابعة لها « خلاف كينونتي »
 اي وجودي فانها من عالم الماديات ، ولا تناسب عالم المجردات او الخطاء والوهم
 ناش منها ، وقيل : الكينونة هنا مصدر كان الناقصة والاضافة ايضاً للتشريف ، اي
 صفاتك البدنية مخالفة للأداب المرضية لى ، ككونك صابراً وقانعاً وراضياً بقضائه
 تعالى ، والجبلة بكسر الجيم والباء وتشديد اللام : الخلقة ، وقوله : و بضعف طبيعتك
 تكلفت ما لا علم لك به ، في بعض النسخ و بضعف قوتك تكلمت ، والحاصل ان حكمك
 بأنهم اذا كانوا على صفات واحدة كان أقرب إلى الحكمة والصواب إنما نشأ من الاوهام
 التابعة للقوى البدنية فانهم لو كانوا كذلك لم يتيستر التكليف المعرض لهم لأرفع
 الدرجات ، ولم تبق نظام النوع ، ولم يرتكبوا الصناعات الشاقة التي بها بقاء نوعهم

العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و بمشيئتي يمضي فيهم أمري وإلى تديري وتقديري صائرون ، لا تبديل لخلقى ، إنما خلقت الجنّ و الانس ليعبدون و خلقت الجنة لمن أطاعني و عبدني منهم و اتبع رسلي و لا أبالي و خلقت النار لمن كفر بي و عصاني

إلى غير ذلك من الحكم والمصالح .

« بعلمي خالفت بين خلقهم » إذ علمت أنّ في مخالفة خلقتهم صلاحهم وبقاء نوعهم « و بمشيئتي » أى إرادتي التابعة لحكمتي « يمضي فيهم أمرى » أى الأمر التكويني أو التكليفي أو الاعم « لا تبديل لخلقى » أى لتقديري ، أو لما قرّرت فيهم من القابليات والاستعدادات ، وقيل : أى من حسنت أحواله في ذلك الوقت حسنت أحواله في الدنيا ، ومن حسنت أحواله في الدنيا حسنت أحواله في الآخرة ، ومن قبحت أحواله في ذلك الوقت قبحت أحواله في الوطنين الآخرين لا يتبدل هؤلاء إلى هؤلاء ولا هؤلاء إلى هؤلاء .

أقول : وسيأتي الكلام في تفسير قوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » ^(١) وكان هذا إشارة إليه « إنما خلقت الجنّ و الانس ليعبدون » إشارة الى قوله تعالى : « وما خلقت الجنّ و الانس إلاّ ليعبدون » ^(٢) وأورد على ظاهر الآية أنّ بعض الجنّ و الانس لا يعبدون أصلاً إمّا لكفر أو جنون أو موت قبل البلوغ أو نحو ذلك ، وعدم ترتب العلة الغائية على فعل الحكيم ممتنع ، واجيب بوجوه اربعة :

الاول : أنّه اراد سبحانه بالجنّ و الانس الذين بلغوا حدّ التكليف قبل الملمات والتعليل المفهوم من اللام اعمّ من العلة الغائية ، كما روى الصدوق في التوحيد عن ابي الحسن الاول عليه السلام انه قال معنى قول النبي ﷺ : « عملوا فكلّ ميسر لما خلق له » ، انّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّ و الانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله عزّ وجلّ : « وما خلقت الجنّ و الانس إلاّ ليعبدون » فيسرّ كلاماً لما خلق له ، فالويل لمن استحبّ العمي على الهدى .

ولم يتبع رسلي ولا ابالي ؛ وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم
وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيتكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم

الثاني : انه إن سلمنا ان المراد بالجن والانس ما هو اعم من المكلفين وان
اللام للعلبة الغائية ، لانسلم العموم في ضمير الجمع في قوله : ليعبدون ، اذ لعل المراد
عبدة بعض الجن والانس .

الثالث : إن سلمنا عموم ضمير يعبدون ايضاً فلانسلم رجوع الضمير الى الجن
والانس اذ يمكن عوده إلى المؤمنين المذكورين قبل هذه الآية في قوله تعالى : «وذكر
عن الذكرى تنفع المؤمنين» فتدل على ان خلق غير المؤمنين لأجل المؤمنين كما
يؤمى اليه قوله ﷺ في هذا الخبر : وينظر المؤمن الى الكافر فيحمدوني ولذلك
خلقتهم « الخ » .

الرابع : لو سلمنا جميع ذلك نقول : ترتب الغاية على فعل الحكيم ووجوبه
إنما هو فيما هو غاية بالذات ، والغاية بالذات هنا انما هي التكليف بالعبادة ، والعبادة
غاية بالعرض ، والتكليف شامل لجميع افراد الجن والانس للروايات الدالة على ان
الأطفال والمجانين يكتفون في القيامة كما سيأتي في كتاب الجنائز^(١) .

قوله : وقبل مما تمكم ، كان تخصيص قبل الملمات بالذكر وان كان داخلاً في الحياة
لمتنبيه على ان المدار على العاقبة في السعادة والشقاوة ، « لأبلوك وأبلوهم » اي
لأعمالك وإيتاهم معاملة المختبر « أيتكم احسن عملاً » مفعول ثان للبلوى بتضمين معنى
لعنهم .

(١) وقال بعض الاساتيد في الجواب عن هذا الايراد ما لفظه :

قلت : الاشكال مبنى على كون اللام في الجن والانس للاستغراق فيكون تخلف الغرض
في بعض الافراد منافياً له ، وتخلفاً من الغرض ، والظاهر ان اللام فيهما للجنس دون الاستغراق
فوجود العبادة في النوع في الجملة تحقق للغرض لا يضره تخلفه في بعض الافراد ، نعم لو
دفعنا العبادة عن جميع الافراد كان ذلك بطلائاً للغرض والله سبحانه في النوع غرض كما
انه في الفرد غرضاً .

وقبل مما تمكم فلذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار وكذلك أردت في تقديرى وتديري ، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم ، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغنى والفقر والمطيع والعاصي والصحيح والسقيم ومن به الزمانة ومن لاعاهة به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته ، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه وبصر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغنى إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، وينظر الفقير إلى الغنى فيدعوني ويسألني ، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هدته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء وفيما أعافيهم وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم

قوله: والطاعة والمعصية إسناد خلقهما إليه سبحانه اسناد إلى العلة البعيدة ، أو المراد به جعل المعصية معصية ، والطاعة طاعة ، أو المراد بالخلق التقدير على عموم المجاز أو الاشتراك ، وظاهره أن الجنة والنار مخلوقتان كما هو مذهب أكثر الإمامية بل كلهم ، وأكثر العامة ، وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنهما غير مخلوقتين الآن ، وستخلقان .

« وبعلمي النافذ فيهم » أي المتعلق بكنه ذواتهم وصفاتهم وأعمالهم ، كأنه نفذ في أعماقهم أو الجارى أثره فيهم « فجعلت منهم الشقي والسعيد » أي من كنت اعلم عند خلقه أنه يصير شقياً ، أو المادة القابلة للشقاوة وإن لم يكن مجبوراً عليها ، وكذا السعيد « والبصير » أي بصراً أو بصيرة ، وكذا الأعمى و « الدميم » في أكثر النسخ بالذال المعجمة ، أي المذموم الخلقة ، في القاموس : ذمه ذماً ومذمة فهو مذموم وذميم وبئر ذميم وذميمة قليلة الماء ، غزيرة ضد ، وبه ذميمة أي زمانة تمنعه الخروج ، وكأثير بشر يعلو الوجوه من حرّاً وجرب ، وفي بعض النسخ بالذال المهملة ، في القاموس : والدمة بالكسر الرجل القصير الحقيق ، وأدم أقبح أو ولد له ولد فبيع

و فيما آمنهم و أنا الله الملك القادر ، ولي أن أمضي جميع ما قدّرت على ما دبرت
ولي أن أغيّر من ذلك ما شئت إلى ما شئت و أقدم من ذلك ما أخّرت و أوخّر من
ذلك ما قدّمت و أنا الله الفعّال لما أريد لا أسأل عما أفعل و أنا أسأل خلقي عما

ديميم ، وقال : الزمانة العاهة وقوله : لا بلوهم بدل لقوله لذلك خلقتهم .

قوله : ولي أن أغيّر إشارة الى أن الطينات المختلفة والخلق منها ، وتقدير
الامور المذكورة فيهم ليس ممّا ينفي اختيار الخير والشرّ او من الامور الحتمية التي
لا تقبل البداء « لا اسئل عما افعل » انما لا يسئل لانه سبحانه الكامل بالذات العادل
في كلّ ما أراد ، العالم بالحكم والمصالح الخفيّة التي لا تصل اليها عقول الخلق ،
بخلاف غيره فانهم مسؤولون عن أعمالهم واحوالهم لان فيها الحسن والقيح والايمان
والكفر ، لا بالمعنى التي تذهب اليه الأشاعرة انه يجوز ان يدخل الانبياء عليهم السلام
النار والكفّار الجنّة ، ولا يجب عليه شيء ، وقيل : ان هذا اشارة الى عدم الوجوب
السابق وجواز تخلف المعلول عن العلة التامة كما اختاره هذا القائل .

وقال بعض ارباب التأويل في شرح هذا الخبر : إنهم املؤا السماء لان الملكوت
انما هو في باطن السماء وقد ملؤها ، وكانوا يومئذ ملكوتين ، والسرّ في تفاوت الخلائق
في الخيرات والشرور واختلافهم في السعادة والشقاوة واختلاف استعداداتهم وتنوع
حقايقهم لتباين المواد السفليّة في اللطافة والكثافة واختلاف أمزجتهم في القرب
والبعد من الاعتدال الحقيقي واختلاف الارواح التي بازائها في الصفاء والكدرورة والقوّة
والضعف وترتب درجاتهم في القرب من الله سبحانه والبعد عنه كما اشير اليه في الحديث :
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام .

وامّا سرّ هذا السرّ اعنى سرّ اختلاف الاستعدادات وتنوع الحقائق فهو تقابل
صفات الله سبحانه واسمائه الحسنی التي هي من اوصاف الكمال ونعوت الجلال ،
وضرورة تباين مظاهرها التي بها يظهر اثر تلك الاسماء ، فكلّ من الاسماء يوجب
تعلق ارادته سبحانه وقدرته الى ايجاد مخلوق يدلّ عليه من حيث اتصافه بتلك الصفة

هم فاعلون .

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن عبدالله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحبّ مما أحبّ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال فقلت : وأي شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلك في الشمس شيئاً وليس بشيء ، ثم

فلا بدّ من ايجاد المخلوقات كلها على اختلافها وتباين انواعها لتكون مظاهر لاسمائه الحسنی جميعاً ، ومجالي لصفاته العليا قاطبة ، كما اشير إلى طعة منه في هذا الحديث ، انتهى .

وأقول: هذه الكلمات مبنية على خرافات الصوفية وإنما نورد امثالها لتطلع على مسالك القوم في ذلك وآرائهم .

الحديث الثالث : ضعيف ، وقد مضى هذا الخبر بأدنى تغيير في المتن والسند في باب فيه تنف وجوامع من الرواية في الولاية ، وقد شرحناه هناك ، وقيل : «ما» في قوله : «ما أحبّ» «وما أبغض» مصدرية وقد مضى تأويله بالعلم او باختلاف الاستعدادات ، والمراد بالظل إما عالم الارواح او عالم المثال ، فعلى الاول شبه الروح المجرد على القول به او الجسم اللطيف بالظل لطافته وعدم كثافته ، أو لكونه تابعاً لعالم الاجساد الاصلية ، وعلى الثاني ظاهر ، وقوله : شيئاً بتقدير تحسبه او الرؤية بمعنى العلم لكن ينافيه تعديتها بالي ، والأظهر شيء كما كان فيما مضى .

وقيل : أراد بقوله وليس بشيء أن الحياة والتكليف في ذلك الوقت لا يصيران سبباً للنشأ والمقاب كفعال النائم ولا يبقى ، بل مثال وحكاية عن الحياة والتكليف في الابدان ولذا يسمّى الوجود الذهني بالوجود الظلي ، لعدم كونه منشئاً للآثار ومبدءاً للأحكام ، وقيل : يمكن أن يراد به عالم الذرّ المبادئ لعالم الاجسام الكثيفة وهو يحكى عن هذا العالم ويشبهه وليس منه فهو ظلّ بالنسبة اليه ، او عالم الارواح

بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله عز وجل وهو قوله عز وجل : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله » ^(١) ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأقرَّ بعضهم وأنكر بعض ، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقرَّ بها والله من أحبَّ وأنكرها من أبغض وهو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ^(٢) ثم قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثم .

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : ألا إنَّ الدَّرية أفنان أنا شجرتها ، ودوحة أنا ساقها ، وإنني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء ، كنا اظلالاً تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحاً حالية لا اجساماً نامية .

« ليقولنَّ الله » أي خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف في تقديم المحذوف وتأخير ، والمشهور الأوَّل ، والغرض أن اضطرارهم إلى هذا الجواب بمقتضى العهد والميثاق ، قوله : ما كانوا ليؤمنوا ، الآية في سورة الاعراف هكذا : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » وقال البيضاوى : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بالمعجزات ، بما كذبوا من قبل ، أي بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب ، أو فما كانوا ليؤمنوا مدَّة عمرهم بما كذبوا به أو لاحقين جائتهم الرسل ولم يؤثر قطَّ فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة ، واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنَّهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم .

(١) سورة لقمان : ٢٥ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠١ .

﴿ باب ﴾

﴿ أن رسول الله (ص) أول من أجاب وأقر الله عز وجل بالربوبية ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم ؟ فقال : إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فكنت

باب ان رسول الله (ص) اول من اجاب واقر الله تعالى بالربوبية

الحديث الاول : ضعيف وقد مر في باب مولد النبي ﷺ .

قوله : سبقت الأنبياء ، أى رتبة وفضلاً وآخرهم منصوب بالظرفية وخاتمهم مرفوع بالعطف على بعثت ، وعلى طريقة اصحاب التأويل يمكن ان يراد بسبقه ﷺ الى الاقرار كونه اكثر قابلية واستعداداً لقبول الحق وادراك المعارف الربانية ، وقوله ﷺ حيث اخذ الله ، يمكن تعلقه بالجملة معاً وبالاخيرة فقط ، كما هو الظاهر ، فعلى الاخير يمكن ان يكون سبق الايمان اشارة الى سبق خلق روحه على خلق ساير الأرواح وقد آمن عند وجوده ، فزمان إيمانه وإقراره أكثر من زمان ايمان الجميع ، ويمكن أن يكون المراد الايمان في عالم الاجساد أى عند تعلق الروح بالبدن كان معرفتي وإيماني قبل سائر الأنبياء فانه ﷺ كان متكلماً بالتوحيد في بطن أمه وهو بعيد ، وقيل في علة تأخيره ﷺ في الوجود البدني والبعثة وجوه : « منها » تعظيمه لأن ساير الأنبياء مقدمة له خبرة بوجوده وبعثته كالمقدمة للسلطان ، ومنها : تكميله للأديان السابقة كما قال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، ومنها : تعظيم دينه من جهة نسخه للشرايع السابقة وعدم نسخ شرع آخر ، ومنها : أن يكون شاهداً لتبليغ جميع الأنبياء ، وايضاً مقتضى الترتيب الترقى من الأدنى

أنا أول نبي قال : بلى ، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل .

٢ - أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إني لأرى بعض أصحابنا يعتربه النزق والحدّة والطيش فأغتم لذلك غمّاً شديداً وأرى من خالفنا فأراه حسن السمّت قال : لا تقل حسن السمّت فإنّ السمّت سمّت الطريق ولكن قل حسن السيماء ، فإنّ الله عز وجل يقول : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » ^(١) قال : قلت : فأراه حسن

إلى الأعلى ، ولو جيء بالأدون بعد الأفضل لا تظهر رتبتهما وفضلهما كما لا يخفى .

الحديث الثاني : مرسل .

ويقال : عراه واعتراه أى غشيه وأناه ، والنزق بالفتح والتحريك الخفة عند الغضب ، والحدّة والطيش قريبان منه ، وقال الجوهري : السمّت الطريق وسمت يسمت بالضم أى قصد ، والسمّت هيئة أهل الخير ، يقال : ما أحسن سمته أى هديه ، وقال : السيماء مقصور من الواو ، قال تعالى : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » وقد يجيء السيماء والسيمااء ممدودين ، وقال الفيروز آبادي : السمّت الطريق وهيئة أهل الخير ، والسير على الطريق بالظن وحسن النحو وقصد الشيء ، وقال : السيماء والسيمااء بكسر هاء : العلامة ، وقال الجزري : السمّت : الهيئة الحسنّة ، ومنه فينظرون إلى سمته وهديه أى حسن هيئته ومنظره في الدين ، وليس من الحسن والجمال .

وقيل : هو من السمّت : الطريق ، يقال : ألزم هذا السمّت ، وفلان حسن سمّت أى حسن القصد ، وقال الزحاشي : السمّت أخذ النهج ولزوم المحجّة يقال : ما أحسن سمته أى طريقتهما أى طريقتهما التي ينتهجها في تحرّي الخير والترقي نرى الصالحين ، وفي المصباح : السمّت الطريق والقصد والسكينة والوقار والهيئة . انتهى .

السيماء وله وقار فأغتم لذلك ، قال : لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك ، إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطيمنتين ، ثم فرقهما فرقتين ، فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقاً بائناً ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ يسمى ، وقال لأهل الشمال : كونوا خلقاً بائناً ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ ، يدرج ، ثم رفع لهم ناراً فقال : ادخلوها بائناً ، فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم اتبعه أولوا العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم ، ثم قال لأصحاب الشمال : ادخلوها بائناً ، فقالوا : ربنا خلقتنا لتحرقنا ؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين اخرجوا

ولعلّ منعه ﷺ عن إطلاق السمّ لأن السمّ يكون بمعنى سمت الطريق فيوهم أن طريقهم ومذهبهم حسن فعبر ﷺ بعبارة أخرى لا يوهم ذلك ، أو لما لم يكن السمّ بمعنى هيئة أهل الخير فصيحاً أمر بعبارة أخرى أفصح منه ، أو أنه ﷺ علم أنه أراد بالسمّ السيماء لا هيئة أهل الخير والطريقة الحسنة والأفعال المحمودة فلذا نسبته ﷺ بأن السمّ لم يأت بالمعنى الذى اردت وهذا قريب من الاول ، والوفار الاطمينان والسكينة البدنية « لأصحاب اليمين » أى للذين كانوا في يمين الملك الذى أمره بتفريقها أو للذين كانوا في يمين العرش أو للذين علم أنهم سيصيرون من المؤمنين الذين يقفون في القيامة عن يمين العرش « كونوا خلقاً » أى مخلوقين ذوى أرواح ، وقيل : أى كونوا أرواحاً بمنزلة الذرّ رأى النمل الصغار يسمى وإطلاق السعى هنا والدرج فيما سيأتى إما طحّض التفنّن في العبارة ، أو المراد بالسعى سرعة السير ، وبالدرج المشى الضعيف كما يقال : درج الصبي إذا مشى أوّل مشيه فيكون إشارة إلى مسارعة الاولين الى الخيرات وبطوء الآخرين عنها ، وقيل : المراد سعى الاولين إلى العلوّ والآخرين إلى السفلى ، ولا دلالة في اللفظ عليهما .

« ثم اتبعه أولوا العزم » أى سائرهم ﷺ ، والكلم : الجرح والفعل كضرب ، وقد يبنى على التفعيل ، وفي القاموس : وهج النار تهج وهجاً وهججاً انتقدت ، والاسم الوهج محرّكة

بإذني من النار ، لم تكلم النار منهم كلاً ، ولم تؤثر فيهم أثراً ، فلما رآهم اصحاب الشمال ، قالوا : ربنا نرى اصحابنا قد سلموا فأقلنا و امرنا بالدخول ، قال : قد اقلتكم فادخلوها ، فلما دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا : يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا ، فأمرهم بالدخول ثلاثاً ، كل ذلك يعصون و يرجعون وأمر أولئك ثلاثاً ، كل ذلك يطيعون ويخرجون ، فقال لهم : كونوا طيناً بإذني فخلق منه آدم ، قال :

وأقول : ما عرفت من التأويلات في الاخبار السابقة يمكن إجراء أكثرها في هذا الخبر كأن يقال : لما كان من علم الله منهم السعادة تابعين للعقل والمقتضيات للنفس المقدس فكأنها طينتهم ، ومن علم الله منهم الشقاوة تابعين للشهوات البدنية ودواعي النفس الأمارة فكأنها طينتهم ، ولما مزج الله بينهما في عالم الشهود جرى في غالب الناس الطاعة والمعصية ، والصفات القدسية والملكات الردية ، فما كان من الخيرات فهو من جهة العقل والنفس وهما طينة اصحاب اليمين وإن كان في اصحاب الشمال وما كان من الشرور والمعاصي فهو من الاجزاء البدنية التي هي طينة اصحاب الشمال وإن كان في اصحاب اليمين ، ويمكن أيضاً ان يقال : المعنى ان الله تعالى لما قرّر في خلقه آدم ﷺ وطينته دواعي الخير والشر وعلم أنه يكون في ذريته السعداء و الأشقياء وخلق آدم ﷺ مع علمه بذلك فكأنه خلط بين الطينتين ، ولما كان اولاد آدم مدتين بالطبع لا بدّ لهم في نشأة الدنيا من المخالطة والمصاحبة ، فالسعداء يكتسبون الصفات الذميمة من مخالطة الاشقياء وبالعكس .

فلعلّ قوله : من لطح اصحاب الشمال ومن لطح اصحاب اليمين اشارة الى هذا معنى ، ولما كان السبب الاقوى في اكتساب السعداء صفات الاشقياء ، استيلاء ائمة الجور واتباعهم على ائمة الحق واتباعهم ، وعلم الله ان المؤمنين إنما يرتكبون الآثام لاستيلاء هذا الباطل عليهم وعدم توكلي ائمة الحق لسياستهم فيعذرهم بذلك ، ويعفو عنهم ويعذب ائمة الجور واتباعهم بتسبيبتهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم .

فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رأيت من نزع اصحابك وخلقهم فمما اصابهم من لطم اصحاب الشمال وما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما اصابهم من لطم اصحاب اليمين .

٣ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن اسماعيل ، عن محمد بن اسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سئل رسول الله ﷺ باي شيء سبقت ولد آدم ؟ قال : اني اوّل من اقرّ بربي ، ان الله اخذ ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فكنت اوّل من أجاب .

﴿ باب ﴾

﴿ كيف أجابوا وهم ذر ﴾

١ - علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن بعض اصحابنا ، عن ابي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : جعل فيهم ما

كما ورد في بعض الاخبار : أن الله تعالى يلحق الأعمال السيئة التي اقترفها المؤمنون بالنواصب لأنّها من طينتهم ، والأعمال الحسنة التي اكتسبها النواصب بالمؤمنين لأنها من طينتهم ، وقد اوردنا الاخبار في ذلك في كتابنا الكبير ، وهذا باب غامض تعجز العقول عن إدراكها والافرار بالجهل والعجز في مثله أولى .

الحديث الثالث : ضعيف وشرحه ظاهر مما مر .

« باب كيف أجابوا وهم ذر »

الحديث الاول : حسن .

« ما إذا سألهم كلمة « ما » موصولة والعائد محذوف أي أجابوه به ، أي جعل

إذا سألهم أجابوه ، يعنى في الميثاق .

في كل ذرّة العقل وآلة السمع وآلة النطق ، ومن حمل الآيّة على الاستعارة والتمثيل يحمل الخبر على أنّ المراد به أنّ ذلك كناية عن انه جعلهم بحيث اذا سئلوا في عالم الابدان أجابوا بلسان المقال وهو بعيد ، وروى العياشى في تفسيره باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام قال : أتاه ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين اخبرني عن الله تعالى هل كلّم أحدًا من ولد آدم قبل موسى عليه السلام؟ فقال عليّ عليه السلام : قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب ، فنقل ذلك على ابن الكواء ولم يعرفه ، فقال له : كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » فأسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب كما تسمع في قوله الله يا ابن الكواء : « قالوا بلى » فقال لهم : إني أنا الله لا إله إلا أنا وأنا الرحمن ، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء ، وأمر الخلق بطاعتهم فأقرّوا بذلك في الميثاق ، فقالت الملائكة : شهدنا عليكم يا بنى آدم أن تقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين .

ثم قال العياشى : قال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الذرّ حيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر كيف علموا القول حيث قيل لهم ألست بربكم ؟ قال : إنّ الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه وروى أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « ألست بربكم قالوا بلى » قلت : قالوا بالسنّتهم ؟ قال : نعم ، وقالوا بقلوبهم ، قلت : وای شيء كانوا يومئذ ؟ قال : صنع فيهم ما اكتفى به .

تذييل نفعه جليل

إعلم أنّ آیات الميثاق والاحبار الواردة في ذلك ممّا يقصر عنه عقول اكثر

• • • • •

الخلق ، وللناس فيها مسالك :

الاول : طريقة المحدثين والمتورعين فانهم يقولون تؤمن بظواهرها ولا نخوض فيها ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل .

والثاني : حملها على الاستعارة والمجاز والتمثيل .

والثالث : حملها على أخذ الميثاق في عالم التكليف بعد اكمال العقل بالبرهان

والدليل .

فلنذكر هنا بعض ما ذكره اصحابنا والمخالفون في ذلك .

فمنها : ما ذكره الشيخ المفيد (ره) في جواب المسائل السروية حيث سئل :

ما قوله اُدام الله تأييده في معنى الأخبار المروية عن الائمة الهادية عليهم السلام في الاشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام واخراج الذرية من صلبه على صور الذر ، ومعنى قول رسول الله ﷺ : الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟

الجواب وبالله التوفيق أن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتباين معانيها ، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة وصنفوا فيها كتباً لغوا فيها وهزوا فيما اثبتوه منه في معانيها ، و اضافوا ما حوته الكتب الى جماعة من شيوخ اهل الحق وتخرصوا الباطل باضافتها اليهم ، من حملتها كتاب سموه كتاب الاشباح والاطلة نسبوه في تأليفه الى محمد بن سنان ولسنا نعلم صحة ما ذكره في هذا الباب عنه وان كان صحيحاً ، فإن ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو ، فان صدقوا في اضافة هذا الكتاب اليه فهو ضالال لزال عن الحق ، وإن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك ، والصحيح من حديث الاشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأن آدم عليه السلام رأى على العرش اشباحاً يلعب نورها ، فسأل الله تعالى عنها فأوحى اليه أنها اشباح رسول الله وامير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، وأعلمه انه لولا الاشباح

التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا ارضاً والوجه فيما اظهره الله تعالى من الاشباح والصور لآدم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم ، وجعل ذلك اجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا يتم إلا بهم ، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة ولا ارواحاً ناطقة لكنّها كانت على مثل صورهم في البشرية يدلّ على ما يكونون عليه في المستقبل في الهيئة والنور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم وضياء الحق بحججهم، وقد روى أن أسمائهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش وأنّ آدم لما تاب إلى الله عز وجلّ ونجاه بقبول توبته سأل بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجاب ، وهذا غير منكر في العقول ولا مضاد للشرع المنقول وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون وسلم لروايته طائفة الحق ولا طريق إلى إنكاره والله وليّ التوفيق .

« فصل ، ومثل ما بشر الله به آدم عليه السلام من تأهيله بنبيه عليه وآله السلام لما أهله له ، وتأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام لما أهلهم له ، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشر به في الكتب الاولى من بعثته لنبيينا ﷺ فقال في محكم كتابه : « النبيّ الاميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصره واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » ^(١) وقوله تعالى مخبراً عن المسيح عليه السلام : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ^(٢) وقوله سبحانه : « وإن أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه » ^(٣) يعني رسول الله ﷺ فحصلت البشائر به من الانبياء

(١) سورة الاعراف : ١٧٥ .

(٢) سورة الصف : ٦ .

(٣) سورة آل عمران : ٨١ .

وأمرهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود ، وإنما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه وأن يأخذ العهد على الأنبياء والأمم كلها ، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه وأشخاص أهل بيته عليه السلام ، وأثبت أسمائهم له ليخبره بعاقبتهم ويبين له عن محلهم عنده ومنزلتهم لديه ، ولم يكونوا في تلك الحال أحياء ناطقين ولا أرواحاً مكلفين ، وإنما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه .

« فصل » وقد بشر الله عز وجل بالنبي والائمة عليه السلام في الكتب الأولى فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليه السلام وأهل الكتب يقرؤونه ، واليهود يعرفونه أنه ناجي إبراهيم الخليل في مناجاته : اني قد عظمتك وباركت عليك وعلى اسماعيل وجعلت منه اثني عشر عظيماً وكبرتهم جداً جداً وجعلت منهم شعباً عظيماً لامة عظيمة ، وأشباه ذلك كثيرة في كتب الله تعالى الاولى .

« فصل » فأما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه ، والصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فملاً بهم الافق ، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ، فلمّا رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة ، فقال : يا ربّ ما هؤلاء ؟ قال الله عز وجل له : هؤلاء ذرّيتك ، يريد تعريفه كثرتهم ، وامتلأ الآفاق بهم ، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الذي رآه ليعرفه قدرته ، ويبشّره بانصال نسله وكثرتهم ، فقال آدم عليه السلام : يا ربّ مالي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم ظلمة ونوراً ؟ فقال تبارك وتعالى : أمّا الذي عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري ، فاولئك سكّان الجنة ، وأمّا الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني ، فأما الذين عليهم نور وظلمة فاولئك الذين يطيعوني من ولدك

ويعصوني ، فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة ، فهؤلاء أمرهم إلى إن شئت عذبّتهم فبعدي ، وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي ، فأنبأ الله تعالى بما يكون من وائده وشبههم بالذرّ الذي أخرجهم من ظهره ، وجعله علامة على كثرة ولده ، ويحتمل أن يكون ما أخرجهم من ظهره و جعل أجسام ذرّيته دون أرواحهم ، وإنما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم ﷺ على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، وأعلمه بالكائن قبل كونه ، وليزداد آدم ﷺ به يقيناً بربه ، ويدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته ، والتمسك بأوامره ، والاجتناب لزواجه .

فأما الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم ﷺ استنطقوا في الذرّ فنطقوا فخذ عليهم العهد فأقرّوا فهي من أخبار التناسخية وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق ببطل والمعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عدا مما استمرّ القول به عسى الأدلة العقلية والحجج السمعية ، وإنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه .

« فصل » فإن تعلّق بقوله تبارك اسمه : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » فظنّ بظاهر هذا القول تحقيق ما رواه أهل التناسخ والحشوية والعامّة في إنطاق الذرية وخطابهم وأنهم كانوا أحياء ناطقين ؟ فالجواب عنه : أن لهذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها مما هو مجاز وإستعارة ، والمعنى فيها أن الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته العهد عليه بربوبيته من حيث أكمل عقله ودلّه بآثار الصنعة على حدثه ، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه ؛ يستحقّ العبادة منه بنعمه عليه ، فذلك هو أخذ العهد منهم وآثار الصنعة فيهم والاشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربهم

• • • • •

وقوله تعالى : « قالوا بلى » يريد به أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ، ودلائل حديثهم اللازمة لهم ، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم ، فكأنّه سبحانه لما ألزمهم الحجّة بعقولهم على حديثهم ووجود محدثهم قال لهم ألسنت بربكم فلما لم يقدرُوا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين بلى شهدنا ، وقوله تعالى : أن يقولوا يوم القيامة إنّنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ، ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرُون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره ، ولا يستطيعون وقد قال سبحانه : « والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حقّ عليه العذاب » ^(١) ولم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة ، وإنّما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبّر عنه بالساجد قال الشاعر :

بجمع تظلّ البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

يريد أن الحوافر تدلّ الأكم بوطينها عليها ، وقوله تعالى : « ثمّ استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » ^(٢) وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام ، ولا السماء قالت قولاً مسموعاً ، وإنّما أراد أنّه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعذّر عليه صنعتها ، فكأنّه لما خلقها قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، فلما تعلّقنا بقدرته كانتا كالقائل أتينا طائعين ، وكمل قولهُ تعالى : « يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » ^(٣) والله تعالى يجعل عن خطاب النار وهو ممّا لا يعقل ولا يتكلّم ، وإنّما الخبر عن سعتها وأنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين ، وذلك كلّهُ على مذهب أهل اللغة وعاداتهم في المجاز ، ألا

(٢) سورة فصلت : ١١ .

(١) سورة الحج : ١٨ .

(٣) سورة ق : ٣٠ .

• • • • •

نرى إلى قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعاً وطاعة
والعينان لم تقل قولاً مسموعاً ولكنه أراد منها البكاء ، فكانتا كما أراد من
غير تعذر عليه ، ومثله قول عنتره :

فازود من وقع القنا بلبائنه
وشكى إلى بعبرة وتحمحم
والفرس لا يشتكى قولاً لكنه ظهر منه علامة الخوف والجزع ، فسمي ذلك
قولاً ، ومنه قول الآخر : « وشكى إلى جملي طول السرى » والجمل لا يتكلم لكنه
لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي
يكون كالنطق والكلام ، ومنه قولهم أيضاً :

امتلاء الحوض وقال قطني
حسبك مني قد ملأت بطني
والحوض لم يقل قطني لكنه لما امتلاء بالماء عبّر عنه بأنه قال : حسبي ، ولذلك
أمنل كثيرة في منشور كلام العرب ومنظومه ، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في
تأويل الآية ، والله تعالى بسئل التوفيق .

« فصل » فأما الخبر بأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الاجساد بألفي عام فهو
من أخبار الآحاد ، وقد روته العامة كما روته الخاصة ، وليس هو مع ذلك مما
يقطع على الله بصحته ، وإنما نقله رواه لحسن الظن به ، وإن ثبت القول فالمعنى
فيه أن الله تعالى قدر الأرواح في علمه قبل اختراع الاجساد و اختراع الأجساد
واختراع لها الأرواح ، فالخلق للأرواح قبل الاجساد خلق تقدير في العلم كما قد مناه ،
وليس بخلق لذواتها كما وصفناه ، والخلق لها بالاحداث والاختراع بعد خلق الاجساد
والصور التي تدبرها الأرواح ، ولولا أن ذلك كذلك لكانت الأرواح يقوم بأنفسها
ولا تحتاج إلى آلات تعتملها ، ولكننا نعرف ما سلف لنا من الاحوال قبل خلق
الاجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الاجساد ، وهذا محال لاخفاء بفساده .

• • • • •

وأما الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فاطمئنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تقتاصر بالجنس ، وتتخاذل بالعوارض ، فما تعارف منها باتّفاق الرأي والهوى ائتلف ، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف ، وهذا موجود حسّاً ومشاهد ، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف كما يذهب إليه الحشويّة كما بيّناه من أنّه لا علم للانسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم ، ولو ذكر بكلّ شيء ما ذكر بذلك فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه والله الموفق للصواب ، انتهى .

وأقول : طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على الله وعلى أئمة الدين ، ولو تأملت فيما يدعوههم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الاجترار على طرح خبر واحد فكيف يمكن طرح تلك الاخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها ، وقد أوردنا الاخبار الدالة على تقدّم خلق الأرواح على الاجساد في كتاب السماء والعالم من كتابنا الكبير وتكلّمنا عليها هناك .

ومنها : ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم ما قدر » وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ، أنّ تأويل هذه الآية أنّ الله تعالى سبحانه استخرج من ظهر آدم ﷺ جميع ذريّته وهم في خلق الذرّ ، فقرّهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أنّ العقل يبطله ويحيله ، ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأنّ الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بني آدم ما قدر » ولم يقل من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهوره ، وقال : ذريّتهم ، ولم يقل : ذريّته ، ثمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلاّ يقولوا يوم القيامة أنّهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشأوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم ﷺ أصله ، وأنّها إنّما

تناولت من كانت له آباء مشركون ، وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذريّة بني آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم .

فأمّا شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذريّة التي استخرجت من ظهر آدم ﷺ وخطمت وقرّرت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كذلك ، فان كانت بالصفة الاولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرّروا به واستشهدوا عليه لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرّف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وسائر أحواله .

وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير ، لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والانعماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم ، لأنّ سائر ما عدّناه ممّا نفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب ، وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرنا ، وذلك أننا إنمّا أوجبنا ذكر العقلاء لما أدّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل ، ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه ، على أنّ تجويز النسيان عليهم ينقض الفرض في الآية ، وذلك أنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنمّا قرّرهم وأشهدهم لثلاث يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجّة عنهم فيه ، وإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم وزوالها ، وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط التكليف نبح خطابهم وتقديرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه .

فان قيل : قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم ؟

قلنا : في الآية وجهان «أحدهما» أن يكون تعالى إنمّا عني بها جماعة من ذرية

بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وفرّهم على ألسن رسله ﷺ بمعرفته وما يجب من طاعته ، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة إنّنا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم ، وإنّما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ الذريّة لا يقع إلّا على من لم يكن كاملاً عاقلاً وليس الامر كما ظنّ لأنّا نسمّي جميع البشر بأنّهم ذريّة آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى : « ربّنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم » ^(١) ولفظ الصالح لا يطلق إلّا على من كان كاملاً عاقلاً فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكشّفين فهذا جوابهم .

الجواب الثاني : أنّه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أَراده الله تعالى وتعذّر إمتناعهم منه وانفكاكهم من دلالاته بمنزلة المقرّ المعترف وإن لم يكن هناك إشهد ولا اعتراف على الحقيقة ، ويجري ذلك مجري قوله تعالى « ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالنا أتينا طائعين » ^(٢) وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ، ومثله قوله تعالى : « شاهدين على أنفسهم بالكفر » ^(٣) ونحن نعلم أنّ الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وأنّهم لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ، ومثل هذا قولهم : جوارحى تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك ، وما روي عن بعض الحكماء : سل الأرض من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً ، وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني

(١) سورة غافر : ٨

(٢) سورة فصلت : ١١

(٣) سورة التوبة : ١٧

عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها .

ومنها : ما ذكره الرازي في تفسير تلك الآية حيث قال : في تفسير تلك الآية قولان مشهوران « الأوّل » وهو مذهب المفسّرين وأهل الاثر : ماروى مسلم بن يسار الجهنى أن عمر سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها ؟ فقال : إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة ، وقال مقاتل : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذرّ تتحرّك ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذرّ فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم : ألسن بر ربكم قالوا بلى فقال المبيض : هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود : هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشئمة ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وقال تعالى فيمن نقض العهد الأوّل : « وما وجدنا لكثرهم من عهد » (١)

وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسّرين كسعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي .

وأما المعتزلة فقد أطبقوا على أنّه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه

واحتجوا على فساد هذا القول بوجوه : «الاولى» : أنه قال من بني آدم ، من ظهورهم فقلوه : من ظهورهم بدل من قوله : بني آدم ، فلم يذكر الله أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً .
الثانية : انه لو كان كذلك لما قال : من ظهورهم ، ولا من ذريّاتهم بل قال : من ظهره وذريّته .

الثالثة : أنه تعالى حكى عن أولئك الذرية أنهم قالوا : إنما أشرك آبائنا من قبل ، وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنه ﷺ ما كان مشركاً .
الرابعة : أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل فلو أخذ الله الميثاق من أولئك لكانوا عقلاء ، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكروا في هذا الوقت أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأنّ الانسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهلّبة فأنه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلياً لا يتذكّر منها شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ ، فاننا نقول لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكّر الآن أننا كنّا قبل هذا الجسد في أجساد أخرى ، وحيث لم نتذكّر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً ، فاذا كان اعتمادنا في إبطال التناسخ ليس إلا على هذا الدليل وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسئلة وجب القول بمقتضاه .

الخامسة أن جميع الخلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم ﷺ عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذرّات تبلغ مبلغاً عظيماً في الحجميّة والمقدار ، وصلب آدم على صغره يبعد أن يتسع لهذا المجموع .

السادسة : أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم ، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كلّ ذرة من ذرّات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنّفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة ، وفتح هذا الباب يقضى إلى إلزام الجهالات ، وإذا ثبت أن البنية شرط لحصول الحياة فكل واحد من تلك الذرّات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً

إلا إذا حصلت له قدرة من البنية والجثة ، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخلق آدم ﷺ إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن أن يقال أنهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام .

السابعة : قالوا هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذ الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا ، والاول باطل لان عقاد الاجماع على أن بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب والمدح والذم ، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا ، لأنهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجة عليهم في التمسك بالايمان .

الثامنة : قال الكعبي ان حال أولئك الذرية لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الاطفال ، فلهذا لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئك الذر ؟ وأجاب الزجاج عنه وقال : لما لم يبعد أن يؤتى الله النمل كما قال : وقالت نملة يا أيها النمل ، ^(١) وأن يعطى الجبل الفهم حتى يسبح كما قال : وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ، ^(٢) وكما أعطى الله العقل للبعير حتى سجد نرسول ﷺ ، والمنحلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا هنا .

التاسعة : أن أولئك الذر في ذلك الوقت إما أن يكونوا كاملين العقول والقدر أو ما كانوا كذلك ، فان كان الأول كانوا مكلفين لا محالة ، وإثما يبقون مكلفين إذا عرفوا الله بالاستدلال ، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن حوالهم في هذه الحياة الدنيا ، فلو افترق التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق

(١) سورة النمل : ٢٧

(٢) سورة الانبياء : ٧٩

• • • • •

لافتقر التكليف في سبق ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر ولزم التسلسل وهو محال ،
وأما الثاني وهو أن يقال : إنهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ،
ولا كاملي القدر ، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم .

العاشر : قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق » خلق من ماء دافق ^(١)
ولو كانت تلك الذرات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق
ولا معنى للانسان إلا ذلك الشيء ، فحينئذ لا يكون الانسان مخلوقاً من الماء الدافق
وذلك رد لنص القرآن ، فان قالوا : لم لا يجوز أن يقال : أنه تعالى خلقه كامل العقل
والفهم والقدرة عند الميثاق ثم أزال عقله وفهمه وقدرته ، ثم أنه خلقه مرة أخرى
إلى رحم الأم وأخرجه إلى هذه الحياة الدنيا ؟ قلنا : هذا باطل لأنه لو كان الامر
كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء بل كان يجب أن يكون خلقاً
على سبيل الاعادة ، وأجمع المسلمون على أن خلقه من النطفة هو الخلق المبتداء فدل
هذا على أن ما ذكرتموه باطل .

الحادية عشر : هي أن تلك الذرات إما أن يقال أنه عين هؤلاء الناس أو
غيرهم ، والقول الثاني باطل بالاجماع في القول الاول ، فنقول : إما أن يقال إنهم
بقوا فهماء عقلاء قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة ، أو ما بقوا كذلك والاول
باطل بيديهة العقل ، والثاني يقتضي أن يقال الانسان حصل له الحياة أربع مرات ،
أو لها وقت الميثاق ، وثانيها في الدنيا ، وثالثها في القبر ، ورابعها في القيامة وأنه حصل
له الموت ثلاث مرات موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الاول ، وموت في الدنيا
وموت في القبر ، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين

وأحييتنا اثنتين» (١).

الثانية عشر : قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سالة من طين » (٢) فلو كان القول بهذا الذرّ صحيحاً لكان ذلك الذرّ هو الانسان لأنّه هو المكلّف المخاطب المثاب المعاقب ، وذلك باطل لأنّ الذرّ غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، ونصّ الكتاب دليل على أنّ الانسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، وهو قوله : « ولقد خلقنا الانسان من سالة من طين » وقوله : « قتل الانسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه » (٣).

فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف .

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّ وهم الاولاد من أصلاب آبائهم ، وذلك الاخراج أنّهم كانوا نطفة ، فأخرجها الله تعالى في أرحام الامهات وجعلها علقة ثمّ مضغة ثمّ جعلهم بشراً سوياً وخلقاً كاملاً ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه ، فبالاشهاد صاروا كأنّهم قالوا بلى ، وإن لم يكن هناك قول باللسان ، ولذلك نظائر منها قوله تعالى : « قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » (٤) ومنها قوله تعالى : « إنّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٥) وقول العرب : قال الجدار للوتد لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني فانّ الذي ورائي ما خلاني ورائي وقال الشاعر : « امتلاء الحوض و قال قطني » .

وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام ، فوجب حمل الكلام عليه فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين ، وهذا القول الثاني لاطعن فيه البتّة ، وبتقدير أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحّة القول الاول ، إنّما الكلام في

(٢) سورة المؤمنون : ١٢

(٤) سورة فصلت : ١١

(١) سورة الفافر : ١١

(٣) سورة العبس : ١٧

(٥) سورة النحل : ٤٠

أنّ القول الأوّل هل يصحّ أم لا .

فان قال قائل : فما المختار عندكم فيه ؟ قلنا : هيهنا مقامان : « احدهما » أنّه هل يصحّ القول بأخذ الميثاق عن الذرّ ؟ والثاني أنّ بتقدير أنّ يصحّ القول به فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية ؟

أمّا المقام الأوّل فالمتكرون له قد تمسّكوا بالدلائل العقلية التي ذكرناها وقرّرناها ، ويمكن الجواب عن كلّ واحد منها بوجه مقنع :

أمّا الوجه الأوّل من الوجوه العقلية المذكورة وهو أنّه لو صحّ القول بأخذ هذه الميثاق لوجب أن نتذكّر الآن ؟ قلنا : خالق العلم بحصول الاحوال الماضية هو الله تعالى لأنّ هذه العلوم عقلية ضرورية ، والعلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى ، وإذا كان كذلك صحّ منه تعالى أن يخلقها ، فان قالوا : فاذا جوّزتم هذا فجوّزوا أن يقال أنّ قبل هذا البدن كنّا في أبدان اخرى على سبيل التناسخ وإن كنّا لا نتذكّر الآن أحوال تلك الابدان ؟ قلنا : الفرق بين الامرين ظاهر ، وذلك لانّا إذا كنّا في أبدان اخرى وبقينا فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميثاق إنّما حصل في أسرع زمان وأقلّ وقت فلم يبعد حصول النسيان والفرق الظاهر حاكم بصحّة هذا الفرق لأنّ الانسان إذا بقى على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها ، أمّا إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساها فظهر الفرق .

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال : مجموع تلك الذرّات يمتنع حصولها بأسرها في ظهر آدم ﷺ ؟ قلنا : عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزّى قابل للحياة والعقل ، فاذا جعلنا كلّ واحد من تلك الذرّات جوهرّاً فرداً فلم قلتم أنّ ظهر آدم لا يتّسع لمجموعها ، إلّا أنّ هذا الجواب لا يتمّ إلّا إذا قلنا : الانسان جوهر فرد وجزء لا يتجزّى في البدن ، على ما هو مذهب

• • • • •

بعض القدماء ، وأما إذا قلنا الانسان هو النفس الناطقة وأنه جوهر غير متحيز ولا حال في متحيز فالسؤال زائل .

وأما الوجه الثالث وهو قوله : فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجة في ذلك الوقت أو في الحياة الدنيا ، فجوابنا أن نقول : يفعل الله ما يشاء وبحكم ما يريد ، وأيضاً أليس أن من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وإنطاق الجوارح قالوا : لا يبعد أن يكون لبعض الملكتين في إسماع هذه الاشياء لطف ، فكذا هي هنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميز السعداء من الاشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف ، وقيل : ايضاً أن الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة .

وبقية الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هين .

وأما المقام الثاني وهو أن بتقدير أن يصح القول بأخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول : الوجوه الثلاثة المذكورة أولاً دافعة لذلك ، لأن قوله : أخذ ربك من بني آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم ، فقد بينا أن المراد منه وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ، وأيضاً لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم يقال من ظهره ، ذريته ، ولم يقل من ظهورهم ، ذريتهم ، أجاب الناصرون لذلك القول بأنه صحت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه فسر هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله ﷺ غير ممكن ؟ فنقول : ظاهر الآية تدل على أنه تعالى أخرج ذراً من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنه تعالى يعلم أن الشخص الفلاني يتولد منه فلان ، ومن ذلك الفلان فلان آخر ، فملى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض ، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته ، وليس في الآية أيضاً ما يدل على بطلانه إلا أن الخبر قد دل عليه ، فثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة فوجب

﴿ باب ﴾

﴿ فطرة الخلق على التوحيد ﴾

١ - على بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قلت : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ^(١)؟ قال : التوحيد .

المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الامكان ، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام ، انتهى .

ولنكتف بنقل ما نقلنا من غير تعرض لجرح وتعديل فان من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الاخبار وكلام من تكلم في ذلك يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق في ذلك بفضلته تعالى .

باب فطرة الخلق على التوحيد

الحديث الاول : حسن .

« فطرة الله » إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفاً » قال البيضاوي أي فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه ، وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه وبه « فطرة الله » خلقته ، نصب على الاغراء أو المصدر بما دل عليه ما بعدها « التي فطر الناس عليها » خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكّنهم من إدراكه ، أو ملّة الاسلام فانهم لو خلّوا وما خلّقوا عليه أدّى بهم إليها ، وقيل : العهد المأخوذ من آدم وذريته « لا تبديل لخلق الله » لا يقدر أحد أن يغيّره أو ما ينبغي أن يغيّره « ذلك » إشارة إلى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الفطرة إن فسّرت بالملّة « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » استقامته لعدم تدبّرهم ، انتهى .

وقال في النهاية : فيه : كل مولود يولد على الفطرة ، الفطر الابتداء والاختراع والفطرة منه الحالة كالجلسة والركبة ، والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد ، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في إتباعهم لآبائهم ، والميل إلى أديانهم من مقتضى الفطرة السليمة ، وقيل : معناه كل مولود يولد على معرفة الله والاقرار به ، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله صانعه وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره ، ومنه حديث حذيفة : على غير فطرة محمد ، أراد دين الاسلام الذي هو منسوب إليه ، انتهى .

وقيل : الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الابداد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال وهو التوحيد ومعرفة الربوبية مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل ، وقال بعض العامة : الفطرة ما سبق من سعادة أو شقاوة ، فمن علم الله سعادته ولد على فطرة الاسلام ، ومن علم شقاوته ولد على فطرة الكفر ، تعلق بقوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » وبحديث الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع يوم طبع كافر آفاته يمنع من كون تولده على فطرة الاسلام ، وأجيب عن الأول بأن معنى لا تبديل : لا تغيير يعني لا يكون بعضهم على فطرة الكفر وبعضهم على فطرة الاسلام ، ويؤيده قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه فإن المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام .

وعن الثاني بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت وهي التهيؤ للكفر عن الفطرة التي ولد عليها .

وقال بعضهم : المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية ومتهيئاً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها ، لأن فطرة الاسلام وصوابها موضوع في العقول ، وإنما يدفع العقول عن إدراكها تغيير الأبوين أو غيرهما .

٢ - علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الاسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال : « ألتست بربكم » ^(١) وفيه المؤمن والكافر .

وأجيب عنه بأن حمل الفطرة على الاسلام لا يأباه العقل ، وظاهر الروايات من طريق الأئمة يدل عليه ، وحملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوي .
الحديث الثاني : صحيح .

وقال في المصباح المنير : فطر الله الخلق فطراً من باب قتل خلقهم ، والاسم الفطرة بالكسر ، قال الله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وقوله عليه السلام : كل مولود يولد على الفطرة قيل : معناه الفطرة الاسلامية والدين الحق وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ، أي ينقلانه إلى دينهما وهذا التفسير مشكل إن حمل اللفظ على حقيقته فقط ، لأنه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم الصغار قبل أن يهودهم وينصرهم واللازم منتف ، بل الوجه حمله على الحقيقة والمجاز معاً ، أمّا حمله على مجازه فعلى ما قبل البلوغ ، وذلك أن إقامة الأبوين على دينهما سبب لجعل الولد تابعاً لهما ، فلما كانت الإقامة سبباً جعلت تهويداً ونصيراً مجازاً ، ثم أسند إلى الأبوين توبيخاً وتوبيحاً عليهما كأنه قال : أبواه باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركاً ، ويفهم من هذا أنه لو أقام أحدهما على الشرك وأسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً ، وقد جعل البيهقي هذا معنى الحديث فقال : فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله حكم الاولاد قبل أن يختاروا لأنفسهم حكم الآباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا ، وأمّا حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجوه الكفر من الأولاد .
نتهى .

وقوله : على التوحيد متعلق بفطر وأخذ على التنازع .

٣- محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم جميعاً على التوحيد .

٤- علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن ابن أذينة عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « حنفاء لله غير مشركين به » ^(١) قال : الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال :

الحديث الثالث : صحيح وقد مرّ شرحه .

الحديث الرابع : حسن .

قوله : حنفاء لله ، إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الحج : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به » أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما يجتنب الأنجاس وكل افتراء ، وعن الصادق عليه السلام الرجس من الأوثان الشطرنج ، وقول الزور الغناء وقال الطبرسي (ر) : حنفاء لله ، أي مستقيمي الطريقة على ما أمر الله هائلين عن سائر الأديان « غير مشركين به » أي حاجاجاً مخلصين وهم مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به أحداً ، وقال في النهاية فيه : خلقت عبادي حنفاء ، أي طاهري الاعضاء من المعاصي لا أنه خلقهم كلهم مسلمين لقوله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » ^(٢) وقيل : أنه أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق ألت بر بكم قالوا بلى ، فلا يوجد أحد إلا وهو مقرر بأن له رباً وإن أشرك به واختلفوا فيه ، و الحنفاء جمع حنيف وهو المائل إلى الاسلام الثابت عليه ، و الحنيف عند العرب من كان على دين ابراهيم ، واصل الحنف الميل ومنه الحديث : بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ، انتهى .

« لا تبديل لخلق الله » أي بأن يكون كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين بل

(١) سورة الحج : ٣٠ .

(٢) سورة التغابن : ٢ .

فطهرهم على المعرفة به ، قال زرارة : وسألته عن قول الله عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريبتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى - الآية » ؟ قال : أخرج من ظهر آدم ذريبتة إلى يوم القيامة ، فخرجوا كالذئب فعرقتهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه وقال : قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خلقه ، كذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » (١).

كان كلهم مسلمين مقررين به أوقائين للمعرفة وأراهم نفسه بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية في الظهور ليرسخ فيهم معرفته ، ويعرفوه في دار التكليف ، ولولا تلك المعرفة اليشافية لم يحصل لهم تلك القابلية وفسر ﷺ الفطرة في الحديث بالمجبولية على معرفة الصانع والاذعان به « كذلك قوله » أي هذه الآية أيضاً محمولة على هذا المعنى : « ولئن سألتهم » أي كفار مكة كما ذكره المفسرون أو الأعم كما هو أظهر من الخبر « ليقولن الله » لفطرهم على المعرفة .

وقال البيضاوي : لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطررنا إلى إذعائه ، انتهى .

والمشهور أنه مبني على أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون أن الصانع هو الله ، بل كانوا يعبدون الاصنام لزعمهم أنها شفعاء عند الله ، وظاهر الخبر أن كل كافر لو خلى وطبعه وترك العصبية ومتابعة الأهواء وتقليد الأسلاف والآباء لأقر بذلك ، كما ورد ذلك في الاخبار الكثيرة .

قال بعض المحققين : الدليل على ذلك ما نرى أن الناس يتوكلون بحسب الجبلية على الله ، ويتوجهون توجهاً غريباً إلى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصعاب ، وإن لم يتفطنوا لذلك ، ويشهد لهذا قول الله عز وجل : « قل أرايتكم إن أناكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إياه تدعون

فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتمسكون ما تشركون ، ^(١) .

وفي تفسير مولانا العسكري رحمته الله أنه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله ؟ فقال للسائل : يا باعبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال : بلى ، قال : فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تنفيك ؟ قال : بلى ، قال : فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ قال : بلى ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجى ، وعلى الاغاثة حين لا مغيث . ولهذا جعلت الناس معذورين في تركهم إكتساب المعرفة بالله عز وجل ، متروكين على ما فطروا عليه ، مرضياً عنهم بمجرد الإقرار بالقول ، ولم يكلفوا الاستدلالات العلمية في ذلك ، وإنما التعمق لزيادة البصيرة ولطائفة مخصوصة ، وأما الاستدلال فللمرد على أهل الضلال .

ثم أن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمینان كماً وكيفاً ، شدة وضعفاً ، سرعة وبطؤاً ، حالاً وعلماً ، وكشفاً وغياناً ، وإن كان أصل المعرفة فطرياً إما ضرورياً أو يهتدي إليه بأدنى تنبيه ، فلكل طريقة هداية الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهداية ، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وهم درجات عند الله ، يرفع الله الذين آمنوا والذين ادتوا العلم درجات .

قال بعض المنسوين إلى العلم : إعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله عز وجل ، فكان هذا يقتضي أن يكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الافهام وأسهلها على العقول ويرى الامر بالضد من ذلك ، فلا بد من بيان السبب فيه ، وإنما قلنا : إن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى لمعني لا نفهمه إلا بمثال هوأنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخطط مثلاً كان كونه حياً من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ، إذ صفاته الباطنة

• • • • •

كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه ، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله وإختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته ، أمّا حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فأنّه جليّ عندنا من غير أن يتعلّق حسّ البصر بحياته وقدرته وإرادته ، فإنّ هذه الصفات لا تحسّ بشيء من الحواسّ الخمس ، ثمّ لا يمكن أن يعرف حياته وقدرته وإرادته إلّا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا إلى كلّ ما في العالم سواء لم نعرف به صفاته ، فما عليه إلّا دليل واحد وهو مع ذلك جليّ واضح .

وجود الله وعلمه وقدرته وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كلّ ما نشاهده وندركه بالحواسّ الظاهرة والباطنة من حجر ومدرونيات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبرّ وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض ، بل أوّل شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأصنافنا وتقلّب أحوالنا وتغيّر قلوبنا ، وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثمّ محسوساتنا بالحواسّ الخمس ، ثمّ مدرّكاتنا بالبصيرة والعقل وكلّ واحد من هذه المدرّكات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد ، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبّرّها ومصرّفّها ومحرّكها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته ، والموجودات المدركة لا حصر لها .

فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلّا شاهد واحد وهو ما أحسّنا من حركة يده ، فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلّا وهو شاهد عليه وعلى عظّمته وجلاله ، إذ كلّ ذرّة فأنّها تنادي بلسان حالها أنّه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنّما يحتاج إلى موجد ومحرّك لها ، يشهد بذلك أوّل ترّكيب أعضائنا وإتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا وتشكّل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة ، فأنّا نعلم أنّها لم تأتلف بنفسها ، كما نعلم أنّ يد الكاتب لم يتحرّك بنفسها ، ولكن لما لم يبق في الوجود

مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا هو ، وشاهد ومعرف عظم ظهوره ،
فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه .

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه
وذلك لا يخفى مثاله ، والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل
ولا يبصر بالنهار لا إخفاء النهار واستتاره ولكن أشدة ظهوره ، فإن بصر الخفاش
ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق ، فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع
إبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا
ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراف والاستنارة ، وفي غاية الاستغراق والشمول
حتى لا يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب
خفائه ، فسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ،
ولا نتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم
وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض
أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر .

ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الاعراض
يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس ، فلو كانت الشمس دائمة الاشراف لا غروب
لها لكننا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها ،
فإننا لا نشاهد في الأسود إلا السواد ، وفي الأبيض إلا البياض ، وأما الضوء فلا
ندركه وحده لكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحاليتين ،
فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب ،
فعرّفنا وجود النور بعدمه ، وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد ، وذلك
نشاهدنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور .

هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به يدرك سائر المحسوسات ، فما هو

ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره ، انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا
طريان ضده ، فاذن الرب تعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ، ولو كان
له عدم أو غيبة أو تغير لانهدمت السماوات والارض وبطل الملكوت والملكوت ، ولأدركت
التفرقة بين الحالتين ، ولو كان بعض الاشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت
التفرقة بين الشئيين في الدلالة ، ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد ، ووجوده
دائم في الاحوال يستحيل خلافه ، فلا جرم أوردت شدة الظهور خفاء .

فهذا هو السبب في قصور الافهام ، وأما من قويت بصيرته ولم يضعف منته فأنه
في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله وأفعاله ، وأفعاله أثر من آثار قدرته ، فهي تابعة
له فلا وجود لها بالحقيقة ، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال
كلها ، ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ، وينهل
عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر ، بل ينظر فيه من حيث أنه
صنع ، فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو
تصنيفه ، ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث هي آثاره لا من حيث أنها
حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض ، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف .

فكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليها من حيث أنها فعل الله ، وعرفها
من حيث أنها فعل الله ، وأحبها من حيث أنها فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ،
ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا الله ، وكان هو الموحّد الحق الذي لا يرى إلا الله ،
بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه ، بل من حيث هو عبدالله .

فهذا هو الذي يقال فيه أنه فنى في التوحيد وأنه فنى من نفسه ، وإليه الإشارة
بقول من قال : كُنا بنافقيناً عفاً فبقينا بلانحن ، فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر
أشكت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة
موصلة للغرض إلى الافهام ، لاشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم ممّا

لا يغنيهم ، فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى .
وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الانسان في الصبي عند فقد العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم بشهوته ، وقد انس بمدركاته ومحسوساته ألفها ، فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس .

ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً أو فعلاً من أفعال الله خارقاً للعادة عجباً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال : سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها اطول الانس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلاً ثم انقضت غشاوة عن عينه فامتد بصره إلى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله أن يذهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها .

وهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات وهي التي سدّت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة ، والجلبيات إذا صارت مطلوبة صارت معنضة فهذا سدّ الامر ، فليتحقق لذلك قيل :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر

لكن بطن ما أظهرت محتجباً وكيف يعرف من بالعرف استقرا

أقول : وفي كلام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين على جده وأبيه وأمه وأخيه وعليه وبنيه سلام الله ، ما يرشدك إلى هذا العيان ، بل يغنيك عن هذا البيان حيث قال في دعاء عرفة : كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مقتقر إليك أياكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً .

وقال أيضاً : تعرّفت لكل شيء ، فما جهلك شيء .

٥ - علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن ابن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على التوحيد .

﴿ باب ﴾

﴿ كون المؤمن في صلب الكافر ﴾

١ - الحسين بن محمد ، عن معلّى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن علي بن ميسرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ان نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك فلا يصيبه من الشر شيء ، حتّى إذا صار في رحم المشرك لم يصبها من الشر شيء ، حتّى تضعه فإذا وضعته لم يصبه من الشر شيء ، حتّى يجري عليه القلم .

٢ - علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : اني قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام

وقال : تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء .

الحديث الخامس : ضعيف .

باب كون المؤمن في صلب الكافر

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« فلا يصيبه من الشر » وفي بعض النسخ من الشر ، أي يحفظه الله من أن يصيبه من شر الأيوين أو شركهما شيء ، بحيث يضره واقعاً والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعيّة قبل البلوغ نظراً الى الظاهر لا يثاني ايمانه الواقعي في علم الله .

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

وكان يقطين بن موسى من دعاة العباسيّة في ابتداء دولتهم وكان له اختصاص بهم ، قال الشيخ في الفهرست : علي بن يقطين (ره) ثقة جليل القدر له منزلة عظيمة

على يقطين وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنما المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة يجيء المطر فيغسل اللبنة ولا يضر الحصاة شيئاً .

عند أبي الحسن موسى عليه السلام ، عظيم المكان في الطائفة ، وكان يقطين من وجوه الدعاة وطلبه مروان فهرب ، وابنه علي بن يقطين هذا ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة ، فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهري يقطين وعادت أم علي بعلي وعبيد فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس وأبي جعفر المنصور ، ومع ذلك كان يتشيع ويقول بالامامة ، وكذلك ولده يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد عليه السلام ونمى خبره إلى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما ، انتهى .

وأقول : هذا الخبر وما تقدم في باب كراهية التوقيت يدلان على أن يقطين لم يكن مشكوراً وكان منحرفاً عن هذه الناحية ، وهذا الخبر يدل على أن الصادق عليه السلام كان دعا علي يقطين وولده ولعنهم وكان علي مشفقاً خائفاً من أن يصيبه أثر تلك الدعوة واللعنة ، فأجاب عليه السلام بأن اللعنة وسائر الشرار لا تصيب المؤمن الذي في صلب الكافر ، وشبه ذلك بالحصاة في اللبنة ، فانه لا يضر الحصاة ما تقع على اللبنة من المطر وغيره ، فعلى هذا شبه عليه السلام اللعنة بالمطر لأن المطر يفتت اللبنة ويفرقها ويبطلها ، فكذا اللعنة تبطل من تصيبه وتفتته وتفرقه .

ويحتمل أن يكون شبه عليه السلام الرحمة والألطف التي تشمل من الله تعالى المؤمن بالمطر ، ويكون الغرض أن ألطافه سبحانه ورحمته التي تحفظ طينة المؤمن نفسه وتطهره من لوث الكفر وما يلزمه وما يتبعه من اللعنات والعقوبات كما يغسل انطر لوث الطين من الحصاة ولعله أظهر .

وحاصل الكلام على الوجهين أن دعاءه عليه السلام كان مشروطاً بعدم إيمانهم ولم يكن مطلقاً ، وكان غرضه عليه السلام اللعن على من يشبهه من أولاده .

قوله عليه السلام شيئاً ، أي من الضرر ، وفي بعض النسخ شيء أي من الآفات واللعنات

﴿ باب ﴾

﴿ اذا اراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابراهيم بن مسلم الحلواني ، عن ابي اسماعيل الصيقل الرّازي ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان في الجنة لشجرة تسمى المزن فاذا اراد الله أن يخلق مؤمناً أفطر منها فطرة ، فلا تصيب

باب اذا اراد الله ان يخلق المؤمن

الحديث الاول : مجهول .

وفي المصباح حلوان بالضم بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر مدن العراق وبينها وبين بغداد نحو خمس مراحل ، قيل: سميت باسم بانيتها وهو حلوان بن عمران ابن الحارث بن قضاعة ، وفي القاموس : المزن بالضم السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، انتهى .

وكان التسمية هنا على التشبيه ، قيل : هذا الحديث كما يناسب ما قيل من أن المراد بالطينة الاصول المتمزجات المنقلة في أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقه والمضغة والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبّرة ، كذلك يناسب ما ذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لأن طينة الجنة إختمارها وتربيتها بهذه الفطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقاً ، وبالجمله خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أو لا وتربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة إلى المؤمن ليحصل له الوصول إلى أعلى مراتب القرب ، انتهى .

وقال بعض المحققين من أهل التأويل : الجنة تشمل جنات الجبروت والملوكوت ، والمزن السحاب وهو أيضاً يعم سحاب ماء الرحمة والجود والكرم

بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً .

وسحاب ماء المطر والخصب والديم ، وكما أن لكل قطرة من ماء المطر صورة وسحاباً انفصلت منه في عالم الملك كذلك له صورة وسحاب انفصلت منه في عالمي الملكوت والجبروت ، وكما أن البقلة والثمرة تربي بصورتها الملكوتية كذلك تربي بصورتها الملكوتية والجبروتية المخلوقتين من ذكر الله تعالى اللتين من شجرة المزن الجناني وكما أنهما تربيان بها قبل الأكل كذلك تربيان بها بعد الأكل في بدن الآكل ، فأنهما لم تستحل إلى صورة العضو فهي بعد في التربة ، فالإنسان إذا أكل بقلة أو ثمرة ذكر الله عز وجل عندها وشكر الله عليها ، وصرف قوتها في طاعة الله سبحانه والافكار الايمانية والخيالات الروحانية فقد تربت تلك البقلة أو الثمرة في جسده بماء المزن الجناني ، فاذا فصلت من مادتها فضلة منوية فهي من شجرة المزن التي أصلها في الجنة وإذا أكلها على غفلة من الله سبحانه ، ولم يشكر الله عليها وصرف قوتها في معصية الله تعالى والافكار المموضة الدنيوية والخيالات الشهوانية ، فقد تربت تلك البقلة أو الثمرة في جسده بماء آخر غير صالح لخلق المؤمن إلا أن يكون قد تحقق تربيتها بماء المزن الجناني قبل الأكل ، وأما مأكولة الكافر التي يخلق منها المؤمن فأنما يتحقق تربيتها بذلك الماء قبل أكله لها غالباً ، ولذكر الله عند زرعها أو غرسها مدخل في تلك التربية ، وكذلك لحل ثمنها وتقوى زارعها أو غارسها إلى غير ذلك من الاسباب .

﴿ باب ﴾

﴿ في أن الصبغة هي الاسلام ﴾

١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ وعبد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ^(١) قال : الإسلام ، وقال في قوله عز وجل : « فقد

باب ان الصبغة هي الاسلام

الحديث الاول : صحيح .

قوله : صبغة الله ، اقول : تمام الآية وما يتعلق بها هكذا : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » يعني قالت اليهود كونوا هوداً ، وقالت النصارى كونوا نصارى « بل ملة » أي بل نكون أهل ملة إبراهيم ، أو بل نتبع ملة إبراهيم ، والحنيف : المائل عن كل دين إلى الحق « وما كان من المشركين » تعريض بأهل الكتابين فانهم كانوا يدعون اتباع ملة إبراهيم ، وهم مع ذلك على الشرك ، والأسباط حفدة يعقوب عليه السلام . « صبغة الله » قال البيضاوي أي صبغنا الله صبغة ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فانها حلية الانسان ، كما ان الصبغة حلية المصبوغ ، أو هداية هدايته أو أرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماء صبغة لأنه ظهر أثره عليهم

استمسك بالعروة الوثقى ، ^(١) قال : هي الايمان بالله وحده لا شريك له .

ظهور الصبغ على المصبوغ ، وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ، ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ، ونصبها على أنه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل : على الاغراء ، أي عليكم صبغة الله ، وقيل : على البذل من ملة إبراهيم « ومن أحسن من الله صبغة » لاصبغة أحسن من صبغته « ونحن له عابدون » تعريض بهم أي لا نشارك به كشركم ، انتهى .

وقيل : على هذه الاخبار يحتمل أن تكون منصوبة على المصدر من مسلمون ، ثم يحتمل أن يكون معناها وموردها مختصاً بالخواص والخلص المخاطبين بقولوا دون سائر أفراد بني آدم ، بل يتعين هذا المعنى إن فسر الاسلام بالخضوع والانقياد للأوامر والنواهي كما فعلوه ، وإن فسر بالمعنى العرفي فتوجيه التعميم فيه كتوجيه التعميم في فطرة الله .

وقيل : صبغة الله إبداع الممكنات وإخراجها من العدم إلى الوجود وإعطاء كل ما يليق به من الصفات والغايات وغيرهما .

قوله : فقد استمسك ، قال تعالى « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها » وفسر الطاغوت في الاخبار بالشيطان وبائمة الضلال ، والاولى التعميم ليشمل كل ما عبد من دون الله من صنم أو صاد عن سبيل الله « ويؤمن بالله » بالتوحيد وتصديق الرسل وأوصيائهم « فقد استمسك بالعروة الوثقى » أي طلب الامساك من نفسه بالجبل الوثيق ، وهي مستعار لتمسك الحق من النظر الصحيح والدين القويم « لا انفصام لها » أي لا انقطاع لها .

وما ورد في الخبر من تفسيره بالايمان كان المراد به أنه تعالى شبه الايمان الكامل بالعروة الوثقى ، وعلى ما ورد في كثير من الأخبار من أن المراد بالطاغوت

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن داود بن سرحان ، عن عبد الله بن فرقد ، عن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الإسلام .

٣ - حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الإسلام . وقال في قوله عز وجل : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال : هي الايمان .

الغاصبون للخلافة فالمعنى من رفض متابعة أئمة الضلالة وآمن بما جاء من عند الله في عليّ والأوصياء من بعده عليه السلام فقد آمن بالله وحده لا شريك له ، وإلا فهو مشرك كما روى في معاني الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسك بولاية أخي ووصيتي عليّ بن أبي طالب فإنه لا يهلك من أحبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه ، وعن الباقر عليه السلام أن العروة الوثقى هو مودتنا أهل البيت .

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور .

الحديث الثالث : مرسل كالموثق ، وقال الجوهري : صبغة الله دينه ، ويقال : أصله من صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم ، وقال الفيروز آبادي : الصبغة بالكسر الدين والملّة ، وصبغة الله فطرة الله ، أو التي أمر الله تعالى بها محمدًا صلى الله عليه وآله وهي الختانة

﴿ باب ﴾

﴿ في أن السكينة هي الايمان ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته ، عن قول الله عز وجل : « أنزل السكينة في »

باب ان السكينة هي الايمان

الحديث الاول : صحيح كما في بعض النسخ عن ابي حمزة ، وضعيف على المشهور إن كان عن علي بن أبي حمزة كما في بعض النسخ .

« هو الذي أنزل السكينة » الآية في سورة الفتح هكذا : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » والظاهر أن المراد بالسكينة الثبات وطمأنينة النفس وشدة اليقين بحيث لا يتزلزل عند الفتن وعروض الشبهات ، بل هذا إيمان موهبي يتفرع على الأعمال الصالحة والمجاهدات الدينية سوى الإيمان الحاصل بالدليل والبرهان ، ولذا قال : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » .

وقال في مجمع البيان : هي أن يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن إليه نفوسهم ، وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلة الدالة عليه ، فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة ، وأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأدلة عارض من شبهة ترد عليهم إذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم ، وقيل : هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ، ويثبتوا في القتال ، وقيل : ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله ورسوله ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، أي يقيناً إلى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا ، وقيل : ليزدادوا تصديقاً بشرايع الاسلام وهو أنهم كلما أمروا بشيء من الشرايع والفرائض كالصلوة والصيام والصدقات صدقوا به ، وذلك بالسكينة التي أنزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس

قلوب المؤمنين»^(١) قال : هو الايمان ، قال : وسألته عن قول الله عز وجل : « وأيّدهم بروح منه »^(٢) قال : هو الايمان .

والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم ، انتهى .

والحاصل أن تفسيره عليه السلام السكينة بالايمان إما لكون هذا اليقين هو كمال الايمان ، أو ايمان آخر موهبي ينضم إلى الايمان الاستدلالي ، وهذا مما يدل على أن اليقين يقبل الشدة والضعف كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله .

وأما الآية الثانية فهي في سورة المجادلة حيث قال : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار » قال الطبرسي (ره) : كتب في قلوبهم الايمان بما فعل بهم من اللطاف فصار كالمكتوب عن الحسن ، وقيل : كتب في قلوبهم علامة الايمان ومعنى ذلك أنها سمة وعلامة لمن شاهدتهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار : وطبع الله على قلوبهم ، علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه ، عن أبي علي الفارسي .

« وأيّدهم بروح منه » أي قوّاهم بنور الايمان ، ويدلّ عليه : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » عن الزجاج ، وقيل : معناه وقوّاهم بنور الحجج والبرهان حتى اهتدوا للحق وعملوا به ، وقيل : قوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع ، وقيل : أيّدهم بجبرئيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم ، انتهى .

أقول : لعل المراد بالروح الايمان الموهبي لأنّه قال ذلك بعد قوله : « وكتب في قلوبهم الايمان » أو المراد به قوّة الايمان وكماله ، ويحتمل أن يراد به أنّه سبب

- ٢ - عنه ، عن أحمد ، عن صفوان ، عن أبان ، عن فضيل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « أولئك كتب في قلوبهم الايمان » هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع ؟ قال : لا .
- ٣ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن محبوب ، عن العلاء عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : السكينة الايمان .
- ٤ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري وهشام بن سالم وغيرهما ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الايمان .
- ٥ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن جميل قال :

الايمان وقوته وكماله لما سيأتي أن الله تعالى أيّد المؤمن بروح يحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ويغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي وإن أمكن تأويل تلك الاخبار بما يوافق ظاهر هذا الخبر كما سيأتي في باب الروح الذي أيّد به المؤمن .

الحديث الثاني : موثق كالصحيح .

وإنما ذكر هذا مع عدم اشتماله على ما عنون به الباب لأنّه كالتمتة لما ذكر في آخر الخبر السابق لانتهاهما في آية واحدة ، ويدلّ على أن الايمان من الله وليس للعباد فيها صنع واختيار ، وإنما كلف العباد بعدم الجحد ظاهراً وبإخراج التعصب والأغراض الباطلة عن النفس ، أو مع السعي في الجملة أيضاً ، ويمكن تخصيصه بمعرفة الصانع كما مرّ أو بكمال المعرفة وقد مضى تفصيل القول في ذلك في باب البيان والتعريف ، وفي بعض النسخ صبغ بالبلاء الموحدة والغين المعجمة ، أي لهذه الكتابة صبغ ولون وهو تصحيف .

الحديث الثالث : صحيح .

الحديث الرابع : حسن كالصحيح .

الحديث الخامس : صحيح وفسر أكثر المفسرين كلمة التقوى بكلمة التوحيد

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الإيمان . قال : « وأيدهم بروح منه » قال : هو الإيمان وعن قوله : « و أزرهم كلمة التقوى » ^(١) قال : هو الإيمان .

﴿ باب الاخلاص ﴾

١ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « حنيفاً مسلماً » ^(٢) قال : خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من

فأنة يتقى بها من عذاب الله وما فسرها عليه السلام به أظهر ، إذ بجميع العقائد الإيمانية راجعاً إليها يتقى من عذاب الله لا بكلمة التوحيد فقط ، وفسرت في كثير من الاخبار بالولاية لأنها مستلزم لساير العقائد ، وفي بعضها بأمير المؤمنين عليه السلام وفي بعضها بجميع الأئمة عليهم السلام أي ولايتهم والاقرار بامامتهم كلمة التقوى ، وأنهم يعبرون عن الله ما يتقى به من عذابه كما ورد في الأخبار الكثيرة أنهم كلمات الله .

باب الاخلاص

الحديث الاول : صحيح .

وقد مر معنى الحنيف وأنه المائل إلى الدين الحق ، وهو الدين الخالص والمسلم المنقاد لله في جميع أوامره ونواهيه ، ولما قال سبحانه : ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، وجعل الحنيف المسلم في مقابلة المشرك ، فلذا فسر عليه السلام الحنيف المسلم بمن كان خالصاً لله خلاصاً عمله من الشرك الجلي والخفي ، فالأوثان أعم من الأوثان الحقيقية والمجازية ، فيشمل عبادة الشياطين في إغوائها وعبادة النفس في أهوائها كما قال تعالى : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » ^(٣) وقال سبحانه : « أرايت من اتخذ إليه هواه » ^(٤)

(١) سورة الفتح : ٢٦ .

(٢) سورة الروم : ٦٧ .

(٣) سورة يس : ٦٠ .

(٤) سورة الفرقان : ٤٣ .

عبادة الأوثان .

٢ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَالشَّيْطَانُ وَالْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةُ وَالرَّشَدُ وَالْغَى ، وَالْعَاجِلَةُ وَالْآجِلَةُ ، وَالْعَاقِبَةُ ، وَالْحَسَنَاتُ

وقال : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » ^(١) وقال رسول الله ﷺ : ملعون من عبد الدنيا والدرهم ، وفي المحاسن هكذا : خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء ، من دون ذكر عبادة الأوثان .

الحديث الثاني : مزفوع .

« إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ » الضمير راجع إلى المقصود في العبادة أو الأعم منه ومن الباعث عليها ، أو الموجود في الدنيا والمقصود فيها ، والغرض أن الحق والهدى والرشد ورعاية الآجلة والحسنات منسوب إلى الله ، وأضدادها منسوبة إلى الشيطان ، فما كان خالصاً لله فهو من الحسنات ، وما كان للشيطان فيه مدخل فهو من السيئات ، ففي الكلام شبه قلب ، أو المعنى أن الرب تعالى والحق والهدى والرشد والآجلة والحسنات في جانب ، وأضدادها في جانب آخر ، فالحسنات ما يكون موافقاً للحق ومعلوماً بهداية الله ، ويكون سبباً للرشد والمنظور فيه الدرجات الآخرة دون اللذات الدنيوية وقربه تعالى فهو منسوب إلى الله ، وإلا فهو من خطوات الشيطان ومما وسه ، والرشد ما يوصل إلى السعادة الأبدية والغنى ما يؤدي إلى الشقاوة السرمديّة ، والعاقبة عطف تفسير للآجلة .

وكان المناسب لترتيب سائر الفقرات تقديم الآجلة على العاجلة ، ولعله عليه السلام إنما غير الأسلوب لأن الآجلة بعد العاجلة .

قال بعض المحققين أريد بالحسنات والسيئات الأعمال الصالحة والسيئة المتربتان على الأمور الثمانية الناشئتان منها « فما كان من حسنات » يعنى ما نشاء

والسيئات ، فما كان من حسنات فله وما كان من سيئات فللشيطان لغنه الله .

٣ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد عن علي بن أسباط ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول : طوبى لمن أخلص لله

من الحق والهدى والرشد ورعاية العاقبة من الأعمال الصالحة «وما كان من سيئات» يعني ما نشأ من الباطل والضلالة والغى ورعاية العاجلة من الأعمال السيئة ، فكل من عمل عملاً من الخير طاعة لله آتياً فيه بالحق على هدى من ربه ورشدة من أمره ، ولعاقبة أمره فهو حسنة تقبله الله بقبول حسن ، ومن عمل عملاً من الخير أو الشر طاعة للشيطان آتياً فيه بالباطل على ضلالة من نفسه وغى من أمره ولعاجلة أمره فهو سيئة مردود إلى من عمل له ، ومن عمل عملاً مركباً من أجزاء بعضها لله وبعضها للشيطان فما كان لله فهو لله وما كان للشيطان فهو للشيطان ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فإن أشرك بالله الشيطان في عمله أو في جزء عمله فهو مردود إليه لأن الله لا يقبل الشريك كما يأتي بيانه في باب الرياء إنشاء الله .

وربما يقال : إن كان الباعث الإلهي مساوياً للباعث الشيطاني تفاوها وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه ، وإن كان أحدهما غالباً على الآخر بأن يكون أصلاً وسبباً مستقلاً ويكون الآخر تبعاً غير مستقل فالحكم للغالب إلا أن ذلك مما يشبهه على الإنسان في غالب الأمر فربما يظن أن الباعث الأقوى قصد التقرب ويكون الأغلب على سره الحظ النفساني فلا يحصل الأمن إلا بالاخلاص ، وقلمنا يستيقن بالاخلاص من النفس ، فينبغي أن يكون العبد دائماً متردداً بين الرد والقبول ، خائفاً من الشوائب ، والله الموفق للخير والسداد .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

« طوبى » أي الجنة أو طيبها أو شجرة فيها كما سيأتي في الخبر ، أو العيش الطيب أو الخير « لمن أخلص لله العبادة والدعاء » أي لم يعبد ولم يدع غيره تعالى

العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره .

٤ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « ليلوكم أيتكم أحسن عملاً » ^(١) قال :

أو كان غرضه من العبادة والدعاء رضي الله سبحانه من غير رياء « بما ترى عيناه ، أي من زخارف الدنيا ومشتهياتها ، والرفعة والملك فيها » ولم ينس ذكر الله « بالقلب واللسان » بما تسمع أذناه « من الغناء وأصوات الملاهي ، وذكر لذات الدنيا وشهواتها والشبهات المضلة والآراء المبتدعة ، والغيبة والبهتان ، وكل ما يلهمي عن الله » ولم يحزن صدره بما أعطي غيره « من أسباب العيش وحرمانها ، والاتصاف بهذه الصفات العلية إنما يتيسر لمن قطع عن نفسه العلائق الدنية ، وفي الخبر إشعار بأن الاخلاص في العبادة لا يحصل إلا لمن قطع عروق حب الدنيا من قلبه ، كما سيأتي تحقيقه إنشاء الله .

الحديث الرابع : ضعيف .

قوله : « ليلوكم » إشارة إلى قوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » ، الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيتكم أحسن عملاً ^(١) تبارك أي تكاثرت خيره من البركة وهي كثرة الخير ، أو تزايدت عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ، فإن البركة تتضمن معنى الزيادة « الذي بيده الملك » أي بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها « الذي خلق الموت والحياة » أي قدرهما أو أوجدهما وفيه دلالة على أن الموت أمر وجودي ، والمراد بالموت الموت الطاري على الحياة أو العدم الأصلي فإنه قد يسمى موتاً أيضاً ، كما قال تعالى : « كنتم أمواتاً فأحياكم » ^(٢) وتقديمه على الأول لأنه أدعى إلى حسن العمل وأقوى في ترك الدنيا ولذاتها ،

ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإِنَّمَا الإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ

وعلى الثاني ظاهر لتقدمه .

« ليلوكم » أى ليعاملكم معاملة المختبر « أَيْتُكُمْ » مفعول ثان لفعل البلوى باعتبار تضمينه معنى العلم ، ووجه التعليل أَنَّ الموت داع إلى حسن العمل لكمال الاحتياج إليه بعده ، وموجب لعدم الوثوق بالدنيا ولذاتها الفانية ، والحياة نعمة تقتضى الشكر ويقدر بها على الأعمال الصالحة ، وإن أريد به العدم الأصلي فالمعنى أَنَّهُ تَقْلُوكُمْ مِنْهُ وَأَلْبَسَكُمْ لِبَاسَ الْحَيَاةِ لِذَلِكَ الْاِخْتِبَارُ ، ولما كان اتِّصَافُنَا بِحَسَنِ الْعَمَلِ يَتَحَقَّقُ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ تَارَةً وَبِإِصَابَتِهِ وَشِدَّةِ رِعَايَةِ شَرَائِطِهِ أُخْرَى نَفِي الْأَوَّلِ ، بقوله : ليس يعني أكثركم عملاً ، لأنَّ مَجَرَّدَ الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ خُلُوصِهِ وَجُودَتِهِ لَيْسَ أَمْرًا يَعْتَدُّ بِهِ ، بل هو تَضْيِيعٌ لِلْعَمَلِ وَأُثْبِتَ الثَّانِي بِقَوْلِهِ : وَلَكِنْ أَصُوبُكُمْ عَمَلًا ، لأنَّ صَوَابَ الْعَمَلِ وَجُودَتَهُ وَخُلُوصَهُ مِنَ الشَّوَائِبِ يُوجِبُ الْقُرْبَ مِنْهُ تَعَالَى ، وله درجات متفاوتة يَتَفَاوَتُ الْقُرْبُ بِحَسَبِهَا .

وإِسْمُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ : « لَيْسَ يَعْنِي » ضمير عائد إلى اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ أو ضمير شأن ، وجملة يعني خبرها ، ثُمَّ يَبَيِّنُ الْإِصَابَةَ وَحَصَرَهَا فِي أَمْرَيْنِ بِقَوْلِهِ : إِنَّمَا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ ، وذكر الخشية ثانياً لعلَّه من الرِّوَاةِ أو النَّسَاحِ ، وليست في بعض النسخ ولو صحَّت يَكُونُ مَعْنَاهُ خَشْيَةُ أَنْ لَا يَقْبَلَ كَمَا سَمِئْتُ فِي الْخَبَرِ ، وهو غير خشية اللَّهِ ، أو يقال : النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ مَبْتَدَأُ وَالْخَشْيَةُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ ، والخبر معذوف أى مقرونان ، أو الخشية منصوب ليكون مفعولاً معه .

فيكون الحاصل أَنَّ مَدَارَ الْإِصَابَةِ عَلَى الْخَشْيَةِ وَتَلَزَمَهَا النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ ، وفي بعض النسخ والحسنة أى كونه موافقاً لأمره تعالى ، ولا يكون فيه بدعة ، وفي أسرار الصلاة للشهيد الثاني (ره) : والنية الصادقة الحسنة وهو أصوب .

والحاصل أَنَّ الْعَمْدَةَ فِي قَبُولِ الْعَمَلِ بَعْدَ رِعَايَةِ أَجْزَاءِ الْعِبَادَةِ وَشَرَائِطِهَا الْمُخْتَصَّةِ النِّيَّةُ الْخَالِصَةُ وَالْاجْتِنَابُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ تَعَالَى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ »

والحسنة ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يتخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص :

فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً^(١) وقال سبحانه : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^(٢).

قال الشيخ البهائي قدس سره : المراد بالنية الصادقة إنبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه ، لا كمن يعتقد عبده مثلاً ملاحظاً مع القربة للخلاص من مؤنته أو سوء خلقه أو يتصدق بحضور الناس لغرض الصواب والثناء معاً بحيث لو كان منفرداً لم يبعثه مجرد الثواب على الصدقة وإن كان يعلم من نفسه أنه لولا الرغبة في الثواب لم يبعثه مجرد الرياء على الاعطاء ، ولا كمن له ورد في الصلوات وعادة في الصدقات وانفق أن حضر في وقتها جماعة فصار الفعل أخف عليه وحصل له نشاط ما بسبب مشاهدتهم ، وإن كان يعلم من نفسه أنهم لو لم يحضروا لم يكن يترك العمل أو يقتصر عنه البتة ، فأمثال هذه الأمور مما يخل بصدق النية وبالجمل فكل عمل قصدت به القربة وانضاف إليه حظ من حظوظ الدنيا بحيث ترغب الباعث عليه من ديني ونفسي ، فنيستك فيه غير صادقة سواء كان الباعث الديني أقوى من الباعث النفسي أو أضعف أو مساوياً .

قال في مجمع البيان : « ليلوكم أيكم أحسن عملاً » أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله ، وقيل : ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأحسن صبراً على موته وموت غيره ، وأيكم أكثر إمتثالاً للأوامر واجتناباً عن النواهي في حال حياته قال أبو قتادة : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « أيكم أحسن عملاً » ما عني به ؟ فقال : يقول أيكم أحسن عقلاً ، ثم قال تعالى : أتممكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً ، وإن كان أفلكم تطوعاً ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ : أنه تلا قوله : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » إلى قوله : « أيكم أحسن عملاً »

الذي لا تريد أن يحمداك عليه أحدٌ إلا الله عز وجل والنية أفضل من العمل ، ألا

ثم قال : أيكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ، وعن الحسن : أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها ، انتهى .

وفي القاموس : الصواب ضد الخطاء كالأصابة ، وقال : الإصابة الاتيان بالصواب وإرادته ، والابقاء على العمل محافظته والاشفاق عليه وحفظه عن الفساد ، قال الجوهري ابقيت على فلان إذا دعيت عليه ، يقال : لا ابقى الله عليك إن ابقيت على والاسم البقيا ، انتهى .

والحاصل أن رعاية العمل وحفظه عند الشروع وبعده إلى الفراغ منه ، وبعد الفراغ إلى الخروج من الدنيا حتى يخلص عن الشوائب الموجبة لنقصه أو فساده أشد من العمل نفسه كما سيأتي في باب الرياء عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : الابقاء على العمل أشد من العمل ، قال : وما الابقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وجده لا شريك له ، فيكتب له سرّاً ثم يذكرها فتمحى وتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياءاً ، ومن عرف معنى النية وخلصها علم أن إخلاص النية أشد من جميع الأعمال كما سيأتي تحقيقه إنشاء الله .

ثم بيّن عليه السلام معنى العمل الخالص بأنه هو العمل الذي لا تريد أن يحمداك عليه أحد إلا الله عز وجل ، لا عند الفعل ولا بعده أي يكون خالصاً عن أنواع الرياء والسمعة .

وقد يقال : لو كان سروره باعتبار أن الله تعالى قبل عمله حيث أظهر جميله كما روى في الحديث القدسي عملك الصالح عليك سرّ وعليّ إظهاره ، أو باعتبار أنه استدّل بإظهار جميله في الدنيا على إظهار جميله في الآخرة ، أو باعتبار رغبتهم إلى طاعة الله وميل قلوبهم إليها لم يقدح ذلك في الخلوص ، وإنما يقدح فيه إن كان لرفع منزلته عند الناس وتعظيمهم له واستجلاب الفوائد منهم فانه بذلك يصير مرئياً مشركاً بالشرك الخفي وبه يحبط عمله ، وهذا الكلام له جهة صدق لكن قلنا تصدق النفس في ذلك ،

فان لها حيل وتسويات لا ينجو منها إلا المقرّ بون .

وقال الشيخ البهائي (ره) : الخالص في اللغة كلّما صفا وتخلص ولم يمتزج بغيره سواء كان ذلك الغير أدون منه أو لا ، فمن تصدّق لمحض الرّياء فصدقته خالصة لفة كمن تصدّق لمحض الثواب وقد خصّ العمل الخالص في العرف بما تجرّد قصد التقرب فيه عن جميع الشوائب ، وهذا التجريد يسمّى إخلاصاً ، وقد عرفه أصحاب القلوب بتعريفات آخر ، فقيل : هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب ، وقيل : إخراج الخلق عن معاملة الحقّ ، وقيل : هو ستر العمل عن الخلائق و تصفيته عن العلائق ، وقيل : أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين ، وهذه درجة عليّة عزيزة المنال ، وقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : ما عبدتك خوفاً من فارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

وقال (ره) : ذهب كثير من علماء الخاصّة والعامة إلى بطلان العبادة إذا قصد بفعالها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب ، وقالوا : ان هذا القصد مناف للخلاص الذي هو إرادة وجه الله وحده ، وأنّ من قصد ذلك فأنّه قصد جلب النفع إلى نفسه ، ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه ، كما أنّ من عظم شخصاً أو أثنى عليه طمعاً في ماله أو خوفاً من إهانته لا يعدّ مخلصاً في ذلك التعظيم والثناء .

وممنّ بالغ في ذلك السيّد الجليل صاحب المقامات والكرامات رضي الدين عليّ بن طاهر قدّس الله سرّه ، ويستفاد من كلام شيخنا الشهيد في قواعده أنّه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم .

و نقل الفخر الرازي في التفسير الكبير إ اتفاق المتكلمين على أنّ من عبد الله لأجل الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب لم تصحّ عبادته ، وأورده عند تفسير

• • • • •

قوله تعالى «ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة» ^(١) وجزم في أوائل سورة الفاتحة بأنه لو قال : أصلى لثواب الله أو الهرب من عقابه فسدت صلاته ، ومن قال بأن ذلك القصد غير مفسد للعبادة منع خروجها به عن درجة الاخلاص ، وقال : ان إرادة الفوز بثواب الله والسلامة من سخطه ليس أمراً مخالفاً لإرادة وجه الله سبحانه . وقد قال تعالى في مقام مدح أصفياه : «كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً» ^(٢) أي للرغبة في الثواب والرغبة من العقاب ، وقال سبحانه : «وادعوه خوفاً وطمعاً» ^(٣) وقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» ^(٤) أي حال كونكم راجين للفلاح ، أو لكي تفلحوا ، والفلاح هو الفوز بالثواب ، نص عليه الشيخ أبو علي الطبرسي .

هذا ما وصل إلينا من كلام هؤلاء ، وللمناقشة فيه مجال ، أما قولهم أن تلك الإرادة ليست مخالفة لإرادة وجه الله تعالى فكلام ظاهري قشري إذ البون البعيد بين إطاعة المحبوب والانقياد إليه لمحض حبه وتحصيل رضاه وبين إطاعته لأغراض آخر أظهر من الشمس في رابعة النهار ، والثانية ساقطة بالكلية عن درجة الاعتبار عند أولى الابصار ، وأما الاعتضاد بالآيتين الأوليين ، ففيه : ان كثيراً من المفسرين ذكروا أن المعنى راغبين في الاجابة ، راهبين من الرد والخيبة ، وأما الآية الثالثة فقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان ان معنى لعلكم تفلحون لكي تسعدوا . ولا ريب أن تحصيل رضاه سبحانه هو السعادة العظمى ، وفسر (ره) الفلاح في قوله تعالى : «اولئك هم المفلحون» بالنجاح والفوز ، وقال شيخ الطائفة في التبيان : المفلحون هم المنجحون

(٢) سورة الانبياء : ٩٠ .

(١) سورة الاعراف : ٥٥ .

(٤) سورة الحج : ٧٧ .

(٣) سورة الاعراف : ٥٦ .

الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم وإيمانهم .

وفي تفسير البيضاوي المفلح : الفائز بالمطلوب ، ومثله في الكشف .

نعم فسّر الطبرسي (ره) الفلاح في قوله : « قد أفلح المؤمنون » بالفوز بالثواب لكن مجيئه في هذه الآية بهذا المعنى لا يوجب حمله في غيرها أيضاً عليه ، وعلى تقدير حمله على هذا المعنى إنما يتم التقريب لو جعلت جملة الترجيحية حالية ، ولو جعلت تعليلية كما جعله الطبرسي فلا دلالة فيها على ذلك المدعى أصلاً كما لا يخفى .

هذا ، والأولى أن يستدل بما رواه الكليني بطريق حسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد ، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الاجراء ، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة ، فإن قوله عليه السلام وهي أفضل العبادة يعطى أن العبادة على الوجهين السابقين لا يخلو من فضل أيضاً فتكون صحيحة وهو المطلوب .

ثم قال رحمه الله : المانعون في نية العبادة من قصد تحصيل الثواب أو دفع العقاب جعلوا هذا القصد مفسداً لها وإن انضم إليه قصد وجه الله تعالى على ما يفهم من كلامهم ، أما بقية الضمانم اللازمة الحصول مع العبادة نويت أو لم تنو كالخلاص من النفقة بعتق العبد في الكفارة ، والحمية في الصوم والتبرّد في الوضوء وإعلام المأموم الدخول في الصلاة بالتكبير ، ومماثلة الغريم بالتشاغل بالملاة وملازمته بالطواف والسعي ، وحفظه المتاع بالقيام لصلاة الليل وأمثال ذلك فالظاهر أن قصدها عندهم مفسد أيضاً بالطريق الأولى وأما الذين لا يجعلون قصد الثواب مفسداً فقد اختلفوا في الفساد بأمثال هذه الضمانم ، فأكثرهم على عدمه ، وبه قطع الشيخ في المبسوط ، والمحقق في المعبر ، والعلامة في التحرير والمنتهى ، لأنها تحصل لا محالة فلا يضر قصدها ، وفيه أن لزوم حصولها لا يستلزم صحة قصد حصولها ، والمتأخرون من أصحابنا حكموا بفساد العبادة بقصدها وهو مذهب العلامة في النهاية

وإنَّ النيةَ هي العمل ، ثم تلاقوله عزَّ وجلَّ : « قل كلُّ يعمل على شاكلته » ^(١) يعنى على نيته .

والقواعد ، وولده فخر المحققين في الشرح ، وشيخنا الشهيد في البيان لفوت الاخلاص وهو الأصح ، واحتمل شيخنا الشهيد في قواعده التفصيل بأنَّ القربة إن كانت هي المقصود بالذات والضيمة مقصودة تبعاً صحت العبادات وإن انعكس الامر أو تساوى باطلت . هذا ، واعلم أنَّ الضميمة إن كانت راجحة ولاحظ القاصد رجحانها وجوباً أو ندباً كالحمية في الصوم لوجوب حفظ البدن ، والاعلام بالدخول في الصلاة للتعاون على البرِّ فينبغي أن لا تكون مضرّة إذ هي حينئذٍ مؤكّدة ، وإنّما الكلام في الضامم غير الملحوظة الرجحان ، فصوم من ضمَّ قصد الحمية مطلقاً صحيح مستحباً كان الصوم أو واجباً ، معيّناً كان الواجب أو غير معيّن ، ولكن في النفس من صحة غير المعيّنين شيء ، وعدمها محتمل ، والله اعلم .

قوله عَلَيْكَ : و النية أفضل من العمل ، أي النية الخالصة أو إخلاص النية أفضل من العمل ، والنية تطلق على إرادة إيقاع الفعل وعلى الغرض الباعث على الفعل وعلى العزم على الفعل والاولئان مقارنتان للفعل دون الثالث ، والاولى لا تنفك فعل الفاعل المختار عنها ، والثانية الاخلاص فيها من أشقّ الامور وأصعبها وبه تتفاضل عبادات الملكتين وهي روح العبادات وبدونها لا تصحّ ، وكلّما كانت أخلص عن الشوائب والاغراض الفاسدة كان العمل اكمل ، ولذا ورد أنَّ نية المؤمن خير من عمله ، ولا ينافي قوله وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ أفضل الاعمال أحزها ، إذ تصحيح النية أصعب من تصحيح العمل بمراتب شتى إذ ليس المراد بالنية ما يتكلّم به الانسان عند الفعل ، أو يتصوره ويخطره بباله ، بل هو الباعث الاصلى والغرض الواقعي الداعي للانسان على الفعل وهو تابع للحالة التي عليها الانسان ، والطريقة التي يسلكها ، فمن غلب عليه حبّ الدنيا وشهواتها لا يمكنه قصد القربة وإخلاص النية عن دواعيها فإن نفسه متوجّهة إلى الدنيا وهمته مقصورة عليها ، فما لم يقلع عن قلبه عروق حبّ الدنيا ولم يستقرّ فيه

• • • • •

طلب المنشأة الأخرى وحبّ الرّب الأعلى لم يمكنه إخلاص النية واقعاً عن تلك الأغراض الدنيّة، وذلك متوقّف على مجاهدات عظيمة ورياضات طويلة و تفكّرات صحيحة، واعتزال عن شرار الخلق، فلذا ورد أن نيّة المؤمن خير من عمله، ومن عرف ذلك لم يحتج إلى تأويل الخبر بما تستمع من الوجوه مع ركافة أكثرها وبعدها عن نظم الكلام، فلذا قال عليه السلام : النيّة أفضل من العمل والسعى في تصحيحها أهمّ. فان قيل : العمل بالنيّة باطل، و معها النيّة داخلّة فيه فكيف يفضل النيّة على العمل فانه يوجب تفضيل الجزء على الكل ؟.

قلنا : المراد به أن العمل المقرون بالنيّة نيّته خير من ساير أجزائه، سواء جعلنا النيّة جزءاً من العمل أو شرطاً فيه، وقوله عليه السلام : ألا وإن النيّة هي العمل، مبالغة في إشتراط العمل بها، وأنه لا اعتداد بالعمل بدونها، فكأنها عينه، ولذا أكّد بحرف التأكيد وحرف التنبيه وإسميّة الجملة، وتعريف الخبر باللام المفيد للتحصر، وضمير الفصل المؤكّد له.

وقيل : إشارة إلى دفع ما يتوهم من أن المفضل عليه لا بدّ أن يكون من جنس المفضل والنيّة ليست من جنس العمل، فأجاب عليه السلام بأنّ النية أيضاً عمل من أعمال القلب ولا يخفى ضعفه، والاستشهاد بالآية الكريمة لبيان أن مدار العمل على النيّة صحّة وفساداً ونقصاً وكمالاً، حيث قال : « قل كلّ يعمل على شاكلته » يعنى على نيّته وكأنّه عليه السلام فسّر الشاكلة التي تطلق غالباً على الحالة والطريقة بالنيّة إيذاناً بأنّ النيّة تابعة لحالة الانسان وطريقته كما أوّمانا إليه، وإن ورد بمعنى النيّة أيضاً، قال الفيروزآبادي : الشاكلة: الشكل والناحية والنيّة والطريقة، وقال في مجمع البيان : أي كلّ واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن ابن عباس، وقيل : على طريقته وسنته التي اعتادها، وقيل : ما هو أشكل بالصواب

٥ - وبهذا الإسناد قال : سألته عن قول الله عز وجل : «إِلَّا مَنْ أَمَّنْهُ بِاللهِ بقلب

وأولى بالحقّ عنده عن الجبائي ، قال : ولهذا قال : « فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً » أي أنّه يعلم أيّ الفريقين على الهدى وأيّهما على الضلال ، وقيل : معناه أنّه أعلم بمن هو أصوب ديناً وأحسن طريقة ، وقال بعض أرباب اللسان هذه الآية أرجى آية في كتاب الله لأنّ الأليق بكرمه سبحانه وجوده الغفور عن عباده ، فهو يعمل به ، انتهى .

ويمكن حمل النية هنا على المعنى الثالث كما سيأتي في الخبر لكنّه بعيد عن سياق هذا الخبر وسيأتي مزيد كلام في ذلك في باب النية وباب الرّياء .

الحديث الخامس : مثل السابق .

قوله تعالى : «إِلَّا مَنْ أَمَّنْهُ بِاللهِ » قال سبحانه في سورة الشعراء حكاية عن إبراهيم عليه السلام حيث قال : « ولا تخزني يوم يبعثون » .

قال الطبرسي قدس الله سرّه أي لا تفضحني ولا تغيّرني بذنوب يوم يحشر الخلائق ، وهذا الدعاء كان منه عليه السلام على وجه الانقطاع إلى الله تعالى لما يستأنّ القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء والصلوة ، ثمّ فسر ذلك اليوم بأن قال : يوم لا ينفع مال ولا بنون أي لا ينفع المال والبنون أحداً إذ لا يتهيأ الذي مال أن يفترق من شدائد ذلك اليوم به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه «إِلَّا مَنْ أَمَّنْهُ بِاللهِ بقلب سليم» من الشرك والشكّ عن الحسن ومجاهد وقيل : سليم من الفساد والمعاصي ، وإنما خصّ القلب بالسّلامة لأنّه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أنّ الفساد بالجراحة لا يكون إلّا عن قصد بالقلب الفاسد ، وروى عن الصادق عليه السلام أنّه قال : هو القلب الذي سلم من حبّ الدنيا ، ويؤيّدّه قول النبي ﷺ «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة» انتهى .

سليم ، ^(١) قال : القلب السليم الذي يلقي ربه و ليس فيه أحد سواه ، قال : و كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

٦ - بهذا الإسناد ، عن سفيان بن عيينة ، عن السندي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما أخلص العبد الايمان بالله عز وجل أربعين يوماً - أوقال : ما أجمل عبد ذكر الله

قوله عليه السلام : و ليس فيه أحد سواه ، أي أخرج عن قلبه حب ما سوي الله و الاشتغال بغيره سبحانه ، أو لم يختل في قلبه على رضا الله رضا غيره ، أو كانت أعماله و نيّاته كلها خالصة لله لم يشرك فيها غيره « و كل قلب فيه شرك ، أعم من الشرك الجلي و الخفي » أو شك ، وهو ما يقابل اليقين الذي يظهر أثره على الجوارح ، فإن كل معصية أو توسل بغيره سبحانه يستلزم ضعفاً في اليقين فالشك يشمل « فهو ساقط ، أي عن درجة الاعتبار أو بعيد عن الرب تعالى .

« وإنما أرادوا ، أي الأتباع و الأوصياء « الزهد » و في بعض النسخ : أرادوا الزهد أي أراد الله ، و الباء زائدة يعني أن الزهد في الدنيا ليس مقصوداً لذاته ، و إنما أمر الناس به لتكون قلوبهم فارغة عن محبة الدنيا ، صالحة لحب الله تعالى ، خالصة له عز وجل ، لا شركة فيها لما سوي الله ، ولا شك فاشاً من شدة محبتها لغير الله .

الحديث السادس : مثل السابق .

« و اخلاص الايمان » مما يشوبه من الشرك و الرّياء و المعاصي ، و أن يكون جميع أعماله خالصة لله تعالى ، و لعلّ خصوص الأربعين لأن الله تعالى جعل انتقال الانسان في أصل الخلقة من حال إلى حال في أربعين يوماً كالانتقال من النطفة إلى العلقه و من العلقه إلى المضغة ، و من المضغة إلى العظام و منها إلى إكتساء اللحم .

و لذا يوقف قبول توبة شارب الخمر إلى أربعين يوماً كما ورد في الخبر ، و الزهد في الشيء تركه و عدم الرغبة فيه ، و داء الدنيا المعاصي و الصفات الذميمة و ما

عز وجل أربعين يوماً - إلا زهده الله عز وجل في الدنيا و بصره داءها ودواءها فأنبت الحكمة في قلبه وأنطق بهالسانه ، ثم تلا : **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سِنًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** وكذلك نجزي المفترين ، ^(١) فلا ترى صاحب بدعة

يوجب البعد عن الله تعالى ، ودواؤها ما يوجب تركها واجتنابها من الرِّياضات والمجاهدات والتفكرات الصحيحة وأمثالها ، أو المراد بدائها الأمراض القلبية الحاصلة من محبة الدنيا ، ودواؤها ملازمة ما يوجب تركها ، وقيل : أي قدر الضرورة منها والزائد عليه أو ميل القلب إليها وصرفه عنها أو الضار والنافع منها في الآخرة أعنى الطاعة والمعصية والحكمة العلوم الحققة الواقعية وأصلها ومنبعها معرفة الامام ولذا فسرت بها كامراً . وفي مناسبة ذكر الآية لما تقدم إشكال ، ويمكن أن يقال في توجيهه وجوه :

الاول : ما خطر بالبال وهو أنه لما ذكر فوائد إخلاص الأربعين وقد أبدع جماعة من الصوفية فيها ما ليس في الدين ، دفع **عليه السلام** توهّم شموله لذلك بالاستشهاد بالآية ، وأنها تدل على أن كل مبتدع في الاحكام ومفتر على الله ورسوله في حكم من الأحكام دليل في الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ** ، وقوله : أو مفترياً أي لا ترى مفترياً ، وبعبارة أخرى لما كان صحة العبادة وكما لها مشترطة بأمرين : الاول ، كونها على وفق السنة ، والثاني : كونها خالصة لوجه الله تعالى ، فأشار أولاً إلى الثاني ، وثانياً إلى الأول ، فتأمل .

الثاني : ما قيل ان الوجه في تلاوته **عليه السلام** الآية التنبيه على أن من كانت عبادته لله تعالى واجتهاده فيها على وفق السنة بصره الله عيوب الدنيا فزهده فيها ، فصار بسبب زهده فيها عزيزاً لأن المذلة في الدنيا إنما تكون بسبب الرغبة فيها ، ومن كانت عبادته على وفق الهوى أعمى الله قلبه عن عيوب الدنيا ، فصار بسبب رغبته فيها ذليلاً ، فأصحاب البدع لا يزالون أدلاء صغاراً ، ومن هنا قال الله في متخذي العجل ما قال .

إِلَّا ذَلِيلًا وَمُفْتَرِيًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا ذَلِيلًا .

﴿ باب الشرايع ﴾

١ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، وعدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إبراهيم بن محمد النقعي ، عن مروان جميعاً عن أبان بن عثمان ، عمّن ذكره ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً ﷺ شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ : التوحيد والاخلاص

الثالث : ما قيل أيضاً أنّ الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أنّ غير المخلص مندرج فيها ، والوعيد متوجّه إليه أيضاً لأنّك قد عرفت أنّ قلبه ساقط ، لكونه ذا شرك أو شكّ وهما بدعة وافترأ على الله ورسوله ، والآية على تقدير نزولها في قوم مخصوصين لا يقتضي تخصيص الوعيد بهم .

الرابع : ما خطر بالبال أيضاً وهو أنّ الاخلاص المذكور في صدر الخبر يشمل الاخلاص عن الرّياء والبدعة ، وكلّ ما ينافي قبول العمل فاستشهد لاحد أجزائه بالآية .

باب الشرايع

الحديث الاول : مرسل .

قوله ﷺ : شرايع نوح ، يحتمل أن يكون المراد بالشرايع أصول الدين ويكون التوحيد والاخلاص وخلع الأئداد بياناً لها ، والفطرة الحنيفية معطوفة على الشرايع وإنّما خصّ ﷺ ما به الاشتراك بهذه الثلاثة مع اشتراكه ﷺ معهم في كثير من العبادات لاختلاف المشتركات فيهادون هذه الثلاثة ، ولعلّه ﷺ لم يردحصر المشتركات فيما ذكر لعدم ذكر سائر أصول الدين ، كالعدل و المعاد مع أنّه يمكن

وخلع الانداد والظرة الحنيفة السمحة ولارهبانية ولا سياحة، أحلّ فيها الطيبات

إدخالهما في بعض ما ذكر ، لا سيما الاخلاص بتكلف ويمكن أن يكون المراد منها الاصول وأصول الفروع المشتركة ، وان اختلفت في الخصوصيات والكيفيات حينئذ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام : وزاده ، بياناً للشرايع ، وبشكل حينئذ ذكر الرهبانية والسياسة إذ المشهور أن عدمهما من خصائص نبينا وآله عليه السلام إلا أن يقال : المراد عدم الوجوب وهو مشترك ، أو يقال : انهما لم يكونا في شريعة عيسى عليه السلام أيضاً وإن استشكل بالجهاد وأنه لم يجاهد عيسى عليه السلام ، فالجواب أنه يمكن أن يكون واجباً عليه لكن لم يتحقق شرائطه ، ولذا لم يجاهد ولعلّ قوله عليه السلام : زاده وفضله ، بهذا الوجه أوفق .

وكان المراد بالتوحيد نفي الشريك في الخلق ، وبالاخلاص نفي الشريك في العبادة ، وخلع الانداد تأكيد لهما ، أو المراد به ترك إتباع خلفاء الجور وأئمة الضلالة أو نفي الشرك الخفي أو المراد بالاخلاص نفي الشرك الخفي وبخلع الانداد نفي الشريك في استحقاق العبادة ، والأنداد جمع ندّ وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناديه أي يخالفه ، والفطرة ملّة الاسلام التي فطر الله الناس عليها كما مرّ والحنيفية المائلة من الباطل إلى الحق أو الموافقة لملّة إبراهيم عليه السلام قال في النهاية: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، وأصل الحنيف الميل ، ومنه الحديث: يعث بالحنيفية السمحة السهلة ، وفي القاموس : السمحة الملّة التي ما فيها ضيق .

وفي النهاية : فيه لارهبانية في الاسلام ، هي من رهبة النصارى ، وأصله من الرهبة الخوف ، كانوا يترهبون بالتخلّي من أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعمّد مشاقها حتى أن منهم من كان يخصّ نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفاها النبي صلى الله عليه وآله عن الاسلام ونهى المسلمين

عنها ، انتهى .

وقال الطبرسي قدس سره : في قوله تعالى : « ورهبانيّة ابتدعوها » ^(١) هي الخلصة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في لبسته أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها ناسك صاحبه والمعنى ابتدعوا رهبانيّة لم تكتبها عليهم ، وقيل : ان الرهبانيّة التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة ، قال : و تقديره ورهبانيّة ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، وقيل : ان الرهبانيّة التي ابتدعوها لحافهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي ﷺ ، فمارعاهم الذين بعدهم حق رعايتها ، وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس .

وقيل : ان الرهبانيّة هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة « ما كتبناها » أي ما فرضنا عليها ، وقال الزجاج : ان تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر الله فهذا وجه ، قال : وفيها وجه آخر جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسراباً وصوامع وابتدعوا ذلك ، فلمّا ألزموا أنفسهم ذلك التطوّع ودخلوا عليه لزمهم إمامه ، كما أن الانسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتمّه .

قال : وقوله : فما رعوها حق رعايتها ، على ضربين أحدهما أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموه أنفسهم ، والاخر وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به ، وكانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانيّة حق رعايتها ، ودليل ذلك قوله : « فآتيناهم آمنوا منهم أجرهم » ، يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ « وكثير منهم فاسقون » أي كافرون ، انتهى كلام الزجاج .

ويعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال : كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال : يا ابن أم عبد هل تدري من أين احدثت بنو اسرائيل الرهبانية ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات ، فلم يبق منهم إلا القليل ، فقالوا : إن ظهرنا هؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه ، فتعالوا نتفرق في الأرض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمدًا ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية ، فمنهم من تمسك بدينه ، ومنهم من كفر ، ثم تلا هذه الآية : «رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ، الى آخرها ، ثم قال : يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة .

وفي حديث آخر عن ابن مسعود أنه ﷺ قال : من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ، انتهى . وقال في النهاية : فيه لا سياحة في الاسلام ، يقال : ساح في الارض يسبح سياحة إذا ذهب فيها وأصله من السبح وهو الماء الجاري أي المنبسط على الارض ، أراد مفارقة الامصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة والجماعات ، وقيل : أراد الذين يسبحون في الارض بالشر والنميمة والافساد بين الناس ، ومن الأول سياحة هذه الامة الصيام قيل للصائم : سايح لأن الذي يسبح في الأرض متعبداً يسبح ولا زاد معه ولا ماء ، فحين يجد يطعم ، والصائم يمضي نهاره لا يأكل ولا يشرب شيئاً فشبه به ، انتهى . قوله عليه السلام أحل فيها الطيبات ، إشارة إلى قوله تعالى في الاعراف : «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، الآية ، قال الطبرسي قدس سره : ويحل

• • • • •

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه : يبيح لهم المستلذات الحسنة ، ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس ، وقيل : يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث ، وقيل : يحل لهم ما حرم الله عليهم رهابينهم وأخبارهم وما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ، ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها « ويضع عنهم إصرهم » أي ثقلهم ، شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل ، وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً ، وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي صلى الله عليه وآله عن الحسن .

وقيل : الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني اسرائيل أن يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ، ويجمع المذنبين قول الزجاج : الاصر ما عقدته من عقد ثقيل .

« والاغلال التي كانت عليهم » معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم ، وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال : هذا طوق في عنقك ، وقيل : يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة ، وقرض ما يصيبه البول من أجسادهم وما أشبه ذلك من تحريم السبت ، و تحريم العروق و الشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ، ووجوب الفصاص دون الدية عن أكثر المفسرين ، انتهى .

وأقول : استدل أكثرهم أصحابنا على تحريم كثير من الاشياء مما تستقذره طباع أكثر الخلق بهذه الآية وهو مشكل ، إذ الظاهر من سياق الآية مدح النبي ﷺ وشريعته بأن ما يحل لهم هو طيب واقعاً وإن لم نفهم طيبه ، وما يحرم عليهم هو الخبيث واقعاً وإن لم نعلم خبيثه كالطعام المستلذ الذي يكون من مال اليتيم أو مال السرقة تستلذه الطبع وهو خبيث واقعاً ، وأكثر الادوية التي يحتاج الناس إليها في

وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، ثم افترض عليه فيها الصلّاة والزكاة والصّيام والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال

غاية البشاعة وتستقذرها الطبع ولم أرقائلاً بتحريمها ، فالحمل على المعنى الذي لا يحتاج إلى تخصيص ويكون موافقاً لقواعد الامامية من الحسن والقبح العقليّين أولى من الحمل على معنى لا بدّ فيه من تخصيصات كثيرة ، بل ما يخرج منهما أكثر ممّا يدخل فيهما كما لا يخفى على من تتبّع مواردتهما ، ويمكن أن يقال : هذه الآية كالصريحة في الحسن والقبح العقليّين ولم يستدلّ بها الاصحاب رضي الله عنهم .

وقيل : الإصر الثقل الذي يأصر حامله أي يحبسّه في مكانه لفرط ثقله ، وقال الزمخشري : هو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته ، فهو اشتراط قفل الأنفس في صحّة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرايعهم من الأشياء الشاقة نحوبت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ ، من غير شرع الدية ، وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض موضع النجاسة من الجلد والثوب ، وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم ، وتحريم السبت .

وعن عطا : كانت بنو اسرائيل إذا قامت تصلّى لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم ، وربما ثقب الرجل رقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة ، انتهى .

قوله ﷺ : ثم افترض عليه ، أي على نبيّنا ﷺ « فيها » أي في الفطرة التي هي ملته ، وكان ثمّ للتفاوت في الرتبة ، وقيل : المراد بالحلال ما عدى الحرام فيشمل الاحكام الاربعة ، والمراد بالفرائض الموارث ذكرت تأكيداً ، أو مطلق الواجبات وقيل : الفرائض ماله تقدير شرعيّ من الموارث وهي أعمّ منها ومن غيرها ممّا ليس له تقدير ، وقيل : المراد بالفرائض ما فرض من القصاص بقدر الجناية ، وقوله : وزاده الوضوء ، يدلّ على عدم شرع الوضوء في الامم السابقة ، وينافيه ماورد في تفسير قوله تعالى : « فطّق مسحاً بالسّوق والاعناق » أنّهم مسحوا ساقهم وعنقهم وكان ذلك وضوئهم إلّا أن يقال : المراد زيادة الوضوء كما في بعض النسخ ، وزيادة الوضوء عطفاً

والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله وزاده الرضوء وفضله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصل وأحل له المغنم والفيء ونصرة بالرب

على الجهاد، وقوله عَلَيْكَ : فضله ، إشارة إلى ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، ومكان الانجيل المثاني ، ومكان الزبور المثني ، وفضلت بالمفصل ، وفي رواية دائلة بن الأصقع : وأعطيت مكان الانجيل المثني ، ومكان الزبور المثاني ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي ، وأعطاني ربي المفصل نافلة .

قال الطبرسي (ره) فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة ، لانهما تدعيان القرينتين ، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل : ان السابعة سورة يونس ، والطول جمع الطولي تأنيث الاطول وإنما سميت هذه السور الطول ، لانها أطول سور القرآن وأما المثاني فهي السور التالية للسبع الطول ، أولها يونس وآخرها النحل ، وإنما سميت المثاني لانها نثت الطول أي ثلثها ، و كان الطول هي المبادئ والمثاني لها نواهي واحدها مثني مثل المعنى والمعاني ، وقال الفراء ، واحدها مثناة ، وقيل : المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها ، من قوله تعالى : « كتاباً متشابهاً مثاني » ^(١) وأما المثنون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية أو فوق ذلك ، أو دونه ، وهي سبع سور أولها سورة بنى اسرائيل وآخرها المؤمنون ، وقيل ، ان المثني : ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المثني وتزيد على المفصل وسميت مثاني لأن المثني مبادئها ، وأما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن ، سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بيسم الله الرحمن الرحيم ، انتهى .

واقول : اختلف في أول المفصل ف قيل : من سورة ق وقيل من سورة محمد ﷺ وقيل من سورة الفتح ، وعن النوذي : مفصل القرآن من محمد إلى آخر القرآن ، وقصاره من الضحى إلى آخره ، ومطولاته إلى عم ومتوسطاته إلى الضحى ، وفي

وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً وأرسله كافة إلى الأبيض والأسود والجنّ والإنس

الغنى: المفصل ثمان وستون سورة و سيأتي تمام الكلام فى ذلك فى كتاب القرآن .
«أحلّ له المغنم» فى النهاية : الغنمية والغنم والمغنم والغنائم هو ما أصيب من
أموال أهل الحرب وأوجب عليه المسلمون بالخيـل والركاب ، وقال : الفىء ما حصل
للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ، وأصل الفىء الرجوع ، يقال :
فاء يفاء فئاً وفيوءاً كأنّه فى الأصل لهم ثمّ رجع إليهم ، انتهى .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد بالمغنم المقتولات وبالفىء الأراضى سواء
أخذت بحرب أم لا ، وعلى التقديرين فى قوله توسّع أى له ولأهل بيته وأمنته ، ويحتمل
أن يكون اللام سببية لاصلة للاحلال ، فيكون من أحلّ له غير المذكور ، فيشمل
الجميع ، والاختصاص لما مرّ أن الامم السابقة كانوا لا تحلّ لهم الغنيمة بل كانوا
يجمعونها فتنزل نار من السماء فتحرقها ، وكان ذلك بليّة عظيمة عليهم حتى كان
قد يقع فيها السرقة ، فيقع الطاعون بينهم فمنّ الله على هذه الامّة باحلالها ونصره
بالرعب مع قلّة العدد والعدّة وكثرة الأعداء وشدة بأسهم ، والرعب الفزع والخوف
فكان الله تعالى يلقى رعبه فى قلوب الأعداء حتى إذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه
وفزعوا منه .

« وجعل له الأرض مسجداً » أى مصلّى يجوز لهم الصلوة فى أى موضع شاءوا
بخلاف الأمم السابقة فإنّ صلاتهم كانت فى بيعة وكنائسهم إلّا من ضرورة « وطهوراً »
أى مطهراً وما يتطهّر به تطهر اسفل القدم والنعل ومحلّ الاستنجاء وتقوم مقام
الماء عند تعذّره فى التيمّم ، والمراد بكونها طهوراً أنّها بمنزلة الطهور فى استباحة
الصلاة بها ، وحمله السيّد (ره) على ظاهره فاستدلّ بها على ما ذهب إليه أن التيمّم
يرفع الحدث الى وجود الماء .

« وأرسله كافة » اشارة الى قوله تعالى : « وما أرسلناك إلّا كافة للناس » وكافة
فى الآية أمّا حال عمّا بعدها ، أى الى الناس جميعاً ، ومن لم يجوز تقديم الحال على
مرآة العقول - ٦ -

وأعطاه الجزية وأسر المشركين وقداهم ، ثم كلف مالم يكلف أحد من الانبياء ،

ذى الحال المجرور قال : هى حال عن الضمير المنصوب في أرسلناك ، والتاء للمبالغة أو صفة لمصدر محذوف ، أى إرساله كافة ، أو مصدر كالكاذبة والعاقبة ، ولعل الأخيرين في الخبر أنسب ، وظاهره أن غيره ﷺ لم يبعث إلى كافة وهو خلاف المشهور ، ويحتمل أن يكون الحصر إضافياً أو يكون المراد به بعثه على جميع من بعده إذ لا نبى بعده بخلاف سائر أولى العزم فانهم لم يكونوا كذلك ، بل نسخت شريعتهم .

«الأبيض والأسود» العجم والعرب أو كل من اتصف باللونين ليشمل جميع الناس قال في النهاية : فيه بعثت إلى الأحمر والأسود ، أي العجم والعرب ، لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض ، وعلى ألوان العرب الأدمة والسمرة ، وقيل : الجن والانس ، وقيل : أراد بالأحمر الأبيض مطلقاً فإن العرب تقول : امرأة حمراء أى بيضاء ومنه الحديث أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، هي ما أفاء الله على أمته من كنوز الملوك ، فالأحمر الذهب والأبيض الفضة ، والذهب كنوز الروم لأنه الغالب على نقودهم ، والفضة كنوز الأكاسرة لأنها الغالبة على نقودهم ، وقيل : أراد العرب والعجم جمعهم الله على دينه وملته ، انتهى .

و الكلام في إختصاص البعث على الجن والانس به ﷺ كالكلام فيما سبق ويدل الخبر أيضاً على إختصاص الجزية والأسر والفداء ، والجزية : المال الذي يقرره الحاكم على الكتابي إذا أقره على دينه ، وهى فعلة من الجزاء كأنها جرت عن قتله وأسره ، والفداء بالكسر والمد ، وبالفتح والقصر ، فكان الأسير بالمال الذى قرره الحاكم عليه يقال : فداه يفديه فداءً ، ثم كلف على بناء المفعول وثم هنا أيضاً مثل ما سبق لأن هذا التكليف أعظم التكليف وأشقها فقد ثبت ﷺ في حرب أحد وحنين بعد إنهزام أصحابه مصرحاً باسمه لا يبالى شيئاً ، وأنزل عليه سيف من السماء أى ذوالفقار أو غيره ، وكونه بلاغمد تحريض على الجهاد وإشارة إلى أن سيفه ينبغى أن لا يغمد ، وقيل السيف عبادة عن آية سورة براءة : « فإذا أنسلخ الأشهر الحرم

وأنزل عليه سيفٌ من السماء ، في غير غمد و قيل له : « قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك » ^(١) .

٢ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل : « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » ^(٢) فقال : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم ، قلت : كيف صاروا أولى العزم ؟ قال : لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة ، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه ، حتى جاء

فاقتلوا المشركين » فأنه يقال لها آية السيف و كونه من غير غمد كناية عن أنها من المحكمات ، ولا يخفى بعده .

والغمد بالكسر الغلاف ، وقال البيضاوى : « قاتل في سبيل الله » أى إن تثبّطوا وتركوك وحدك « لا تكلف إلا نفسك » أى إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد ، فإن الله ناصر لك لا الجنود .

الحديث الثانى : موثق .

« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » قال الطبرسى قدس سره أى فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار على ترك إيجابتهم لك كما صبر الرسل ، و « من » هنا تبين الجنس فالمراد بجميع الأنبياء لأنهم عزموا على أداء الرسالة وتحمل أعبائها ، وقيل : أن من هيهنا للتبعض ، وهو قول أكثر المفسرين ، والظاهر في روايات أصحابنا ، ثم اختلفوا ف قيل : هم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه ، وهم نوح و

(١) سورة النساء : ٨٤ .

(٢) سورة الاحقاف : ٣٥ .

إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لاكفرأ به فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه ، وبعزيمة ترك الصحف وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه ، حتى جاء المسيح بالانجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، فهؤلاء أدلوا العزم من الرسل عليهم السلام .

إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا : وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحى المرسلين وقيل : هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار ، وإسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهب البصر ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر عن مجاهد ، وقيل : هم الذين أمروا بالجهاد والقتال واطهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدي والكشي ، وقيل : هم أربعة إبراهيم ونوح وهود ورابعهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن أبي العالية ، والعزم هو الوجوب والحثم وأولوا العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرايع وأوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها ، انتهى .

قوله عليه السلام : لا كفرأ به أى إنكار الحقيقة بل إيماناً به وبصلاحه في وقت دون الآخر ، وللمنسخ مصالح كثيرة ، والعبد مأمور بالتسليم ، وكان من عملتها ابتلاء الخلق واختبارهم في ترك ما كانوا متمسكين به .
قوله : ومنهاجه ، كأنه إشارة إلى قوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجاً » ^(١) .

﴿ باب ﴾

﴿ دعائم الاسلام ﴾

١ - حدَّثني الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد الزياتي ، عن الحسن بن عليّ الوشاء قال : حدَّثنا أبان بن عثمان عن فضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) : قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحجّ و الولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية .

باب دعائم الاسلام

قال الجوهري : الدعامة عماد البيت الذي يقوم به .

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« بني الإسلام على خمس » يحتمل أن يكون المراد بالإسلام الشهادتين ، و كأنهما موضوعتان على هذه الخمسة لا تقومان إلاّ بها ، أو المراد بالإسلام الإيمان ، والمراد بالبناء عليها كونها أجزائه وأركانه فحينئذٍ يمكن أن يكون المراد بالولاية ما يشمل الشهادتين أيضاً ، أو يكون عدم ذكر الشهادتين لظهورهما ، وأمّا ذكر الولاية التي هي من العقائد الإيمانية مع العبادات الفرعية مع تأخيرها عنها إمّا للمماشاة مع العمارة ، أو المراد بالولاية وفور المودة و المتابعة اللتان هما من مكملات الإيمان أو المراد بالأربعة الاعتقاد بها و الانقياد لها ، فتكون من أصول الدين لأنّها من ضروريات المذهب ، وإنكار كل منها كفر و الأوّل أظهر كما لا يخفى .

« كما نودي بالولاية » أي في يوم الغدير كما سيأتي ، أو في الميثاق وهو بعيد ، و الولاية بالكسر الامارة و كونه أولى بالحكم والتدبير ، وبالفتح المحبة و النصرة وهنا يحتملها .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أوقفني على حدود الإيمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله و الإقرار بما جاء به من عند الله و صلاة الخمس وأداء الزكاة و صوم شهر رمضان و حج البيت و ولاية وليّنا و عداوة عدوّنّا والدخول مع الصادقين .

٣ - أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينأد بشيء كما نوذي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعنى الولاية - .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن

الحديث الثاني : صحيح .

وحدود الإيمان هنا أعم من أجزائه وشرائطه ومكملاته والإقرار بما جاء من عند الله إجمالاً قبل العلم وتفصيلاً بعده كما سيأتى تحقيقه إنشاء الله ، والدخول مع الصادقين متابعة الأئمة الصادقين في جميع الأقوال والأفعال أى المعصومين كما قال سبحانه : « وكونوا مع الصادقين » ^(١) وقد مرّ الكلام في تلك الآية في كتاب الحجّة .

الحديث الثالث : موثق كالصحيح وقد مرّ شرحه .

وقال بعضهم يعنى أدخل هذه الأعمال في حقيقة الاسلام ، واعتبرت فيه وعدّ تاركها من الكفار ، والولاية بالفتح بمعنى المحبة والمودة وهى المراد بها في الحديث السابق ، ولهذا لم يكتف بها حتى أردفه بقوله والدخول مع الصادقين ، وبالكسر تولى الأمر ومالكية التصرف فيها وهو المراد بها ههنا ، انتهى .

والظاهر ان « يعنى » كلام الراوى ويحتمل المصنّف على بعد .

الحديث الرابع : مجهول .

العرزمي ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : قال : أنا في الاسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية ، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه وعبدالله بن الصلت جميعاً ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبدالله ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ، قال زرارة : فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن ، قلت : ثم الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة إن رسول الله ﷺ قال : الصلاة عمود دينكم ، قال : قلت : ثم الذي يليها في الفضل ؟ قال : انزكاة لأنه قرنهما بها وبدأ

والانافي جمع الانفية بالضم والكسر ، وهي الاحجار التي توضع عليها القدر وأقلها ثلاثة وإنما اقتصر في هذا الحديث على هذه الثلاث لأنها أهمهن ، وإشترط صحة الصلاة والزكاة بالولاية ظاهر .
الحديث الخامس : صحيح .

ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بامامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لها من جملة أصول الدين وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن أي بها تفتح أبواب معرفة تلك الأمور وحقايقها وشرايطها وآدابها ، أو مفتاح قبولهن والوالي أي الامام المنصوب من قبل الله « هو الدليل عليهن » يدل من قبل الله الناس على آدابهم واحكامها والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت ، ويمكن أن يكون شبه الدين بالفسطاط واثبت العمود له على سبيل الملكية والتخييلية ، فإذا زال العمود لا ينتفع بالفسطاط لا بفشائه ولا بطنبه ولا بوترده ، فكذلك مع ترك الصلاة لا تنتفع بشيء من أجزاء الدين كما صرح بهذا التشبيه في أخبار آخر ، والمراد بالصلاة المفروضة أو الخمس كما مرّ سيأتي في آخر الخبر ما يدل عليه .

قوله عليه السلام : لأنه قرنهما بها ، استدلال على أن فضل الزكاة بعد الصلاة وقبل غيرها بمجموع مقارنتها في الذكر مع البدائة بذكر الصلاة ثم أكد الجزء الأخير

بالصلاة قبلها وقال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب . قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج ، قال الله عز وجل : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين »^(١) وقال رسول الله ﷺ : لحجة مقبولة

بذكر الحديث ، وليس هو دليلاً تاماً على الأفضلية لأن الحج أيضاً يذهب الذنوب إلا أن يقال أنه ﷺ علم أن الأذهاب الذي يحصل في الزكاة أقوى مستأبداً في الحج . ثم استدلل ﷺ على فضل الحج بتسميته تعالى ترك الحج كفراً وترك ذكر العقاب المترتب عليه ، وذكر الاستغناء الدال على غاية السخط قال البيضاوي : « لله على الناس حج البيت » أي قصده للزيارة على الوجه المخصوص ، وقرء حمزة و الكسائي وعاصم وفي رواية حفص حج بالكسر وهولغة نجد « من استطاع إليه سبيلاً » بدل من الناس مخصص له « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » وضع كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركه ، ولذلك قال ﷺ : من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً .

وقد اكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في [صورة] الاسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم أولاً وتخصيصه ثانياً فأنه كايضاح بعد ابهام ، وتثنية وتكرير للمعrad وتسمية ترك الحج كفراً من حيث أنه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فأنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان ، وقوله : عن العالمين ، يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان ، والاشعار بعظم السخط لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله .

قوله : من عشرين صلاة نافلة فيه دلالة على أن المراد بالصلاة المفضلة في أول الخبر الفريضة .

• • • • •

واعلم أنه يشكل الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في فضل الصلاة و الحج فقد روى الخاص والعام عن الصادق عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله : صلاة فريضة خير من عشرين حجة ، وحجة خير من بيت مملوء ذهباً يتصدق منه حتى يفني ، وحي على خير العمل في الأذان متواتر ، وروى أن الحج أفضل من الصلاة ، والصيام ، لأن المصلي يشتغل عن أهله ساعة وإن الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم ، وإن الحاج يشخص بدنه ويضحى نفسه و ينفق ماله ويطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة ونحو ذلك من الاخبار ، مع أنه إشتهر في الرواية إن أفضل الأعمال أحمرها .

ويمكن الجواب عنه بوجوه : الأول : ما يرمى إليه هذا الخبر أن المفضلة من الصلاة الفريضة ، والمفضل عليها النافلة أو الحج المفضل هو الفريضة وأن المفضل عليه النافلة ، أو المفضلة من الصلاة الفريضة اليومية ، والمفضل عليها سائر ما كما يرشد إليه تخصيص الأذان والاقامة المشتغلين على حي على خير العمل باليومية .

الثاني : حمل الثواب في الصلاة على التفضل ، وفي الحج على الاستحقاق العرفي لا الواقعي كما حققنا في الكتاب الكبير .

الثالث : أن يراد بالحج الذي فضلت الصلاة عليه ، حج ساير الامم .

الرابع : ما قيل : ان المراد أنه لو صرف زمان الحج والعمرة في الصلاة كان أفضل ولا يخفى عدم جريانه في أكثر الأخبار .

الخامس : أن يقال : أنه يختلف الاحوال والاشخاص كما نقل أن النبي صلى الله عليه وآله سئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الصلاة لأوّل وقتها ، و سئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال : بر الوالدين ، وسئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال : حج مبرور ، فخص كل سائل بما يليق بحاله من الأعمال فيقال : كان السائل الأوّل عاجزاً عن الحج ولم يكن له والدان فكان الأفضل بحسب حاله الصلاة ، والثاني كان له والدان محتاجان إلى برّه فكان الأفضل له ذلك ، وكذا الثالث .

خير من عشرين صلاة نافلة و من طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه و أحسن ركعتيه غفر الله له و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال قلت : فماذا يتبعه ؟ قال : الصوم .

السادس : أن يقال : لكل منهما جهة فضل ليس ذلك للآخر ولا يغني شيء منهما عن الآخر فأنه إذا كانت الصلاة أفضل الأعمال لا يغني عن الصوم لأن له تأثيراً في الايمان و كما له ليس في الصلاة كما أن الاغذية البدنية كالخبز و الماء لا يغني شيء منهما عن الآخر فصح أن يقال صلاة واحدة خير من عشرين حجة لأنه يترتب على الصلاة الواحدة أثر لا يترتب ذلك على عشرين حجة ، و صح العكس أيضاً إذ يؤثر الحج الواحد في النفس أثراً لا يؤثر عشرون صلاة مثله ، و قد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الكبير .

وأما حديث أفضل الأعمال أحمرها على تقدير تسليم صحته المراد به أن أفضل كل نوع من العمل أحمر ذلك النوع كالوضوء في البرد و في الحر ، و الحج ماشياً وراكباً و الصوم في الصيف و الشتاء و أشباهها ، و ما قيل : من أن الصلاة مع مقدّماتها من معرفة آدابها و تحصيل المسائل المتعلقة بها أحمر من الحج فهو ضعيف فإن للحج أيضاً مسائل كثيرة لا يمكن تحصيلها في سنين متطاولة .

وهيئة اشكال آخر هو أن الحج مشتمل على الصلاة أيضاً ، وإن كان مندوباً فالصلاة فيه فرض فما معنى تفضيل الصلاة الفريضة على عشرين حجة .

و اجيب عنه بأن المراد الحج بلا صلاة ، و اعترض عليه بأن الحج بلا صلاة باطل فلا فضل له ، فكيف يفضل عليه الصلاة ؟ و الجواب أن المراد الحج مع قطع النظر عن الصلاة و ثوابها ، لا الحج الذي لم تكن معه صلاة ، و هذا الاشكال ينحل بكثير من الاجوبة المتقدمة عن الاشكال الاول لا سيما تخصيص الصلاة بالفرائض اليومية فلا تغفل .

قوله : أحصى فيه اسبوعه ، أى حفظها من غير زيادة ولا نقصان ولا سهو ولا شك « و أحسن ركعتيه » أى يفعلهما في وقتها و مكانهما مع رعاية الشرائط و الكيفيات

قلت : وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ الصوم جنة من النار ، قال : ثم قال : إن أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه نوبة دون أن ترجع إليه فتؤدبه بعينه ، إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء

والآداب المرعية فيهما » وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال « أشار بذلك إلى ما جاء في ثواب عبادة اليومين وفضل الوقوف بالمشرعين أو فضل الحج وكونه سبباً لحط السيئات ورفع الدرجات ، قوله : فما ذا يتبعه ، وفي بعض النسخ : بما ذا يتبعه أى الرب أو المكلف ، ولا ينفي أن هذا السؤال لافائدة فيه . لأنه مع ذكر الصوم أولاً في الأعمال المعدودة وتفضيل ما سواه علم أن الصوم بعدها إلا أن يكون ذلك تمهيداً للسؤال الثاني أو يقال : لما لم يكن كلامه ﷺ أولاً صريحاً في كون تلك الأعمال أفضل من غيرها فهذا السؤال لاستعلام أنه هل بين الصوم والحج عمل يكون أفضل منه .

قوله : قال : قال رسول الله ﷺ ، في بعض النسخ وقال رسول الله ﷺ فيكون من كلام الراوى ، أى كيف يكون مؤخر أعنها وقد قال رسول الله ﷺ فيه ذلك وعلى النسخة الأخرى لعله إنما ذكر ﷺ حديثاً في فضل الصوم رفعا لما عسى أن يتوهم السائل أنه مما لأفضل فيه ، أو أنه قليل الأجر وكونه جنة من النار لأن أعظم أسباب النار هو الشهوات ، والصوم يكسرها ، والطرف متعلق بجنة لتضمنته معنى الوقاية أو السر أو التبعيد ، وفي النهاية فيه : الصوم جنة أى نفى صاحبه مما يؤذيه من الشهوات ، والجنة الوقاية ثم ذكر ﷺ للفضل قاعدة كلية وهو أن الأفضل ما لم يقم شيء آخر مقامه .

وكان المراد بالتوبة هنا المعنى اللغوى أى الرجوع ، أو أطلقت على ما ينوب مناب الشيء مجازاً أو أنه ﷺ لما أطلق الذنب على الشرك وإن كان لعذر أطلق على ما يتداركه التوبة . قوله : أو قصرت ، يعنى في شيء من شرائطه أو أركانه ، والحاصل أنه ﷺ أشار إلى أقسام الفوت وأحكامه إجمالاً ، لأن الفوت إما للعذر مثل المرض

مكانها دون أدائها وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أديت مكانه أياماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره ، قال : ثم قال : ذروة الأمر وسنانه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ، إن الله عز وجل يقول : «من يطع الرسول فقد أطاع

و غيره أو التقصير أو التعمد في تركه ، أو السفر وشبهه ، واللازم إما القضاء فقط أو الكفارة فقط أو هما معاً أو لا هذا ولا ذاك ، وتفصيله في كتب الفروع ، والغرض بيان الفرق بين الصوم والأربعة الباقية بأن الأربعة لا تسقط مع الاستطاعة والصوم يسقط في السفر مع القدرة عليه ، وذكر السفر على المثال ، ويمكن أن يكون عدم ذكر المرض لأنه قد ينتهي إلى حال لا يقدر على الصوم فيه . ومع السقوط في السفر يؤدي مكانه أياماً ، وقد يسقط القضاء أيضاً كما إذا استمر مرضه إلى رمضان آخر .

وكان فيه دلالة على بطلان قول من قال أن «فأخذ الطهورين تسقط عنه الصلاة أداءاً وقضاءً ويحتمل أن يكون ذكر الشق الأول إستطراداً ويكون الغرض أن الصوم إذا فات قد يجب قضاؤه وقد لا يجب ويسقط أصلاً ، بخلاف الأربعة فإنها لا تسقط بحيث لا يجب قضاؤها ، فقلوه : وجزيت مقابل لقوله أديت أي وقد يكون كذلك .

فان قلت : صلاة الحائض أيضاً ليس لها قضاء ؟ قلت : هناك لم يتعلق الوجوب بها أصلاً لا أداءاً ولا قضاءً ولا بدلاً ، وهي هنا عوض عن الصوم بشيء ، فيدل على أن للصوم عوضاً يقوم مقامه .

وذروة الشيء بالضم والكسر أعلاه ، و سنام البعير كسحاب معروف ويستعار لأرفع الأشياء ، والمراد بالأمر الدين ، وبطاعة الامام إنقياده في كل أمر ونهي ، ولما كان معرفة الامام مع طاعته مستلزم لمعرفة سائر أصول الدين وفروعه فهي كأنها أرفع أجزائه ، وكالسنام بالنسبة إلى سائر أجزاء البعير ، وكالمفتاح الذي يفتح به جميع الأمور المغلقة ، والمسائل المشككة كالباب لقرب الحق سبحانه ، وللوصول إلى مدينة علم

الله ومن تولي فما أرسلناك عليهم حفيظاً ، ^(١) أما لو أن رجلاً قام ليلة وصام نهاره و تصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الايمان ، ثم قال : أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن صفوان بن يحيى ، عن عيسى بن السري أبي اليسع قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني بدعائم الاسلام التي لا يسع

الرسول صلى الله عليه وآله وتوجب رضا الرحمن ، ولا يحصل إلا بها .

و الضمير في قوله : بعد معرفته راجع إلى الامام ، ويحتمل رجوعه إلى الله و الاستشهاد بالآية لجميع ما ذكر أو للاخير إما مبني على أن الآية إنما نزلت في ولاية الائمة عليهم السلام ، أو على أن طاعة الامام هي بعينها طاعة الرسول إنما لانه أمر بطاعته أو أنه نائب منابه ، فحكمه حكم المنوب عنه وقيل : لان الرسول في الآية شامل للإمام وهو بعيد .

قوله عليه السلام : ما كان له على الله حق في ثوابه ، لانه لا تشمله آيات الوعد لانه إنما وعد المؤمنين الثواب بالجنة وهو ليس من المؤمنين فلا يستحق الثواب بمقتضى الوعد أيضاً وإن كان المؤمنون المحسنون أيضاً لا يستحقون الثواب بأصل أعمالهم ، لكن يجب على الله إثابهم بمقتضى وعده .

قوله عليه السلام : أولئك المحسن منهم ، الظاهر أنه إشارة إلى المخالفين ، والمراد بهم المستضعفون فأنهم مرجون لامر الله ، ولذا قال : بفضل رحمته في مقابلة قوله : ما كان له على الله حق ، والحاصل أن المؤمنين لهم على الله حق لوعده ، والمستضعفون ليس لهم على الله حق لانه لم يعدهم الثواب بل قال : إنما يعدّ بهم وإما يتوب عليهم ، فان أدخلهم الجنة فبمحض فضله ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى المؤمنين العارفين اى إنما يدخل المؤمنين الجنة وإدخالهم أيضاً بفضل لا باستحقاقهم والاول أظهر .

الحديث السادس : صحيح بسنديه .

أحداً التقصير عن معرفة شيء منها ، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد دينه ولم يقبل [الله] منه عمله ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ولم يضق به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان بأنّ محمداً رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله وحقّ في الأموال الزكاة ؛

قوله ﷺ : ولم يضق به ، الباء للتعدية و من في قوله ممّا هو فيه ، للتبعية وهو مع مدخوله فاعل لم يضق أى لم يضيق عليه شيء ممّا هو فيه ، ويمكن أن يقرأ لجهل بالتنوين ، و شيء بالرفع ، فشيء فاعل لم يضيق ، وفي بعض النسخ « فيما » مكان « ممّا » ، فلعلّ الآخر فيه متعين ، وفي بعض النسخ ولم يضّر به فيمكن أن يقرأ على بناء المجهول ، و « جهله » فعل ماض ومن في ممّا صلة الضرر ، أو على بناء الفاعل وجهله على المصدر فاعله ، و « من » إبتدائية يقال : ضرّه وضرّ به ، وفي تفسير العياشي ولم يضّرّه ما هو فيه بجهل شيء من الأمور إن جهله ، وقيل : يعني لم يضق أولم يضّر به من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الاسلام والعمل بها جهل شيء جهله من الأمور التي ليست هي من الدعائم ، فقوله : ممّا هو فيه ، تعليل لعدم الضيق أو الضرر وقوله : لجهل شيء تعليل للضيق أو الضرر ، وقوله : جهله صفة لشيء ، وقوله : من الأمور عبارة عن غير الدعائم من شعائر الاسلام ، انتهى . ولا يخفى ما فيه .

« وحقّ في الأموال » إمّا مجرور بالعطف على ما جاء والزكاة بدله ويكون تخصيصاً بعد التعميم ، وربما يخصّ ما جاء بالصلاة والزكاة وسائر الاخبار المتقدمة وهو بعيد ، وإمّا مرفوع بالخبريّة للزكاة والزكاة مبتدأ ، و يمكن أن يقرأ حقّ على بناء الماضي المجهول ، وعلى التقديرين الجملة معترضة للتأكيد والتبيين وإنّما لم يذكر الصلاة لظهور أمرها فاكتفى عنها بما جاء به ، وأمّا رفعه بالعطف على الشهادة كما قيل فهو بعيد ، لأنّه ﷺ لم يتعرّض فيه لسائر العبادات بل اقتصر فيه على الاعتقادات ، وقيل : أراد ﷺ بالولاية المأمور بها من الله بالكسر الامارة وأولويّة التصرف ، وبالأمر بها ما ورد فيها من الكتاب والسنة كآية المذكورة في

والولاية التي أمر الله عز وجل بها : ولاية آل محمد ﷺ ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال : نعم قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »^(١) وقال رسول الله

هذا الحديث ، وكآية إيمان وليتكم الله ، وحديث الغدير وغير ذلك ؛ أقول : بل الولاية بالفتح بمعنى المحبة والنصرة والطاعة وإعتقاد الامامة هنا أنسب كما لا يخفى .

قوله : هل في الولاية شيء دون شيء ، أقول : هذا الكلام يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المراد هل في الامامة شرط مخصوص وفضل معلوم يكون في رجل خاص من آل محمد بعينه يقتضي أن يكون هو ولي الأمر دون غيره يعرف هذا الفضل لمن أخذ به أي بذلك الفضل وادّعاء وادّعى الامامة فيكون من أخذ به الامام أو يكون معروفاً لمن أخذ وتمسك به وتابع إماماً بسببه ، ويكون حجته على ذلك فالمراد بالموصول الموالى للامام .

الثاني : أن يكون المراد به هل في الولاية دليل خاص يدل على وجوبها و لزومها فضل أي فضل بيان وحجة وربما بقرء بالصاد المهملة أي برهان فاصل قاطع يعرف هذا البرهان لمن أخذ به أي بذلك البرهان ، والاخذ يحتمل الوجهين ، ولكل من الوجهين شاهد فيما سيأتي ، ويمكن الجمع بين الوجهين بأن يكون قوله شيء دون شيء إشارة إلى الدليل ، وقوله : فضل إشارة إلى شرائط الامامة وإن كان بعيداً وحاصل جوابه أنه لما أمر الله بطاعة أولى الأمر مقروفة بطاعة الرسول و بطاعته فيجب طاعتهم ولا بد من معرفتهم ، وقال الرسول ﷺ : من مات ولم يعرف إمام زمانه ، أي من يجب أن يقتدى به في زمانه ، مات ميتة جاهليّة ، والميتة بالكسر مصدر للنوع أو كموت أهل الجاهليّة على الكفر والضلال ، فدل على أن لكل زمان إماماً لا بد من معرفته ومتابعته .

عليه السلام : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ وكان علياً عليه السلام وقال الآخرون : كان معاوية ، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين عليه السلام وقال الآخرون : يزيد بن معاوية وحسين بن علي ولا سواء ولا سواء قال : ثم سكنت ثم قال : أزيدك ؟ فقال له حكم الأعمور : نعم جعلت فداك قال : ثم كان علي بن الحسين ثم كان محمد بن علي أباجعفر وكانت الشيعة قبل أن يكون أبوجعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبوجعفر ففتح لهم وبين لهم مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعدما كانوا

« وكان رسول الله ، أي كان من تجب طاعته في زمن الرسول هو ﷺ وكان بعده ﷺ علياً ، وقال آخرون مكانه معاوية ، وإنما لم يذكر الفاصبين الثلاثة - نقيصة وإشعاراً بأن القول بخلافتهم بالبيعة يستلزم القول بخلافة مثل معاوية فاسق جاهل كافر ، وبالجملة لما كان هذا أشنع خصه بالذكر مع أن بطلان خلافته يستلزم بطلان خلافتهم.

« ثم كان الحسن » أي في زمان المعاوية أيضاً ، ثم كان الامام الحسين في بعض زمن معاوية وبعض زمن يزيد عليهما اللعنة ، وحسين بن علي ثانياً كأنه زيد من الرواة أو النسخ ، ويؤيده عدم التكرار في رواية الكشي ، ويحتمل أن يكون جملة حالية بحذف الخبر أي وحسين بن علي حتى ، وقد يقرء حسين بالتنوين فيكون ابن علي خبراً أو يكون ذكره أو لأمقا بلته عليه السلام بمعاوية وثانياً لمقابله بيزيد ، فالمعنى وقال : آخرون : يزيد بن معاوية والحسين معارضان ، أو الواو بمعنى مع « ولا سواء » خبر مبتداء محذوف ، وفي بعض النسخ مكرر ثلاث مرات ، أي علي ومعاوية لاسواء ، وحسن ومعاوية لاسواء وحسين ويزيد لاسواء .

والحاصل أن الأمر أوضح من أن يشبه علي أحد فائه لا يريب عاقل في أنه إذا كان لابد من إمام وتردد الأمر بين علي ومعاوية فعلى أولى بالامامة ، « وكان »

يحتاجون إلى الناس وهكذا يكون الأمر والارض لا تكون إلاّ بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة وأحوج ماتكون إلى ماأنت عليه إذبلغت نفسك هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - وانقطعت عنك الدنيا تقول : لقدكنت على أمر حسن. أبو عليّ الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السريّ أبي اليسع ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن مثنى الحنّاط عن عبد الله بن عجلان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمس : الولاية والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ .

٨ - عليّ بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن أبان عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء مانودي بالولاية يوم الغدير .

في الكلّ ناقصة لقوله عليّاً وأبا جعفر ومن قال نصب أبا جعفر بتقدير أعنى غفل عن ذلك ، ولكن في قوله : وكانت الشيعة ، وقوله ان يكون أبو جعفر ، وقوله حتى كان أبو جعفر تامّة ، والمراد بالكون في الأخيرين ظهور أمره ورجوع الناس إليه ، وقيل : كانت ناقصة والظرف خبره ، والمراد بالناس في الموضعين علماء المخالفين ورواتهم .

« وهكذا يكون الأمر » أي هكذا يكون أمر الامامة دائماً بين معصوم من أهل البيت بين فضله وورعه وعصمته ، وجاهل فاسق بين الجهالة والفسق من خلفاء الجور « والارض لا تكون إلاّ بإمام معصوم » عالم بجميع ما يحتاج إليه الامّة ، ومن لم يعرفه مات ميتة جاهليّة ، وأحوج مبتداء مضاف إلى ما وهى مصدرية وتكون تامّة ونسبة الحاجة إلى المصدر مجاز ، والمقصود نسبة الحاجة إلى فاعل المصدر باعتبار بعض أحوال وجوده وإلى متعلق بأحوج و « ما » موصولة وعبرة عن التصديق بالولاية وإذا ، ظرف وهو خبر أحوج ، « أوّمي » كلام الراوي وقع بين كلامه عليه السلام .

الحديث السابع ضعيف على المشهور .

الحديث الثامن مجهول .

٩ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكي عملي ولم يضرني جهل ما جهلت بعده ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ والاقراء بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد عليهم السلام ، فإنَّ رسول الله ﷺ قال : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليَّة ، قال الله عز وجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرُّسول وأولي الأمر منكم» ^(١) فكان علي عليه السلام ثمَّ صار من بعده حسن

الحديث التاسع صحيح وهو مختصر من الحديث السادس والراوى واحد . وقال ابو الفتح الكراجكى قدس سره في كنز الفوائد : جاء في الحديث من طريق العامة عن عبد الله بن عمر : انَّ رسول الله ﷺ قال : من مات وليس في عنقه بيعة لامام ، أو ليس في عنقه عهد لامام مات ميتة جاهليَّة ، وروى كثير منهم أنَّه ﷺ قال : من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة ، وهذا الخبران يطابقان المعنى في قول الله تعالى : «يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فاوائك يقرءون كتابهم ولا يظلمون قتيلاً» ^(٢) .

فان قال الخصوم : انَّ الامام ههنا هو الكتاب ؟ قيل لهم : هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجة توجب ذلك ولا رهاً ، لأنَّ ظاهر التلاوة يفيد أنَّ الامام في الحقيقة هو المقدَّم في الفعل والمطاع في الامر والنهى ، وليس يوصف بهذا الكتاب إلا أنَّ يكون على سبيل الاتساع والمجاز ، والمصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى ، إلا أنَّ يدعو إلى الانصراف عنه الاضطرار ، وأيضاً فانَّ أحد الخبرين يتضمن ذكر البيعة والعهد للامام ونحن نعلم أنَّ لبيعة للكتاب في أعناق الناس ، ولا معنى لأنَّ يكون له عهد في الرقاب ، فعلم أنَّ قولكم في الامام أنَّه الكتاب غير صواب .

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة الاسراء : ٧١ .

ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية و أحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال : و أهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ : لقد كنت على أمر حسن .

١٠ - عنه عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله هل تعرف مودتي لكم وانقطاعي إليكم وموالياتي إياكم ؟ قال : فقال : نعم ، قال : فقلت : فأنني أسألك مسألة تجيبني فيها فأنني مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين قال : هات حاجتك ، قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجل به أنت و أهل بيتك لأدين الله عز وجل به قال : إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة و الله لا عطينك ديني و دين آبائي الذي تدين الله عز وجل به ، شهادة أن

فان قالوا : ما تنكرون أن يكون الامام المذكور في الآية هو الرسول والله اعلم ؟ قيل لهم : ان الرسول قد فارق الأمة بالوفاة ، وفي أحد الخبرين أنه إمام الزمان ، وهذا يقتضي أنه حي ناطق موجود في الزمان فأما من مضى بالوفاة فليس يقال أنه إمام وإلا لكان إبراهيم عليه السلام إمام زماننا ، إلى آخر ما قال رحمه الله .

الحديث العاشر ضعيف .

و ضمير عنه كأنه راجع إلى عيسى بن السري « إن كنت أقصرت الخطبة » الظاهر أن الخطبة بضم الخاء أي ما يتقدم من الكلام المناسب قبل إظهار المطلوب ، وكأنه عليه السلام عد خطبة قصيرة مع طولها إعظماً للمسئلة وإيضاحاً بأن هذا المقصود الجليل يستدعي أطول من ذلك من الخطبة ، وقيل : إقصاره أيها إكتفاؤه بالاستفهام من غير بيان وإعلام ، ومنهم من قرء الخطبة بالكسر مستعارة من خطبة النساء وهو تكلف . قال في النهاية في الحديث ان « أعرابياً جائه فقال : علمني عملاً يدخلني الجنة ، فقال : لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أي جئت بالخطبة قصيرة وبالمسئلة عريضة ، يعني قللت الخطبة وأعظمت المسئلة .

لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ والأقارب ما جاء به من عند الله والولاية لوليِّنا والبراءة من عدونا والتسليم لأمرنا وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع .

١١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن صالح بن السندی ، عن جعفر بن بشير ، عن عليِّ ابن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سمعته يسأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : جعلت فداك أخبرني عن الدين الذي افترض الله عز وجل على العباد ، ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره ، ماهو ؟ فقال : أعد عليّ فأعاد عليه ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع

« والتسليم لأمرنا » أي الرضا قلباً بما يصدر عنهم قولاً وفعلاً من اختيارهم المهادنة أو القتال أو الظهور أو الغيبة وسائر ما يصدر عنهم ممّا يعجز العقول عن إدراكه والأفهام عن إستنباط علته كما قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » ^(١) والاجتهاد بذل الجهد في الطاعات ، والورع الاجتناب عن المعاصي بل الشبهات والمكروهات .

الحديث الحاد يعشر ضعيف على المشهور .

قوله : « ما لا يسعهم » عطف بيان للدين أو مبتدأ « وما هو » خبره ، قوله : أعد عليّ كأنَّ الأمر بالاعادة لسماع الحاضرين وإقبالهم إليه أو لاطهار حسن الكلام والتلذذ بسماعه وكأنه يدخل في شهادة التوحيد كلما يتعلق بمعرفة الله من صفات فعله وفي شهادة الرسالة ما يتعلق بمعرفة الأنبياء وصفاتهم ، وكذا الاقرار بالمعاد داخل في الاولى أوفى الثانية لاخبار النبي بذلك ، « وإقام الصلاة » حذف التاء للاختصار ، وقيل : المراد بإقامتها إدامتها ، وقيل : فعلها على ما ينبغي ، وقيل : فعلها في أفضل أوقاتها وقيل : جاء على عرف القرآن في التعبير من فعل الصلاة بلفظ الإقامة دون أخواتها ، وذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرائط والفرائض والسنن والفضائل ، وإقامتها إدامة فعلها مستوفاة جميع ذلك .

إليه سبيلاً وصوم شهر رمضان ، ثم سكت قليلاً ، ثم قال : و الولاية - مرتين - ،
ثم قال : هذا الذى فرض الله على العباد ولا يسأل الرب العباد يوم القيامة فيقول
ألا زدتنى على ما افترضت عليك ؟ ولكن من زاد زاده الله ، إن رسول الله ﷺ
سن سنناً حسنة جميلة ينبغي للناس الأخذ بها .

١٢ - الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن فضالة بن أيوب
عن أبي زيد الحلال ، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدى قال : سمعت أبا عبد الله
عليه السلام يقول : إن الله عز وجل فرض على خلقه خمساً فرخص في أربع ولم يرخص

أقول : ويمكن أن يكون ذكر الإقامة لتشبيهه الصلوة من الإيمان بمنزلة العمود
من الفسطاط كما ورد في الخبر ، وإنما لم يذكر الجهاد لأنه لا يجب إلا مع الإمام
فهو تابع للولاية مندرج تحتها ، أول عدم تحقق شرط وجوبه في ذلك الزمان .
قوله : مرتين أى كرّ الولاية تأكيداً .

قوله عليه السلام : هذا الذى فرض الله على العباد أى علم فرضها ضرورة من الدين
« فيقول ألا زدتنى » بالتشديد حرف تنهـ ضيـض ، وإذا دخل على الماضى يكون للتعبير
والتنديم ، وكأن المعنى أنه لا يسئل عن شيء سوى هذه من جنسها ، كما أنه من أنى
بالصلوات الخمس لا يسئل الله عن النوافل ومن أنى بالزكاة الواجبة لا يسئل عن الصدقات
المستحبة وهكذا .

الحديث الثانى عشر ضعيف .

قوله عليه السلام : فرخص في أربع كالتقصير في الصلاة في السفر وتأخيرها عن وقت
الفضيلة مع العذر ، وترك كثير من واجباتها في بعض الأحيان ، أو سقوط الصلاة عن
الحائض والنفساء ، وعن فاقد الطهورين أيضاً إن قلنا به ، والزكاة عمن لم يبلغ ماله
النصاب أو لم يحل عليه الحول ، أو لم يتمكن من التصرف فيه أو فقد سائر الشرائط ،
والحج عمن لم يستطع أو لم يخل سربه وأشياء ذلك ، والصوم عن المسافر أو الشيخ
الكبير أوذى العطاش وأمثالهم ، بخلاف الولاية فانها مع بقاء التكليف لا يسقط

في واحدة .

١٣ - عنه ، عن معلّى بن مجاهد ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن إسماعيل الجعفي قال : دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة فقال له أبو جعفر عليه السلام : هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل فقال : رحمك الله هذا الذي أريد ، فقال أبو جعفر عليه السلام : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وتقرّب بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا والتسليم لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمنا فإن لنا دولة إذا شاء الله جاء بها .

١٤ - عليّ بن ابراهيم ، عن أبيه ؛ وأبو عليّ الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار جميعاً عن صفوان ، عن عمر بن حريث قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في منزل أخيه عبد الله بن محمد فقلت له : جعلت فداك ما حوّلَكَ إلى هذا المنزل ؟ قال : طلب النزهة فقلت : جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني ؟ فقال : بلى ، قلت : أدين الله بشهادة

وجوبها في حال من الاحوال ، ويحتمل أن يراد بالرخصة أنه لا ينتهي تركها إلى حد الكفر والخلود في النار ، بخلاف الولاية فإن تركها كفر والأوّل أظهر .

الحديث الثالث عشر ضعيف على المشهور

« صحيفة مخاصم » أي مناظر مجادل سائل وفي بعض النسخ سئل أي فيها ، ويحتمل على هذه النسخة أن يكون مخاصم إسم رجل ، وقيل في بعض النسخ : سل فعل أمر يعني لا تناظر في بل سل من غير تعنّت وهو أوضح ، انتهى .

وأقول : ما رأيت هذه النسخة وفي وضوحه خفاء « وتقرّ » أي وإن تقرّ « والورع » أي عن محارم الله « والتواضع » أي لله ولا وليائه أو الأعم وانتظار القائم عليه السلام يتضمن العلم بوجوده وظهوره وعدم الشك فيه والتسليم لغيبته والصبر على ما يلقاه من الأذى فيها والتمسك بما في يده من آثارهم والرجوع إلى رواة أخبارهم عليهم السلام .

الحديث الرابع عشر صحيح .

وفي القاموس : التنزّه التباعد ، والاسم النزّهة بالضم ، ومكان نزّه ككتف و

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ تَحْدَأَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَأَنْ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنْ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصُومَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحُجَّ الْبَيْتِ وَالْوَلَايَةَ لِعَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْوَلَايَةَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالْوَلَايَةَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْوَلَايَةَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَأَنْتُمْ أَئِمَّتِي عَلَيْهِ أَحْيَى وَعَلَيْهِ أَمُوتُ وَأَدِينُ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو هَذَا وَهُوَ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ آبَائِي الَّذِي أَدِينُ اللَّهُ بِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَكُفِّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَلَا تَقُلْ إِنِّي هَدَيْتُ نَفْسِي بَلِ اللَّهُ هَدَاكَ فَأَدِّ شُكْرَ مَا أَنْعَمَ

نزيه، وأرض تزهة بكسر الزاى و تزيهة بعيدة عن الرِّيف وعمق المياه وذببان القرى و ومد البحار، وفساد الهواء، تزه ككرم وضرب تزاهة و تزاوية و الرجل تباعد عن كل مكروه فهو نزيه، واستعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح، وهو بنزهة من الماء بالضم يبعد، انتهى.

وأقول: كفى باستعماله في هذا المعنى ظاهراً شاهداً على صحته بل فصاحته وإن أمكن حمله على بعض المعانى التى صححتها مع أنهم عليه السلام قد كانوا يتكلمون بعرف المخاطبين ومصطلحاتهم تقريباً إلى أفهامهم.

وقال في المصباح قال ابن قتيبة: ذهب أهل العلم في قول الناس خرجوا ينتزحون إلى البساتين أنه غلط وهو عندى ليس بغلط لأن البساتين في كل بلد إنما تكون خارج البلد فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت التزهة في الخضر والجنان.

قوله: أدين الله أى أعبد الله وأطيعه بتلك العقائد والأعمال في السر والعلانية أى بالقلب واللسان والجوارح أو في الخلوة والمجتمع مع عدم التقيّة.

«و كف لسانك» تخصيص اللسان بالذكر بعد الأمر بالتقوى مطلقاً لكون أكثر الشرور منه «ولا تقل إننى هديت نفسى» أى لا تفسد دينك بالعجب، واعلم

الله عز وجل به عليك ولا تكن ممّناً إذا أقبل طعن في عينه وإذا أدبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس على كاهلك فانتك أو شك ان حملت الناس على كاهلك أن يصدعوا شعب كاهلك .

١٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي جعفر عليه السلام : قال : ألا أخبرك بالاسلام أصله و فرعه

أن الهداية من الله سبحانه ، و هو نهى عن القول بالتفويض المطلق وإنكار مدخلية هداية الله و توفيقه و خذلانه في الفعل و الترك كما مرّ تحقيقه « ولا تكن ممّناً إذا أقبل » أى كن من الاخيار ليمدحك الناس في وجهك و قفاك ولا تكن من الاشرار الذين يذمّهم الناس في حضورهم و غيبتهم أو أمر بالتقية من المخالفين أو حسن المعاشرة مطلقاً .

« ولا تحمل الناس على كاهلك » أى لا تسلط الناس على نفسك بترك التقية أو لا تحملهم على نفسك بكثرة المداينة و المداراة معهم بحيث تنضّر بذلك ، كان يضمن لهم و يتحمل عنهم ما لا يطيق أو يطعمهم فى أن يحكم بخلاف الحق أو يوافقهم فيما لا يحل ، و هذا أفيد وإن كان الاول أظهر ، و قال الفيروز آبادى : الكاهل كصاحب : الحارك ، أو مقدّم أعلى الظهر ممّا يلى العنق وهو الثلث الأعلى و فيه ست فقرات ، و ما بين الكتفين أو موصل العنق فى الصلب ، و قال : الصدع الشق فى شىء صلب ، و قال : الشعب بالتحريك بعد ما بين المنكبين .

الحديث الخامس عشر : صحيح .

قوله عليه السلام : ذروة سنامه ، الاضافة بيانية أو لامية إذ للسنام الذى هو ذروة البعير ذروة أيضاً هى أرفع أجزائه ، و إنما صارت الصلاة أصل الاسلام لأنها بدونها لا يثبت على ساق ، و الزكاة فرعه لأنه بدونها لا تتم و قيل : لأنها بدونه لا تصح ولا تقبل ، و الجهاد ذروة سنامه لأنه سبب لعلو الاسلام و ارتفاعه ، و قيل : لأنه فوق كل بر كما ورد في الخبر ، و ذكر من أبواب الخير ثلاثة : أحدها : الصوم

و ذروة سنامه ؟ قلت : بلى جعلت فذلك قال : أمّا أصله فالصلاة و فرعه الزكاة و ذروة سنامه الجهاد، ثم قال : إن شئت أخبرتك بأبواب الخير ؟ قلت : نعم جعلت فذلك قال : الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله ، ثم قرأ ﷻ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »^(١).

﴿ باب ﴾

﴿ أن الاسلام يحقن به الدم [و تؤدى به الامانة] و أن الثواب على الايمان ﴾

١ - على بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن ،

أى الواجب أو الأعمّ لأنّه جنة من النار ومما يؤدّى إليها من الشهوات ، وثانيها : الصدقة الواجبة أو الأعمّ فأنّها تكفر الخطايا و تذهبها ، وثالثها : صلاة الليل لمدحه تعالى فاعلها بقوله : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » حيث حصر الايمان فيهم أو لا ثم مدحهم بما مدحهم به ، ثم عظم و أبهم جزائهم حيث قال : « إنّما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً و سبّحوا بحمدي ربّهم وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون » ويحتمل أن يكون المراد بأبواب الخير الصوم فقط ، فيكون ذكر ما بعده تبرّعاً ، والأوّل أظهر .

باب أن الاسلام يحقن به الدم و أن الثواب على الايمان

يقال : حقن دم فلان أي أنقذه من القتل .

الحديث الاول مجهول بل حسن .

و يدلّ على عدم ترادف الايمان و الاسلام و أنّ غير المؤمن من فرق أهل الاسلام لا يستحقّ الثواب الأخرى أصلاً كما هو الحقّ و المشهور بين الامامية

عن القاسم الصيرفي شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الاسلام يحقن

و ستعرف أن كلاً من الاسلام و الايمان يطلق على معان ، و ظاهر هذا الخبر أن المراد بالايمان الاذعان بوجوده تعالى و صفاته الكمالية وبالتوحيد و المعاد و الاقرار بنبوّة نبينا وآله وصحبه و إمامة الأئمة الاثنا عشر صلوات الله عليهم ، و بجميع ما جاء به النبي ما علم منها تفصيلاً و ما لم يعلم اجمالاً و عدم الاتيان بما يخرج عن الدين كعبادة الصنم ، و الاسلام هو الاذعان الظاهري بالله و برسوله و عدم إنكار ما علم ضرورة من دين الاسلام فلا يشترط فيه ولاية الأئمة عليهم السلام ، ولا الاقرار القلبي فيدخل فيه المنافقون و جميع فرق المسلمين ممن يظهر الشهادتين عدى النواصب و الفلاة و المجسمة و من أتى بما يخرج عن الدين كعبادة الصنم و إلقاء المصحف في القاذورات عمداً و نحو ذلك ، و سيأتي تفصيل القول في جميع ذلك إنشاء الله .

ثم انه ذكر عليه السلام من الثمرات المترتبة على الاسلام ثلاثة :

الاول : حقن الدم ، قال في القاموس : حقنه يحقنه و يحقنه حبسه ، ودم الفلان أنقذه من القتل ، انتهى .

و ترتب هذه الثمرة على الاسلام الظاهري ظاهر ، لأن في صدر الاسلام و زمن الرسول كانوا يكتفون في ترك قتل الكفار باظهارهم الشهادتين ، و بعده وآله وصحبه لما حصلت الشبهة بين المسلمين و اختلفوا في الامامة فخرجت عن كونه من ضروريات الدين ، فدم المخالفين و ساير فرق المسلمين محفوظة إلا الخوارج و النواصب ، فإن ولاية أهل البيت و محبتهم كانت من ضروريات الدين ، و إنما الخلاف كان في إمامتهم ، و الباغي على الامام يجب قتله بنص القرآن ، و هذا الحكم إنما هو إلى ظهور القائم عليه السلام إذ في ذلك الزمان ترتفع الشبهة و يظهر الحق بحيث لا يبقى لأحد عذر ، فحكم منكر الامامة في ذلك الزمان حكم سائر الكفار في وجوب قتلهم و غير ذلك .

و أما المنافقون المظهرون للعقائد الحقّة ظاهراً و المنكرون لها قلباً فيحتمل

به الدّم ، و تؤدّي به الامانة ، و تستحلّ به الفروج ؛ و الثواب على الايمان .

عدم قبول ذلك منهم ، لحكمه ﷺ بعلمه في أكثر الأحكام ، و يحتمل قبوله منهم إلى أن يظهر منهم خلافه كما يظهر من أخبار دابة الأرض و أكثر الأخبار في ذلك مجملة .

الثاني : أداء الامانة و ظاهره عدم وجوب ردّ ودیعة من لم يظهر الاسلام ، و هو خلاف المشهور و سایر الأخبار ، فان المشهور بين الاصحاب وجوب ردّ الودیعة ولو كان المودع كافراً ، و قال أبو الصلاح : إن كان حریباً وجب أن يحتمل ما أودعه إلى سلطان الاسلام ، و يدلّ كثير من الأخبار على الاول ، فيمكن حمل الخبر على ان الردّ على المسلم أكد أو أنه ممّا يحكم به أهل الاسلام . أو المراد بالامانة غير الودیعة ممّا حصل من أمواله في يد غيره ، أو المراد أن الاسلام يصير سبباً لأن يؤدّي الأمانات إلى أهلها و في الكلّ تكلف ، والحمل على مذهب أبي الصلاح (ره) أيضاً يحتاج إلى تكلف لأنه أيضاً يوجب ردّ أمانة الذمى ، فيمكن أن يقال : ردّ أمانة الذمى أيضاً بسبب الاسلام إذ هو بسبب أنه في أمان المسلمين و ذمتهم .

قال بعض الأفاضل : إن قيل : أداء أمانة الكافر أيضاً واجب فلم خصّ بالمسلم؟ قلنا : إنّما يجب أداء أمانة الكافر إذا صار في حكم المسلم بالذمة .

الثالث : إستحلال الفرج بالاسلام ، فیدلّ ظاهراً على عدم جواز نکاح الکافرة مطلقاً بل بملك اليمين أيضاً إلاّ ما خرج بالدليل ، و کذا إنکاح الکافر ، وعلى جواز نکاح المسلمة مطلقاً و کذا نکاح المسلم من أى الفرق كان .

أمّا الأول ، فلا خلاف في عدم نکاح المسلم غير الکتابیّة وفي تحریم الکتابیّة أقوال : التحريم مطلقاً ، و جواز متعة اليهودیّة و النصرانیّة إختیاراً ، و الدوام اضطراراً ، و عدم جواز العقد بحال ، و جواز ملك اليمين و جواز المتعة و ملك اليمين لليهودیّة و النصرانیّة ، و تحریم الدوام كما هو مختار أكثر المتأخرين تحریم نکاحهنّ مطلقاً إختیاراً ، و تجویزه مطلقاً إضطراراً ، و تجویز الوطی بملك اليمين

٢- عليّ، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال : الايمان إقرار وعمل ، و الاسلام إقرار بلا عمل .

الجواز مطلقا كما ذهب إليه الصدوق ، وفي المجوسية اختلاف في الأقوال والروايات . و الأقرب جواز وطئها بملك اليمين ، و الاحوط الترك في غير ذلك و إذا أسلم زوج الكتائية فهو على نكاحه و إن لم يدخل بها .

و أما الثاني و هو تزويج غير المؤمن من فرق المسلمين فالمشهور إعتبار الايمان في جانب الزوج دون الزوجة ، و ذهب جماعة إلى عدم إعتباره مطلقا ، و الاكتفاء بمجرد الاسلام و لا يخلو من قوة في زمان الهدنة ، و لا يصح نكاح الناصب المبغض لأهل البيت عليهم السلام مطلقا .

ثم ذكر عليه السلام ثمرة الايمان و هو ترتب الثواب على أعماله في الآخرة فغير المؤمن الاثنى عشرى المصدق قلباً لا يترتب على شيء من أعماله ثواب في الآخرة و يلزمه الخلود في النار كما مر و سيأتي أيضاً إنشاء الله .

الحديث الثاني حسن كالصحيح .

و يدل على اصطلاح آخر للايمان و الاسلام و هو أن الاسلام نفس العقائد مع العمل بمقتضاها من الايمان بالفرائض و ترك الكبائر و هذا اصطلاح آخر غير الاصطلاح المتقدم ، و ربما يؤول هذا الخبر بأن المراد بالاقرار الاقرار بالشهادتين و بالعمل عمل القلب و هو التصديق بجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو بأن المراد بالاقرار ترك الايذاء و الانكار ، و المراد بالعمل العمل الصحيح ، و الحمل فيهما على المجاز أى الايمان سبب لأن يقرب على دينه و لا يؤذى و يحكم عليه بأحكام المسلمين و سبب لصحة أعماله بخلاف الاسلام فإنه يصير سبباً للأول دون الثاني ، و لا يخفى بعده ، و يحتمل أن يكون المراد بالاقرار إظهار الشهادتين ، و بالعمل ما يقتضيه من التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، و منها الولاية فيرجع إلى الخبر الاول .

٣ - عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن جميل بن درّاج قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « قالت الأعراب آمنا قل لم

الحديث الثالث صحيح .

« قالت الأعراب آمنا » قال البيضاوى : نزلت في نفر من بنى أسد ، قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا له الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أينك بالانقار والعيال ولم تقااتك كما قاتلك بنو فلان ، يريدون الصدقة ويمنون « قل لم تؤمنوا » إذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم وإلا لما مننتم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالاسلام وترك المقاتلة كما دلّ عليه آخر السورة « ولكن قولوا أسلمنا » فإنّ الاسلام إنقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » توقيت لقولوا ، فانه حال عن ضميره أى ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطى قلوبكم ألسنتكم بعد .

و قال الطبرسى قدّس سرّه : « قالت الاعراب آمنا » أى صدّقنا بما جئت به « قل لم تؤمنوا » أى لم تصدّقوا على الحقيقة في الباطن « ولكن قولوا أسلمنا » أى أنقذنا واستسلمنا مخافة السبى والقتل ، ثم يبيّن سبحانه أنّ الايمان محلّه القلب دون اللسان فقال : « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » قال الزجاج : الاسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدّم ، فإن كان مع ذلك الاظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان وصاحبه المسلم المؤمن حقّاً ، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدّق وقد أخرج هؤلاء من الايمان بقوله : « ولما يدخل » الى آخره ، أى لم تصدّقوا بعد ما اسلمتم تعوذاً من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر ، والمسلم التام الاسلام مظهر للطاعة ، وهو مع ذلك مؤمن بها ، والذى أظهر الاسلام تعوذاً من القتل غير مؤمن بالحقيقة إلاّ أنّ حكمه في الظاهر حكم المسلمين ، انتهى .

و بالجملة هذه الآية ممّا استدلّ به القائلون بعدم ترادف الاسلام والايمان ،

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وطمأً يدخل الايمان في قلوبكم» ^(١) فقال لي : ألا ترى أن الايمان غير الاسلام .

٤ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سفيان بن السمط قال : سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام عن الاسلام و الايمان ، ما الفرق بينهما ؟ فلم يجبه ثم سألته فلم يجبه ثم التقيا في الطريق و قد أزعج من الرجل الرحيل ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : كأنه قد أزعج منك رحيل ؟ فقال : نعم فقال : فالفنى في البيت ، فلقبه فسأله عن الاسلام و الايمان ما الفرق بينهما ؟ فقال : الاسلام هو الظاهر الذى عليه الناس : شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان فهذا الاسلام ، و قال : الايمان

و أجاب بعضهم بأن المراد بالاسلام هنا الاستسلام و الانقياد الظاهرى و هو غير المعنى المصطلح ، و الجواب أن الأصل في الاطلاق الشرعى الحقيقة الشرعية ، و صرفه عنها يحتاج إلى دليل و استدلال أيضاً بها على أن الايمان هو التصديق فقط لنسبته إلى القلب ، و الجواب أنها لا تنفى اشتراط الايمان القلبى بعمل الجوارح ، وإنما تنفى الجزئية ، مع أن فيه أيضاً كلاماً .

الحديث الرابع مجهول .

و كأن تأخير الجواب للتقية و المصلحة ، و في القاموس : أزعج الترحل كفرح أزعجاً و أزعجاً : دنا .

و يظهر من الخبر أن بين الايمان و الاسلام فرقين : أحدهما أن الاسلام هو الانقياد الظاهرى ، و لا يعتبر فيه التصديق و الاذعان القلبى بخلاف الايمان ، فانه يعتبر فيه الاعتقاد القلبى بل القطعى كما سيأتى ، و ثانيهما : اعتبار الاعتقاد بالولاية ، و ذكر الاعمال إماماً بناءً على اشتراط الايمان بالأعمال أو على أن المراد الاعتقاد

معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقرّبها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً و كان ضالاً .
 ٥ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ؛ وعدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ،
 جميعاً عن الوشاء ، عن أبان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول :
 « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » فمن زعم أنهم آمنوا
 فقد كذب ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب .

٦ - أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حاكم بن أيمن عن قاسم شريك
 المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يحقن به الدّم وتؤدّى به
 الأمانة وتستحلّ به الفروج ، والثواب على الايمان .

بها كما عرفت ، و يرشد إليه قوله : فإن أقرّبها ، أو الغرض بيان العقائد و جل
 الأعمال المشتركة بين أهل الاسلام و الايمان ، والوصف بالضلال و عدم إطلاق الكفر
 عليهم إمّا للتيقن في الجملة ، أو لعدم توهم كونهم في الأحكام الدينيّة في حكم الكفار .
الحديث الخامس موثق كالصحيح .

قوله : فمن زعم ، تنبيه على مغايرة المفهومين و تحقيق مادة الافتراق بينهما ،
 و عموم الاسلام بالنسبة إلى الايمان .

الحديث السادس حسن على الاصح وقد مر شرحه .

تحقيق و تبين

إعلم أن الذي ظهر لنا من مجموع الآيات المتضاربة و الأخبار المتكاثرة
 الواردة في الايمان و الاسلام و حقايقهما و شرائطهما أن لكل منهما إطلاقات كثيرة
 في الكتاب و السنّة و لكل منهما فوائد و ثمرات تترتب عليه .

فالاول من معاني الايمان مجموع العقائد الحقّة و الاصول الخمسة ، والثمرة
 المترتبة عليه في الدّنيا الأمان من القتل و نهب الاموال و الإهانة إلا أن يأتي بقتل
 أو فاحشة يوجب القتل أو الحدّ أو التعزير ، و في الآخرة صحّة أعماله و استحقاق
 الثواب عليها في الجملة ، وعدم الخلود في النار ، واستحقاق العفو و الشفاعة ، ويدخل

في الكفر المقابل لهذا الايمان من سوى الفرقة الناجية الإمامية من فرق الاسلام وغيرهم ، فانهم مخلدون في النار سوى المستضعفين منهم كما سيأتى .
 الثانى: الاعتقادات المذكورة مع الاثيان بالفرائض التى ظهر وجوبها من القرآن وترك الكبائر التى أوعد الله عليها النار ، وعلى هذا المعنى أطلق الكافر على تارك الصلاة وتارك الزكاة وأشباههم ، وورد : لا يزنى الزانى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، وثمره الايمان عدم استحقاق الازلال والاهانة والعذاب في الدنيا والآخرة .

الثالث : العقائد المذكورة مع فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات ، وثمرته اللّٰحق بالمقرّين والحشر مع الصّديقين وتضاعف المثوبات ورفع الدرجات
 الرابع : ما ذكر مع ضم فعل المندوبات وترك المكروهات بل المباحات كما ورد في أخبار صفات المؤمن ، وبهذا المعنى يختص بالأنبياء والأوصياء كما ورد في الأخبار الكثيرة تفسيراً لمؤمنين في الآيات بالأمّة الطّاهرين صلوات الله عليهم ، وقد ورد في تفسير قوله سبحانه : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ^(١) أن جميع معاصي الله بل التوسّل بغيره سبحانه داخله في الشرك المذكور في هذه الآية ، وثمره هذا الايمان أنه يؤمن على الله فيجيز أمانه ، وأنه لا يردّ الله دعوته وسائر ما ورد في درجاتهم عليه السلام ومنازلهم عند الله تعالى .

وأما الإسلام فيطلق غالباً على التكلّم بالشهادتين والاقرار الظاهري وإن لم يقترن بالاذعان القلبي ولا بالاقرار بالولاية كما عرفت سابقاً ، وثمرته إنّما تظهر في الدنيا من حقن دمه وماله ، وجواز نكاحه واستحقاقه الميراث وسائر الاحكام الظاهرة للمسلمين ، وليس له في الآخرة من خلاق ، وقد يطلق على كل من معانى الايمان حتّى المعنى الاخير ، فيكون بمعنى الاستسلام والانقياد التام .

ثم ان الآيات و الاخبار الدالة على دخول الأعمال في الايمان يحتمل وجوهاً:
الاول أن يحمل على ظواهرها و يقال : ان العمل داخل في حقيقة الايمان
على بعض المعاني .

الثاني : أن يكون الايمان أصل العقائد لكن تسميتها ايماناً مشروطة بالأعمال.
الثالث : أن يقال بزيادة الايمان وتفاوته شدة وضعفاً ، و تكون الأعمال كثرة
و قلة كاشفة عن حصول كل مرتبة من تلك المراتب فانه لا شك أن لشدة اليقين
مدخلاً في كثرة الأعمال الصالحة و ترك المناهي ، وقد بسطنا الكلام في ذلك قليلاً
في كتاب عين الحياة ، و سيوضح لك بعض ما ذكرنا في تضعيف الاخبار الآتية ، و
لنذكر هنا بعض ما ذكره أصحابنا في حقيقة الايمان والاسلام و معانيهما و شرائطهما :
قال المحقق الطوسي قدس سره القدوسي في قواعد العقائد: المسئلة الخامسة:
فيما به يحصل استحقاق الثواب و العقاب ، قالوا: الاسلام أعم في الحكم من الايمان،
و هما في الحقيقة شيء واحد أمّا كونه أعم فلا أن من أقر بالشهادتين كان حكمه
حكم المسلمين « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا » و أمّا كون
الاسلام في الحقيقة هو الايمان فلقوله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » ^(١) و
اختلفوا في معناه فقال بعض السلف : الايمان إقرار باللسان و تصديق بالقلب و عمل
صالح بالجوارح ، و قالت المعتزلة : أصول الايمان خمسة : التوحيد والعدل والاقرار
بالنبوة و بالوعد و الوعيد و القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و قال
الشيعة : أصول الايمان ثلاثة التصديق بوحدانية الله عز وجل في ذاته ، و العدل في
أفعاله ، و التصديق بنبوة الانبياء و التصديق بامامة الائمة المعصومين ، و التصديق
بالاحكام التي يعلم يقيناً أنه ﷺ حكم بها دون ما فيه الخلاف والاستتار، والكفر
يقابل الايمان ، و الذنب يقابل العمل الصالح و ينقسم إلى كبائر و صغائر، ويستحق

المؤمن بالاجماع الخلود في الجنة ويستحق الكافر الخلود في العذاب وصاحب الكبيرة عند الخوارج كافر ، لأنهم جعلوا العمل الصالح جزءاً من الايمان ، وعند غيرهم فاسق ، والمؤمن عند المعتزلة والوعيدية لا يكون فاسقاً وجعلوا الفاسق الذي لا يكون كافراً منزلة بين المنزلتين الايمان والكفر ، وهو عندهم يكون في النار خالداً وعند غيرهم المؤمن قد يكون فاسقاً وقد لا يكون ، وتكون عاقبة الامر على التقديرين الخلود في الجنة .

وقال (ره) في التجريد : الايمان التصديق بالقلب واللسان ولا يكفي الأول لقوله تعالى : « واستيقنتها أنفسهم »^(١) ونحوه ، ولا الثاني لقوله تعالى : « قل لم تؤمنوا »^(٢) والكفر عدم الايمان إما مع الضد أو بدونه ، والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان به ، والنفاق إظهار الايمان به وإخفاء الكفر ، والفاسق مؤمن لوجود حده فيه .

وقال العلامة نور الله ضريحه في الشرح : الناس في الايمان على وجوه كثيرة وليس هنا موضع ذكرها ، والذي اختاره المصنف (ره) أنه عبارة عن التصديق بالقلب واللسان معاً ولا يكفي أحدهما فيه ، أما التصديق القلبي فإنه غير كاف لقوله تعالى : « ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وقوله تعالى : « فلمّا جائهم ما عرفوا كفروا به »^(٣) فأثبت لهم المعرفة والكفر ، أما التصديق اللساني فإنه غير كاف أيضاً لقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا »^(٤) الآية ، ولا شك في أن أولئك الأعراب صدقوا بألسنتهم وقال (ره) : الكفر في اللغة هو التغطية ، وفي العرف الشرعي هو عدم الايمان أما مع الضد بأن يعتقد فساد ما هو شرط الايمان ، أو بدون الضد كالشك الخالي من

(١) سورة النمل : ١٤ .

(٢) و (٤) سورة الحجرات : ١٤ .

(٣) سورة البقرة : ٨٩ .

الاعتقاد الصحيح والباطل والفسق لغة الخروج مطلقاً ، وفي الشرع عبارة عن الخروج عن طاعة الله تعالى فيما دون الكفر ، والنفاق في اللغة هو إظهار خلاف الباطن ، وفي الشرع إظهار الايمان وإبطان الكفر ، واختلف الناس في الفاسق فقالت المعتزلة : أن الفاسق لامؤمن ولا كافر ، وأثبتوا المنزلة بين المنزلتين ، وقال الحسن البصري : أنه منافق وقالت الزيدية : أنه كافر نعمة ، وقالت الخوارج : أنه كافر والحق ما ذهب إليه المصنّف وهو مذهب الامامية والمرجئة وأصحاب الحديث وجماعة الاشعرية أنه مؤمن ، والدليل عليه أن حدّ المؤمن وهو المصدق بقلبه ولسانه في جميع ما جاء به النبي ﷺ موجود فيه ، فيكون مؤمناً ، انتهى .

وقال الشيخ المفيد قدّس سرّه في كتاب المسائل : إتفقت الامامية على أن مرتكب الكبائر من أهل المعرفة والاقرار لا يخرج بذلك عن الاسلام ، وأنه مسلم وإن كان فاسقاً بما معه من الكبائر والآثام ووافقهم على هذا القول المرجئة كافة وأصحاب الحديث قاطبة ، ونفر من الزيدية ، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أن مرتكب الكبائر ممّن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم .

وقال قدّس سرّه : اتفقت الامامية على أن الاسلام غير الايمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، وأن الفرق بين هذين المعنيين في الدين كما كان في اللسان ، ووافقهم على هذا القول المرجئة وأصحاب الحديث ، وأجمعت المعتزلة على عدم الفرق بينهما .

وقال الشهيد الثاني قدّس سرّه في رسالة الايمان : اعلم أن الايمان لغة التصديق كما نصّ عليه أهلها ، وهو إفعال من الأمن بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها حينئذ فكان حقيقة آمن به سكنت نفسه واطمأنت بسبب قبول قوله ، وإمثال أمره ، فتكون الباء للسببية ويحتمل أن يكون بمعنى أمنه التكذيب والمخالفة كما ذكره بعضهم ، فتكون الباء فيه زائدة ، والاول أولى كما لا يخفى

وأوفق لمعنى التصديق ، وهو يتعدى باللام كقوله تعالى : « وما أنت بمؤمن لنا »^(١) « فآمن له لوط »^(٢) وبالباء كقوله تعالى : « آمناً بما أنزلت »^(٣) وأما التصديق فقد قيل : أنه القبول والاذعان بالقلب كما ذكره أهل الميزان ويمكن أن يقال : معناه قبول الخير أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان ، ويدل عليه قوله تعالى : « قالت الاعراب آمناً قل لم تؤمنوا »^(٤) فأخبروا عن أنفسهم بالايان وهم من أهل اللسان ، مع أن الواقع منهم هو الاعتراف باللسان دون الجنان لنفيه عنهم بقوله تعالى : « قل لم تؤمنوا » وإثبات الاعتراف بقوله تعالى : « ولكن قولوا أسلمنا » الدال على كونه إقراراً بالشهادتين ، وقد سموه إيماناً بحسب عرفهم ، والذي نفاه الله عنهم إنما هو الايمان في عرف الشرع ، وأما الايمان الشرعي فقد اختلف في بيان حقيقة العبارات بسبب اختلاف الاعتبارات ، وبيان ذلك أن الايمان شرعاً إما أن يكون من أفعال القلوب فقط أو من أفعال الجوارح فقط أو منهما معاً ، فان كان الاول فهو التصديق بالقلب فقط وهو مذهب الاشاعرة وجمع من متقدمي الامامية ومتأخريهم ومنهم المحقق الطوسي (ره) في فصوله لكن اختلفوا في معنى التصديق فقال أصحابنا : هو العلم وقال الاشعرية : هو التصديق النفساني وعنوا به أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر فهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدق ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة فانها ربما تحصل بلا كسب كما في الضروريات وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين فقال : التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان

(١) سورة يوسف : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٦ .

(٣) سورة آل عمران : ٥٣ .

(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

معرفة وسنبيّن إنشاء الله تعالى قصور ذلك ، وإن كان الثاني فامّا أن يكون عبادة عن التلفظ بالشهادتين فقط وهو مذهب الكرامية أو عن جميع أفعال الجوارح من الطّاعات بأسرها فرضاً ونفلاً وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والعلاف والقاضي عبد الجبار أو عن جميعها من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل وهو مذهب أبي عليّ الجبائي وابنه أبي هاشم وأكثر معتزلة البصرة ، وإن كان الثالث فهو إمّا أن يكون عبادة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطّاعات وهو قول المحدثين وجمع من السلف كابن مجاهد وغيره فانهم قالوا أنّ الايمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالاركان ، أو يكون عبادة عن التصديق مع كلمتي الشهادة ، ونسب إلى طائفة منهم أبو حنيفة ، أو يكون عبادة عن التصديق بالقلب مع الاقرار باللسان وهو مذهب المحقق نصير الدين الطوسي (ره) في تجريده ، فهذه سبعة مذاهب ، ذكرت في الشرح الجديد وغيره ، واعلم أنّ مفهوم الايمان على المذهب الأوّل يكون تخصيصاً للمعنى اللّغوي ، وأمّا على المذاهب الباقية فهو منقول والتخصيص خير من النقل .

وهنا بحث وهو أنّ القائلين بأنّ الايمان عبادة عن فعل الطّاعات كقدماء المعتزلة والعلاف والخوارج لا ريب أنّهم يوجبون اعتقاد مسائل الاصول وحينئذٍ فما الفرق بينهم وبين القائلين بأنّه عبادة عن أفعال القلوب والجوارح ؟ ويمكن الجواب بأنّ اعتقاد المعارف شرط عند الأوّلين وشطر عند الآخرين .

ثمّ قال : أعلم أنّ المحقق الطوسي قدس سرّه ذكر في قواعد العقائد أنّ أصول الايمان عند الشيعة ثلاثة ثمّ ذكر ما نقلنا عنه سابقاً ثمّ قال : وذكر في شرح الجديد للتجريد أنّ الايمان في الشرع عند الاشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما علم إجمالاً ، فهو في الشرع تصديق خاص ، انتهى .

فهؤلاء اتفقوا على أن حقيقة الايمان هي التصديق فقط ، وإن اختلفوا في مقدار المصدق به ، والكلام ههنا في مقامين : الاول : في أن التصديق الذي هو الايمان المراد به اليقيني الجازم الثابت كما يظهر من كلام من حكينا عنه ، والثاني : في أن الأعمال ليست جزءاً من حقيقة الايمان الحقيقي ، بل هي جزء من الايمان الكمالي ، أما الدليل على الأول فأيات بيّنات منها قوله تعالى : « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً » ^(١) والايان حق بالنص والاجماع ، فلا يكفي في حصوله وتحققه الظن ، ومنها « إن يتبعون إلا الظن » ^(٢) « إن هم إلا يظنون » ^(٣) و « إن بعض الظن إثم » ^(٤) فهذه قد اشتركت في التوبيخ على إتباع الظن ، والايان لا يوبخ من حصل له بالاجماع فلا يكون ظناً ومنها قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » ^(٥) فنفي عنهم الرّيب فيكون الثابت هو اليقين ، وفي العرف يطلق عدم الرّيب على اليقين .

ومن السنّة المطهّرة قوله ﷺ : يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك ، والثبات هو الجزم والمطابقة ، وفيه منع لم لا يجوز أن يكون طلبه ﷺ لأنّه الفرد الاكمل .

ومن الدلائل أيضاً الاجماع حيث ادّعى بعضهم أنّه يجب معرفة الله تعالى التي لا يتحقق الايمان إلا بها بالدليل إجماعاً من العلماء كافة ، والدليل ما أفاد العلم ، والظن لا يفيد ، وفي صحّة دعوى الاجماع بحث لوقوع الخلاف في جواز التقليد في المعارف الاصوليّة كما سنذكره إنشاء الله تعالى .

(١) سورة النجم : ٢٧ .

(٢) سورة الانعام : ١١٤ .

(٣) سورة البقرة : ٧٨ .

(٤) سورة الحجرات : ١٢ .

(٥) سورة الحجرات : ١٥ .

• • • • •

واعلم أن جميع ما ذكرنا من الأدلة لا يفيد شيء منه العلم بأن الجزم والثبات معتبر في التصديق الذي هو الايمان ، إنما يفيد الظن باعتبارهما لأن الآيات قابلة للتأويل ، وغيرها كذلك مع كونها من الآحاد .

ثم قال رفع الله درجته : أعلم أن العلماء اطبقوا على وجوب معرفة الله بالنظر وأنها لا تحصل بالتقليد إلا من شذ منهم كعبد الله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية حيث ذهبوا إلى جواز التقليد في العقائد الاصولية كوجود الصانع وما يجب له ويمتنع والنبوة والعدل وغيرها ، بل ذهب بعضهم إلى وجوبه ، لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة أنه عقلي أو سمعي فالامامية والمعتزلة على الاول والاشعرية على الثاني ، ولا غرض لنا هنا ببيان ذلك بل ببيان أصل الوجوب المتفق عليه .

ثم استدلل بوجوب شكر المنعم عقلاً وشكراً على وجه يليق بكمال ذاته ، بتوقيف على معرفته ، وهي لا تحصل بالظن كالتقليد وغيره ، لاحتمال كذب المخبر وخطأ الامارة ، فلا بد من النظر المفيد للعلم ثم قال : هذا الدليل إنما يستقيم على قاعدة الحسن والقبح ، والاشاعة ينكرون ذلك لكن كما يدل على وجوب المعرفة بالدليل يدل أيضاً على كون الوجوب عقلياً واعتراض أيضاً بأنه مبني على وجوب ما لا يتم الواجب المطلق إلا به ، وفيه أيضاً منوع الاشاعة ، ومن ذلك أن الأمة أجمعت على وجوب المعرفة ، والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم إذ لو أوجب لزم اجتماع الضدين في مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه ، وقد اعترض على هذا بمنع الاجماع كيف والمخالف معروف ، بل عورض بوقوع الاجماع على خلافه ، وذلك لتقرير النبي ﷺ وأصحابه العوام على ايمانهم ، وهم الاكثرون في كل عصر مع عدم الاستفسار عن الدلائل الدالة على الصانع وصفاته ، مع أنهم كانوا لا يعلمونها وإنما كانوا مقرين باللسان ومقلدين في المعارف ، ولو كانت المعرفة واجبة لما جاز تقريرهم على ذلك ، مع الحكم بايمانهم ، وأجيب عن هذا بأنهم كانوا

يعلمون الأدلة إجمالاً كدليل الاعرابي حيث قال : البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلّان على اللطيف الخبير ، فلذا أقرّوا ولم يسألوا عن إعتقاداتهم أو أنفهم كان يقبل منهم ذلك للتمرين ثم يبين لهم ما يجب عليهم من المعارف بعد حين .

ومن ذلك الاجماع على أنه لا يجوز تقليد غير المحق وإنما يعلم المحق من غيره بالنظر في أن ما يقوله حق أم لا وحينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والاستدلال ، وإذا صار مستدلاً امتنع كونه مقلداً فامتنع التقليد في المعارف الالهية ونقض ذلك بلزوم مثله في الشرعيّات فاته لا يجوز تقليد المفتي إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعي ، فإن اكتفى في الاطلاع على ذلك بالظن وإن كان مخطئاً في نفس الأمر لحطّ ذلك عنه فليجر مثله في مسائل الاصول .

وأجيب بالفرق بأن الخطأ في مسائل الاصول يقتضى الكفر ، بخلافه في الفروع فساغ في الثانية ما لم يسغ في الاولى .

احتج من أوجب التقليد في مسائل الاصول بأن العلم بالله تعالى غير ممكن لأن المكلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله وإلا لزم تكليف ما لا يطاق وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الحاصل ؟ والجواب عن ذلك على قواعد الامامية والمعتزلة ظاهر ، فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلي لا سمعي ، نعم يلزم ذلك على قواعد الاشاعرة إذ الوجوب عندهم سمعي .

أقول : ويجاب أيضاً معارضة بأن هذا الدليل كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الاصولية يدل على امتناع التقليد فيها أيضاً فينسد باب المعرفة بالله تعالى وكل من يرجع إليه في التقليد لا بد وأن يكون عالماً بالمسائل الاصولية ليصح تقليده ، ثم يجري الدليل فيه فيقال : علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن لأنّه

• • • • •

حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره بالمقدّمات ، وكلّمّا أجبوا به فهو جوابنا ، ولا مخلص لهم إلا أن يعترفوا بأنّ وجوب المعرفة عقليّ فيبطل ما ادّعوه من أنّ العلم بالله تعالى غير ممكن ، أو سمعيّ فكذلك .

فان قيل : ربّما يحصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهامه إلى غير ذلك فيقلده الباقون ؟ قلنا : هذا أيضاً يبطل قولكم انّ العلم بالله تعالى غير ممكن ، نعم ما ذكره يصلح أن يكون دليلاً على امتناع المعرفة بالسمع فيكون حجة على الاشاعة لا دليلاً على وجوب التقليد .

واحتجّوا أيضاً بأنّ النهي عن النظر قد ورد في قوله تعالى : « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » ^(١) والنظر يفتح باب الجدل فيحرم ، ولأنّه ﷺ رأي الصحابة يتكلمون في مسألة القدر فنهاهم عن الكلام فيها ، وقال : إنّما هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا ، ولقوله ﷺ : عليكم بدين العجائز ، والمراد ترك النظر ، فلو كان واجباً لم يكن منهيّاً عنه .

وأجيب عن الأوّل بأنّ المراد الجدل بالباطل كما في قوله تعالى : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » ^(٢) لا الجدل بالحق لقوله تعالى : « وجادلهم بالتّي هي أحسن » ^(٣) والامر بذلك يدلّ على أنّ الجدل مطلقاً ليس منهيّاً عنه ، وعن الثاني بأنّ نهيههم عن الكلام في مسألة القدر على تقدير تسليمه لا يدلّ على النهي عن مطلق النظر ، بل عنه في مسألة القدر ، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر في قوله تعالى : « أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله » ^(٤) وقد أثنى على فاعله في قوله :

(١) و (٢) سورة غافر : ٤ - ٥ .

(٣) سورة النحل : ١٢٥ .

(٤) سورة الروم : ٨ .

« ويتفكرون في خلق السموات والأرض » ^(١) على أن نهيمهم عن الخوض في القدر لعله لكونه أمراً غيبياً وبحراً عميقاً كما أشار إليه علي عليه السلام بقوله : بحر عميق فلا تلجحه ، بل كان مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التفويض في مثل ذلك إلى الله تعالى ، لأن ذلك ليس من الأصول التي يجب اعتقادها ، والبحث عنها مفصلة .

وهيهنا جواب آخر عنهما معاً ، وهو أن النهي في الآية والحديث مع قطع النظر عما ذكرناه إنما يدل على النهي عن الجدل الذي لا يكون إلا من متعدد بخلاف النظر فإنه يكون من واحد ، فهو نصب الدليل على غير المدعى .

وعن الثالث بالمنع من صحة نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن بعضهم ذكر أنه من مصنوعات سفيان الثوري فإنه روى أن عمر بن عبد الله المعتزلي قال : ان بين الكفر والإيمان منزلة بين المنزلتين فقالت عجوز : قال الله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » ^(٢) فلم يجعل من عباده إلا الكافر والمؤمن ، فسمع سفيان كلامها فقال : عليكم بدين العجائز .

على أنه لو سلم فالمراد به التفويض إلى الله تعالى في قضائه وحكمه ، والانقياد له في أمره ونهيه .

واحتج من جوّز التقليد بأنه لو وجب النظر في المعارف الإلهية لوجد من الصحابة ، إذهم أولى به من غيرهم لكنّه لم يوجد وإلا لنقل عنهم كما نقل عنهم النظر والمناظرة في المسائل الفقهية فحيث لم ينقل لم يقع فلم يجب .

وأجيب بالتزام كونهم أولى به لكنّهم نظروا وإلا لزم نسبتهم إلى الجهل بمعرفة الله تعالى وكون الواحد منّا أفضل منهم وهو باطل اجتماعاً إذ كانوا عالمين

(١) سورة آل عمران : ١٩١ .

(٢) سورة التغابن : ٢ .

• • • • •

وليس بالضرورة فهو بالنظر والاستدلال ، واما انه لم ينقل النظر و المناظرة فلا تفاهم على العقائد الحقّة لوضوح الامر عندهم حيث كانوا ينقلون عقايدهم عن عمّن لا ينطق عن الهوى ، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث و النظر بخلاف الأَخلاف بعدهم فإنّهم لما كثرت شبه الضالّين واختلف أنظار طالبي اليقين لتفاوت أذهانهم في إصابة الحق احتاجوا إلى النظر و المناظرة ليدفعوا بذلك شبه المضلّين ، ويقفوا على اليقين أمّا مسائل الفروع لما كانت أموراً ظنيّة إجتهاديّة خفيّة لكثرة تعارض الامارات فيها وقع بينهم الخلاف فيها و المناظرة و التخطّئة لبعضهم من بعض فلذا نقل .

و احتجّوا أيضاً بأنّ النظر مظنّة الوقوع في الشبهات و التورط في الضلّالات بخلاف التقليد فإنّه أبعد عن ذلك وأقرب إلى السلامة فيكون أولى ولأنّ الاصول أنمض أدلّة من الفروع وأخفى ، فاذا جاز التقليد في الاسهل جار في الاصعب بطريق أولى ، ولأنّهما سواء في التكليف بهما فاذا جاز في الفروع فليجز في الاصول .

و اجيب عن الأوّل بأنّ اعتقاد المعتقد إنّ كان عن تقليد لزم إمّا التسلسل أو الانتهاء إلى من يعتقد عن نظر لاقتفاء الضرورة ، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة وهي احتمال كذب المخبر بخلاف الناظر مع نفسه ، فإنّه لا يكابر نفسه فيما أدّى إليه نظره .

على انه لو اتفق الانتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم أو بالالهام أو بخلق العلم فيه ضرورة فهو إنّما يكون لأفراد نادرة لأنّه على خلاف العادة فلا يتيسّر لكلّ أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائط فيكثر احتمال الكذب بخلاف الناظر فإنّه لا يكابر نفسه ، ولأنّه أقرب إلى الوقوف على الصواب .

و أمّا الجواب عن العلاوة فلا أنّه لما كان الطّريق إلى العمل بالفروع إنّما هو النقل ساغ لنا التقليد فيها ولم يقدح احتمال كذب المخبر وإلاّ لانسدت باب العمل

• • • • •

بها ، بخلاف الاعتقاديّات فإنّ الطّريق إليها بالنظر ميسّر .

ثمّ قال رحمه الله بعد إطالة الكلام في الجواب عن حجة الخصام : وأمّا المقام الثاني وهو أنّ الأعمال ليست جزءاً من الايمان ولا نفسه ، فالدّليل عليه من الكتاب العزيز و السنة المطهرة و الاجماع ، أمّا الكتاب فمنه قوله تعالى : «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصّالحات » فإنّ العطف يقتضى المغايرة و عدم دخول المعطوف في المعطوف عليه ، فلو كان عمل الصّالحات جزءاً من الايمان أو نفسه لزم خلوه العطف عن الفائدة لكونه تكراراً ، وردّ بأنّ الصّالحات جمع معروف يشمل الفرض و النفل ، والقائل بكون الطّاعات جزءاً من الايمان يريد بها فعل الواجبات و اجتناب المحرّمات و حينئذ فيصحّ العطف لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف ، فلم يدخل كلّ في المعطوف عليه ، نعم يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً في حقيقة الايمان كالخوارج .

ومنه قوله تعالى : « ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن » ^(١) أى حالة إيمانه وهذا يقتضى المغايرة .

ومنه قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » ^(٢) فانه أثبت الايمان لمن ارتكب بعض المعاصي فلا يكون ترك المنهيّات جزءاً من الايمان .

ومنه قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصّادقين » ^(٣) فإنّ أمرهم بالتقوى الّتى لا تحصل إلّا بفعل الطّاعات و الاتّجار عن المنهيّات مع وصفهم بالايمان يدلّ على عدم حصول التقوى لهم ، وإلّا لكان أمراً بتحصيل الحاصل . ومنه الآيات الدّالة على كون القلب محلاً للايمان من دون ضميّة شيء

(١) سورة طه : ١١٢ .

(٢) سورة الحجرات : ٩ .

(٣) سورة التوبة : ١١٩ .

• • • • •

آخر كقوله تعالى : « اولئك كتب في قلوبهم الايمان » ^(١) ولو كان الاقرار أو غيره من الاعمال نفس الايمان أو جزءه لما كان القلب محل جميعه ، وقوله تعالى : « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » ^(٢) وقوله تعالى : « وقلبه مطمئن بالايمان » ^(٣) وكذا آيات الطبع و الختم تشعر بأن محل الايمان القلب كقوله تعالى : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون » ^(٤) و « ختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » ^(٥).

و أما السنة فكقوله ﷺ يا مقلب القلوب و الابصار ثبت قلبي على دينك وروى أن النبي ﷺ سأل جبرئيل عن الايمان ؟ فقال : أن تؤمن بالله ورسله و اليوم الآخر .

و أما الاجماع فهو أن الأمة أجمعت على أن الايمان شرط لسائر العبادات والشيء لا يكون شرطاً لنفسه فلا يكون الايمان هو العبادات .

وأما أهل الثاني وهم الكرامية فقد استدلوا على مذهبهم بأن النبي ﷺ والصحابة كانوا يكتفون في الخروج عن الكفر بكلمتي الشهادتين فتكون هي الايمان إذ لا واسطة بين الكفر و الايمان ، لأن الكفر عدم الايمان ، وقوله تعالى : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » ^(٦) وقوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وقوله ﷺ لاسامة حين قتل من تكلم بالشهادتين : هلا شقت قلبه ، أو هل

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات : ١٧ .

(٣) و (٤) سورة النحل : ١٠٦ - ١٠٨ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣ .

(٦) سورة التوبة : ٢ .

شقت قلبه ؟ على بعض النسخ ، يريد بذلك الانكار عليه ، حيث لم يكتف بالشهادتين منه .

و الجواب عن الأول أن الخروج عن الكفر بكلمة الشهادة إن أرادوا به الخروج في نفس الامر بحيث يصير مؤمناً عند الله سبحانه بمجرد ذلك من دون تصديق فهو ممنوع ، لم لا يجوز أن يكون إكتفاؤهم بذلك للترغيب في الاسلام ، لا الحكم بالايمان وإن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر فهو مسلم لكن لا ينفعهم إذ الكلام فيما يتحقق به الايمان عند الله تعالى ، بحيث يصير المتصف به مؤمناً في نفس الامر لا فيما يتحقق به الاسلام في ظاهر الشرع حيث لا يمكن الاطلاع على الباطن ، ألا ترى أنهم كانوا يحكمون بكفر من ظهر منه النفاق بعد الحكم باسلامه ، ولو كان مؤمناً في نفس الامر لما جاز ذلك ، وأما نفي الواسطة فهو مستقيم على أخذ الحكم في نفس الامر ، فإن حال المكلف في نفس الامر لا يخلو عن أحدهما ، وأما جعل لا إله إلا الله غاية للقتال ، فلا يدل على أكثر من كونه للترغيب في الاسلام أيضاً بسبب حقن الدماء ، على أن النبي ﷺ ربما لا يطلع على بواطن الناس ، فكيف يؤمر بالقتال على ما لا يطلع عليه .

و أما أهل الثالث وهم قدماء المعتزلة القائلون بأنه جميع الطاعات فرضاً و نفلاً ، فمن أمتن دلائلهم على ذلك قوله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة » ^(١) و المشار إليه بذلك هو جميع ما حصر بالآية وما عطف عليه ، و الدين هو الاسلام لقوله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » ^(٢) و الاسلام هو الايمان لقوله تعالى : « و من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » ^(٣) ولا ريب أن الايمان مقبول من مبتغيه للنص

(١) سورة البينة : ٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

والاجماع ، فيكون إسلاماً ، فيكون ديناً فيعتبر فيه الطاعات كما دلت عليه الآيات .
و الجواب المنع من اتحاد الدينين في الآيتين فلا يتكرر الوسط ، ولو سلم
اتحادهما فلا نسلم أن الإيمان هو الاسلام ليكون هو الدين ، فتعتبر فيه الطاعات
لم لا يجوز أن يكون الإيمان شرطاً للاسلام أو جزءاً منه أو بالعكس ، و شرط الشيء
وجزؤه يقبل مع كونه غيره ، ولا يلزم من ذلك أن يكون الإيمان هو الدين بل شرطه
أو جزؤه .

على أن لو قطعنا النظر عن جميع ذلك فالآية الكريمة إنما تدل على من
ابتغى و طلب غير دين الاسلام ديناً له فلن يقبل منه ذلك المطلوب ، ولم تدل على أن
من صدق بما أو جبه الشائع عليه لكنّه ترك فعل بعض الطاعات غير مستحل أنه
طالب لغير دين الاسلام . إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه لعدم المناقاة بينهما ، فإن
الشخص قد يكون طالباً للطاعة مريداً لها لكنه تركها إهمالاً وتقصيراً ، ولا يخرج
بذلك عن ابتغائها .

و استدلوا أيضاً بقوله تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ^(١) أى صلاتكم
إلى بيت المقدس ، واعترض عليه بأنه لم لا يجوز أن يكون المراد به تصديقكم بتلك
الصلاة . سلمنا ذلك لكن لا دلالة لهم في الآية وذلك لأنهم زعموا أن الإيمان بجميع
الطاعات ، و الصلاة إنما هي جزء من الطاعات و جزء الشيء لا يكون ذلك الشيء .
وأما أهل الرابع وهم القائلون بكونه عبادة عن جميع الواجبات وترك المحظورات
و ددن النوافل فقد يستدل لهم بقوله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين » ^(٢) والتقوى
لا يتحقق إلا بفعل المأمور به وترك المنهى عنه ، فلا يكون التصديق مقبولاً ما لم
يحصل التقوى ، وبما روى أن الزاني لا يزني وهو مؤمن ، وبقوله ﷺ : لا إيمان

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٢٧ .

لمن لا أمانة له ، وبقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »^(١) وقد لا يحكم بما أنزل الله أو يحكم بما لم ينزل الله مصداقاً فافلوا تحققوا الايمان بالتصديق لزوم اجتماع الكفر والايمان في محل واحد وهو محال لتقابلهما بالعدم والمملكة .

والجواب عن الأول أنه يجوز أن يكون المراد والله أعلم الأعمال النديّة ، على أننا نقول أن ظاهر الآية الكريمة متروك فانتهايتلّ ظاهرأ على أن من أخلص في جميع أفعاله وكان قد سبق منه معصية واحدة لم يشب عليها ويكون جميع الطاعات اللاحقة غير مقبولة ، والقول بذلك مع بعده عن حكمة الله تعالى من أقطع الفظايح فلا يكون مراداً ، بل المراد والله أعلم أن من عمل عملاً إنمّا يكون مقبولا إذا كان متّقياً فيه بأن يكون مخلصاً فيه لله تعالى وحينئذ فلا دلالة لهم في الآية الكريمة .

مع أنا لو تنزّلنا عن ذلك وقلنا بدلتها على عدم قبول التصديق من دون التقوى فلا يحصل بذلك مدّعاهم الذي هو كون الايمان عبارة عن جميع الواجبات «الخ» ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون الايمان عبارة عمّا ذكرتم مع التصديق بالمعارف الاصوليّة و عدم قبول الجزء إنمّا هو لعدم قبول الكل ، وأمّا الحديث الأول على تقدير تسليمه فيمكن حمله على المبالغة في الزجر أو تخصيصه بمن استحلّ ودليل التخصيص في أحاديث آخر ، أو على نفي الكمال في الايمان ، وكذا الحديث الثاني .

وأما الاستدلال بالآية فقد تعارض بقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »^(٢) والفاسق مؤمن على المذهب الحق أو بين المنزلتين على غيره ويمكن أن يقال : الفسق لا ينافي الكفر إذ الكافر فاسق لغة وإن كان في العرف يباينه لكنّه لم يتحقق كونه عرف الشارع ، بل المعلوم كونه لأهل الشرع والاصول فلا تعارض حينئذ .

(١) سورة المائدة : ٤٤ .

(٢) سورة المائدة : ٥٧ .

أقول : والحق في الجواب أن المراد والله أعلم : ومن لم يحكم بما أنزل الله ، أى بما علم قطعاً أن الله سبحانه أنزله فإن العدول عنه إلى غيره مستحلاً أو الوقوف عنه كذلك لا ريب في كونه كفراً لأنه إنكار لما علم ثبوته ضرورة فلا يكون التصديق حاصلاً وحينئذ فلا دلالة فيها على أن من ارتكب معصية غير مستحل أو مستحلاً مع كون تحریمها لم يعلم من الدين ضرورة يكون كافراً ، وإثما ارتكبنا هذا الاضرار في الآية لما دل عليه النص والاجماع من أن الحاكم لو أخطأ في حكمه لم يكفر مع أنه يصدق عليه أنه لم يحكم بما أنزل الله .

واعلم أنه قد ظهر من هذا الجواب وجه آخر للجمع بين الآيتين ووقع التعارض بين ظاهرهما بأن يراد من إحدیهما ما ذكرناه في الجواب ومن الاخرى ومن لم يحكم غير مستحل مع علمه بالتحريم فهو فاسق ، والحاصل أنه يقال لهم : إن أردتم بالطاعات والثروة ما علم ثبوته من الدين ضرورة فنحن نقول بموجب ذلك ، لكن لا يلزم منه مدعاكم لجواز كون الحكم بكفره إما لجحده ما علم من الدين ضرورة فيكون قد أخل بما هو شرط الايمان وهو عدم الجحد على ما قدّمناه ، أو لكون المذكورات جزء الايمان على ما ذهب إليه بعضهم ، وإن أردتم الأعم فلا دلالة لكم فيها أيضاً وهو ظاهر .

وامّا أهل الخامس القائلون بأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالاركان فيستدلّ لهم بما استدلّ به أهل التصديق مع ما استدلّ به أهل الاعمال ومن أضاف الاقرار باللسان إلى الجنان ، وقد علمت تزيف ما سوى الاول وسيجيء إنشاء الله تعالى تزيف أدلة من أضاف الاقرار فلم يبق لذهبهم قرار .

نعم في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يشهد لهم وقد ذكر في الكافي وغيره منها جملة فمنها ما رواه علي بن ابراهيم عن العباس بن معروف عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت مع عبد الملك بن أعين

إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الايمان ماهو إلى آخر الخبر ، ومنها ما رواه علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أوقفني على حدود الايمان ، الخبر . ومنها : أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان أو غيره عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن الايمان ، الخبر .

ثم قال قدس سره : واعلم أنّ هذه الاحاديث منها ما سنده غير نقي كالاول ، فانّ في سنده عبد الرحمن وهو مجهول مع كونه مكاتبه ، وأمّا الثاني فانّ سنده وإن كان جيّداً إلا أنّ دلالته غير صريحة فانّ كون المذكورات حدود الايمان لا يقتضي كونها نفس حقيقته إذ حد الشيء نهايته وما لا يجوز تجاوزه ، فان تجاوزته خرج عنه ، ونحن نقول بموجب ذلك فانّ من تجاوز هذه المذكورات بأن تركها جاحداً لا ريب في خروجه عن الايمان ، لكن لعلّ ذلك لكونها شرطاً للايمان ، لا لكونها نفسه ، وأمّا الثالث فانّ دلالته وإن كانت جيّدة إلا أنّ في سنده إرسالاً مع كون العلاء مشتركاً بين المقبول والمجهول ، وبالجمله فهذه الرواية معارضة بما هو أمتن منها دلالة ، وقد تقدّم ذلك فليراجع ، نعم لا ريب في كونها مؤيّدّة لما قالوه .

وأما أهل السادس القائلون بأنّ التصديق مع كلمتي الشهادة ففيما مرّ من الاحاديث ما يصلح شاهداً لهم ، وكذا ما ذكره الكراميّة مع ما ذكره أهل التصديق يصلح شاهداً لهم ، وقد عرفت ما في الاولين فلا نعيده ، وأمّا السابع فانه مذهب جماعة من المتأخّرين منهم المحقق الطوسي (ره) في تجريده فانه اعتبر في حقيقة الايمان مع التصديق الاقرار باللسان ، قال : ولا يكفي الاول لقوله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » ^(١) اثبت للكفّار الاستيقان النفسى وهو التصديق القلبى ، فلو كان الايمان هو التصديق القلبى فقط لزم اجتماع الكفر والايمان وهو باطل لتقابلهما

تقابل العدم والملكة ، ولا الثاني يعنى الاقرار باللسان لقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا » ^(١) الآية ولقوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ^(٢) فأثبت لهم تعالى في الآيتين التصديق باللسان ، ونفى عنهم الايمان .

أقول : الاستدلال على عدم الاكتفاء بالثاني مسلم موجه وكذا عدم الاكتفاء بالأول ، أمّا على اعتبار الاقرار ففيه بحث فإن الدليل أخص من المدعى ، إذ المدعى أن الايمان لا يحقق إلا بالتصديق مع الاقرار ، وبدون ذلك يتحقق الكفر ، والآية الكريمة إنما دلت على ثبوت الكفر لمن جحد أى أنكر الآيات مع علمه بحقيقتها وبينهما واسطة ، فإن من حصل له التصديق اليقيني في أول الأمر ، ولم يكن تلفظ بكلمات الايمان لا يقال أنه منكر ولا جاحد ، وحينئذ فلا يلزم اجتماع الكفر والايمان في مثل هذه الصورة مع أنه غير مقرر ولا تارك للاقرار جحداً كما هو المفروض ، هذا إن قصد بالآية الدلالة على اعتبار الاقرار أيضاً ، وإلا لكان اعتبار الاقرار دعوى مجرّدة ، وقد علت ماعليه ، وأمّا دلالة الآية الكريمة على كفره في صورة جحده واستيقانه فنقول بموجبه لكن ليس لعدم إقراره فقط بل لأنه ضم إنكاراً الى استيقان .

وبالجملة فهو من جملة العلامات على الحكم بالكفر كما جعل الاستخفاف بالشارع أو الشرع ، ووطى المصحف علامة على الحكم بالكفر ، مع أنه فديكون مصداقاً . كما سبقت الإشارة إليه ، نعم غاية ما يلزم أن يكون إقرار المصدق شرطاً لحكمنا بإيمانه ظاهراً ، وأمّا قبل ذلك وبعد التصديق فهو مؤمن عند الله تعالى إذا لم يكن تركه للاقرار عن جحد .

على أنه يلزمه قدس سره أن من حصل له التصديق بإحدى الأهمية ثم عرض له الموت فجأة قبل الاقرار يموت كافراً ويستحق العذاب الدائم مع اعتقاده .

(١) سورة الحجرات : ١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨ .

وحدة الصّانع وحقيّة ما جاء به النّبي ﷺ ، ولا أظنّ أن " مثل هذا المحقّق يلتزم ذلك ، والحاصل أنّه إن أراد رحمه الله أن "كون الإنسان مؤمناً عند الله سبحانه كما هو ظاهر كلامه لا يتحقّق إلا بمجموع الأمرين فالواسطة والالتزام لازمان عليه ، وإن أراد أن "كونه مؤمناً في ظاهر الشرع لا يتحقّق إلا "بالأمرين معاً فالنزاع لفظي فإن "من اكتفى فيه بالتصديق يريد به كونه مؤمناً عند الله تعالى فقط ، وأمّا عند الناس فلا بدّ في العلم بذلك من الاقرار ونحوه .

واعلم أنّه إستدلّ بعضهم على هذا المذهب أيضاً بأننا نعلم بالضرورة أن "الايمان في اللغة هو التصديق ، والدلائل عليه كثيرة ، فأمّا أن يكون في الشرع كذلك أو يكون منقولاً عن معناه في اللغة ، والثاني باطل لأنّ أكثر الألفاظ تكرر في القرآن وكلام الرّسول ﷺ لفظ الايمان ، فلو كان منقولاً عن معناه اللّغوي لوجب أن يكون حاله كحال ساير العبادات الظاهرة في وجوب العلم به فلمّا لم يكن كذلك علمنا أنّه باق على وضع اللغة .

إذا ثبت هذه فنقول : ذلك التصديق إمّا أن يكون هو التصديق القلبي أو اللّساني أو مجموعهما ، والاول باطل لقوله تعالى : « فلمّا جائهم ما عرفوا كفرّوا به »^(١) فأثبت لهم المعرفة مع أنّه حكم بكفرهم ولو كان مجرد المعرفة إيماناً لما صحّ ذلك وايضاً قوله تعالى : « فلمّا جائتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين » وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً »^(٢) ولا يصحّ أن يكون جحدهم لها بقلوبهم حيث أثبت لهم الاستيقان بها ، فلا بدّ أن يكون بألسنتهم حيث لم يقرّوا بها وإذا كان الجحد باللسان موجباً للكفر كان الاقرار به مع التصديق القلبي موجباً للايمان فيكون الاقرار من محققات الايمان ، وايضاً قوله تعالى حكاية عن موسى ﷺ إذ يقول لفرعون : « لقد علمت

(١) سورة البقرة : ٨٩ .

(٢) سورة النمل : ١٤ .

ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والارض» ^(١) فأثبت كونه عالماً بأن الله تعالى هو الذى أنزل الآيات التى جاء بها موسى عليه السلام ، فلو كان مجرد العلم هو الايمان لكان فرعون مؤمناً وهو باطل بنص القرآن العزيز وإجماع الانبياء عليهم السلام من لدن موسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وايضا قوله تعالى : « فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ^(٢) ومعنى ذلك والله أعلم : أنهم يجحدون ذلك بالسنتهم ولا يكذبونك بقلوبهم أى يعلمون نبوتك ، ولا يستقيم أن يكون المعنى لا يكذبونك بالسنتهم لمنافاة يجحدون بالسنتهم له ، فيلزم أن يكونوا كذبوا بالسنتهم ولم يكذبوا بها وبطلانه ظاهر فيجب تنزيه القرآن العزيز عنه .

ولك أن تقول : لم لا يجوز أن يكون المعنى لا يكذبونك بالسنتهم ولكن يجحدون نبوتك بقلوبهم كما أخبر الله تعالى عن المنافقين في سورتهم حيث قالوا نشهد انك لرسول الله ، وكذبهم الله تعالى حيث شهد سبحانه وتعالى بكذبهم فقال : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » والمراد في شهادتهم أى فيما تضمنته من أنها عن صميم القلب وخلوص الاعتقاد كما ذكره جماعة من المفسرين حيث لم توافق عقيدتهم فقد علم من ذلك أنهم لم يكذبوا بالسنتهم بل شهدوا له بها ، ولكنهم جحدوا ذلك بقلوبهم حيث كذبهم الله تعالى في شهادتهم .

والجواب التكذيب لهم ورد على نفس شهادتهم التى هى باللسان لا على نفس عقيدتهم ، وبالجمله فهذا لا يصلح نظيراً لما نحن فيه ، على أن معنى الجحد كما قررناه هو الانكار باللسان مع تصديق القلب ، وما ذكر من الاحتمال عكس هذا المعنى .
ثم قال : والثانى باطل أمّا أولاً فبالاتفاق من الاماميه ، وأمّا ثانياً فلقوله تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ^(٣) ولا شك أنهم كانوا

(١) سورة الاسراء : ١٠٢ .

(٢) سورة الانعام : ٣٣ .

(٣) سورة الحجرات : ١٤ .

صدقوا بالسنتهم وحيث لم يكن كافياً نفى الله تعالى عنهم الايمان مع تحققه ، وقوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ^(١) فأثبت لهم الاقرار والتصديق باللسان ، ونفى ايمانهم فثبت بذلك أن الايمان هو التصديق مع الاقرار .

ثم قال : لا يقال : لو كان الاقرار باللسان جزء الايمان للزم كفر الساکت ؟ لاننا نقول : لو كان الايمان هو العلم أى التصديق لكان النائم غير مؤمن لكن لما كان النوم لا يخرج عن كونه مؤمناً بالاجماع مع كونه أولى بأن يخرج النائم عن الايمان لانه لا يبقى معه معنى من الايمان بخلاف الساکت ، فانه قدبقى معه معنى منه وهو العلم لم يكن السكوت مخرجاً بطريق أولى ، نعم لو كان الخروج عن التصديق والاقرار أو عن أحدهما على جهة الانكار والجحد لخرج بذلك عن الايمان ، ولذلك قلنا أن الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان أو مافي حكمهما ، انتهى محصل ما ذكره .

اقول : قوله : ان النائم ينتفى عنه العلم أى التصديق غير مسلم ، وإنما المنتفى شعوره بذلك العلم وهو غير العلم ، فالتصديق حينئذ باق لكونه من الكيفيات النفسية ، فلا يزيله النوم وحينئذ فلا يلزم من عدم الحكم بانتفاء الايمان عن النائم عدم الحكم بانتفائه عن الساکت بطريق أولى ، نعم الحكم بعدم انتفائه عن الساکت على مذهب من جعل الاقرار جزءاً إما للزوم الحرج العظيم بدوام الاقرار في كل وقت أو أن يكون المراد من كون الاقرار جزءاً للايمان الاقرار في الجملة أى في وقت ما مع البقاء عليه ، فلا ينافيه السكوت المجرد ، وإنما ينافيه مع الجحد لعدم بقاء الاقرار حينئذ .

وأقول : الذى ذكره من الدليل على عدم النقل لا يدل وحده على كون الاقرار جزءاً وهو ظاهر ، بل قصد به الدلالة على بطلان ما عدى مذهب أهل التصديق ،

نمّ استدلّ على بطلان مذهب التصديق بما ذكره من الآيات الدالّة على اعتبار الاقرار في الايمان الشرعيّ تخصّيصاً للغوى كما هو عند أهل التصديق وهذا جيّد ، لكن دلالة الآيات على اعتبار الاقرار ممنوعة ، وقد بينّا ذلك سابقاً أنّ تكفيرهم إنّما كان لجحدهم الاقرار وهو أخصّ من عدم الاقرار فتكفيرهم بالجحد لا يستلزم تكفيرهم بمطلق عدم الاقرار ليكون الاقرار معتبراً .

نعم اللازم من الآيات إعتبار عدم الجحد مع التصديق وهو أعمّ من الاقرار وإعتبار الأعمّ لا يستلزم اعتبار الأخصّ وهو ظاهر .

وهذا جواب عن استدلاله بجميع الآيات ، ويزيد في الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى ، في الحكاية عن موسى عليه وعلى نبيّنا الصلوة والسلام : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء » ^(١) الآية أنّه يجوز أن يكون نسب إلى فرعون العلم على طريق الملاحظة والملائمة حيث كان مأموراً بذلك بقوله : « فقولاً له قولاً ليناً ، لعله يتذكّر أو يخشى » ^(٢) وهذا شائع في الاستعمال كما يقال في المحاورات كثيراً ، وأنت خير بأنّه كذا وكذا ، مع أنّ المخاطب بذلك قد لا يكون عارفاً بذلك المعنى أصلاً ، بل قد لا يكون هناك مخاطب أصلاً كما يقع في المؤلفات كثيراً .

وعلى هذا فلا تدلّ الآية على ثبوت العلم لفرعون ، ولو سلم ثبوته كان الحكم بكفره للجحد لا لعدم الاقرار مطلقاً كما سبق بيانه .

واعلم أنّ المحقق الطوسي قدّس سرّه اختار في فصوله الاكتفاء بالتصديق القلبى في تحقّق الايمان فكأنّه رحمه الله اعظم ما ذكرناه ، وقد استدلّ بعض الشارحين بقوله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الايمان » ^(٣) وبقوله تعالى : « ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم » ^(٤) فيكون حقيقة فيه : فلو أُطلِعَ على غيره لزم الاشتراك أو المجاز

(٢) سورة طه : ٤٤ .

(١) سورة الاسراء : ١٠٢ .

(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

﴿ باب ﴾

﴿ ان الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان ﴾

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الايمان والاسلام أهما مختلفان؟ فقال: إن الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان، فقلت: فصفهما لي، فقال: الايمان شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به

وهما خلاف الأصل، والاقرار باللسان كاشف عنه والاعمال الصالحة ثمراته .
أقول: الذي ظهر ممّا حرّره أن الايمان هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله وحكمته . وبالنبوة وبكل ما علم بالضرورة مجيء النبي ﷺ مع الاقرار بذلك وعلى هذا أكثر المسلمين بل ادّعى بعضهم إجماعهم على ذلك ، والتصديق بأمامة الائمة الاثنى عشر عليهم السلام وبأمام الزمان ، وهذا عند الامامية .

باب ان الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان

الحديث الاول موثق .

« أهما مختلفان » أى مفهومًا وحقيقة أم متساويان مترادفان « يشارك الاسلام » قيل: المشاركة وعدمها إما باعتبار المفهوم فإن مفهوم الاسلام داخل في مفهوم الايمان دون العكس أو باعتبار الصدق فإن كل مؤمن مسلم دون العكس ، أو باعتبار الدخول فإن الداخل في الايمان داخل في الاسلام بدون العكس أو باعتبار الاحكام فإن أحكام الاسلام ثابتة للايمان بغير عكس .

« فصفهما لي » أى يبين لى حقيقتهما « شهادة أن لا إله إلا الله » بيان لأجزاء الاسلام « بد حقت » بيان لأحكام الاسلام ، ويدل على التوارث بين جميع فرق المسلمين كما هو المشهور ، والظاهر أن المراد بالشهادة والتصديق الاقرار الظاهري كما مرّ

حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواarith وعلى ظاهره جماعة الناس ، والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما يظهر من العمل به والايمان أرفع من الاسلام بدرجة ، إنَّ الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان

أنه إطلاقه الشائع ويحتمل التصديق القلبي فيكون إشارة إلى معنى آخر للإسلام، ويحتمل أن يكون أصل معناه الاقرار القلبي وإن ترتبت الاحكام على الاقرار الظاهري ، بناءً على الحكم بالظاهر مالم يظهر خلافه ، لعدم إمكان الاطلاع على القلب كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : فهل شققت قلبه ؟ ولذا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى ظاهره جماعة الناس فتأمل ، وعلى هذا فلا فرق بين الايمان والاسلام إلا بالولاية والاقرار بالائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، إذ في الايمان أيضاً يحكم بالظاهر والأول أظهر ، والمراد بالهدي الولاية والاهتداء بالائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وما يثبت في القلوب إشارة إلى العقائد القلبية بالشهادة الظاهرة الاسلامية فكلمة «من» في قوله : من صفة الاسلام ، بيانية ، ويحتمل أن يكون ابتدائية. أي ما يسرى من أثر الاعمال الظاهرة إلى الباطن ، وقوله : وما يظهر من العمل ، يدل على أن الأعمال أجزاء الايمان وإن أمكن حمله على الشهادتين كما يؤمى إليه آخر الخبر .

« أرفع من الاسلام » لأنه يصير سبباً لا حراز للمثوبات الاخرية اولا اعتبار الولاية فيه فيكون أكمل وأجمع .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : الايمان يشارك الاسلام ظاهره أنه لا فرق بين العقائد الايمانية والاسلامية ، والفرق بينهما أن في الايمان يعتبر الاقرار بالظاهري والتصديق الباطني معاً بخلاف الاسلام فأنه لا يعتبر فيه إلا الظاهر فقط ، وقد يؤول بأن المراد أن الايمان يشارك الاسلام في جميع الأعمال الظاهرة المعتمدة في الاسلام مثل الصلوة والزكاة وغيرهما ، والاسلام لا يشارك الايمان في جميع الأمور الباطنة المعتمدة في الايمان ، لأنه لا يشاركه في التصديق بالولاية وإن اجتمعا في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة ، قيل : ومنه يتبين أن الايمان كالنوع والاسلام كالجنس ، وقد

في الباطن وإن اجتماعاً في القول والصفة .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن موسى بن بكر ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الايمان يشرك الاسلام والايمان لا يشرك الاسلام .

٣ - علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الايمان يشرك الاسلام ولا يشركه الاسلام ، إن الايمان ما وفر في القلوب والايمان ما عليه المناكح والموارث وحقق الدماء ؛ والايمان يشرك الاسلام والايمان لا يشرك الايمان .

٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن محبوب عن أبي الصباح الكناني قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيهما أفضل : الايمان أو الاسلام ؟ فإن من قبلنا يقولون : إن الاسلام أفضل من الايمان ، فقال : الايمان

يطلق الاسلام ويراد به هذا النوع مجازاً من باب إطلاق العام على الخاص ، ولعل قوله تعالى : « وأخرجنا من كان فيها » ^(١) الآية من هذا الباب ، فقول من زعم أنهما مترادفان وتمسك بهذه الآية مدفوع .

الحديث الثاني : ضعيف كالموثق وقدمراً لقول فيه .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

وهو خلاصة من الخبر الاول ، وفي النهاية بشيء وفر في القلب ، أي سكن فيه وثبت من الوقار الحلم والرزانة ، وفر يقر وقاراً وفي المصباح : الوقار الحلم والرزانة وهو مصدر وفر بالضم مثل جمل جمالاً ، ويقال أيضاً وفر يقر من باب وعد ، وفر من باب وعد أيضاً أي جلس بوقار .

الحديث الرابع : صحيح .

« أيهما أفضل » ؟ مبتدأ وخبر ، والايمان والايمان تفسير لمرجع الضمير ، أوهما

أرفع من الاسلام قلت : فأوجدني ذلك قال : ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً ؟ قال : قلت : يضرب ضرباً شديداً قال : أصبت ، قال : فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً ؟ قلت : يقتل ، قال : أصبت الا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة وكذلك الايمان يشرك الاسلام والايمان لا يشرك الايمان .

٥ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً . عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : الايمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل وصدقه

مبتدئه وأيتهما أفضل خير «أوجدني ذلك» أى اجعلنى أجده وأفهمه ، وفي القاموس : وجد المطلوب كوعد وورم يجده ويجده بضم الجيم وجد أوجده أدركه وأوجده أغناه ، وفلاناً مطلوبه أظفره به ، وبعد ضعف قواه كأجده .

قوله : متعمداً أى لا ساهياً ولا مضطراً ، ويدل على كفر من استخف بالكعبة فاتها من حرمان الله ووجوب تعظيمها من ضروريات الدين «ألا ترى أن الكعبة» شبه عليه السلام المعقول بالمحسوس إفهاماً للسائل وبياناً للعموم والخصوص ، وشرف الايمان على الاسلام «وأن الكعبة تشرك المسجد» أى في حكم التعظيم في الجملة أو في أنها يصدق عليها أنها مسجد وكعبة ، أو في أن من دخل الكعبة يحكم بدخوله في المسجد بخلاف العكس .

« والمسجد » أى جميع أجزائه « لا يشرك الكعبة » في قدر التعظيم وعقوبته من استخف بها أو لا يصدق على كل جزء من المسجد أنه كعبة ، أو في أن من دخلها دخل الكعبة كما سيأتى ووجه الشبه على جميع الوجوه ظاهر .

الحديث الخامس - حسن .

قوله عليه السلام « وأفضى به إلى الله » الضمير إما راجع إلى القلب أو إلى صاحبه أى أوصله إلى معرفة الله وقربه وثوابه فالضمير في أفضى راجع إلى ما ، ويحتمل أن يكون

العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره والاسلام ماظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها وبه حققت الدماء وعليه جرت الموارث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الايمان ؛ والاسلام لا يشرك الايمان والايمان يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان ، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الايمان

راجعاً إلى المؤمن وضمير به راجعاً إلى الموصول أى وصل بسبب ذلك الاعتقاد أو أوصل ذلك الاعتقاد إلى الله كناية عن علمه سبحانه بحصوله في قلبه ، وقيل : اى جعل وجه القلب إلى الله من الفضائل والأحكام أى الفضائل الدنيوية والاحكام الشرعية ، قال في المصباح : أفضى الرجل يده إلى الأرض بالألف مسّها بباطن راحته قاله ابن فارس وغيره ، وأفضيت إلى الشيء وصلت إليه والسرّ أعلمت به ، انتهى .

وقيل : أشار به إلى أن المراد بما استقرّ في القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية ، لأنّ هذا المجموع هو المقضى إلى الله ، وقوله : وصدّقه العمل ، مشعر بأن العمل خارج عن الايمان . و دليل عليه ، لأنّ الايمان وهو التصديق أمر قلبيّ يعلم بدليل خارجيّ مع ما فيه من الايماء إلى أنّ الايمان بلا عمل ليس بايمان « والتسليم لأمره » أى الامامة عبّر هكذا تقيّة أو الأعمّ فيشمّلها أيضاً ، و يجتمل أن يكون عدم ذكر الولاية لأنّ التصديق القلبى الواقع بالشهادتين مستلزم للاقرار بالولاية فكان المخالفين ليس إذعانهم إلّا إغنائاً ظاهرياً لا خلاصهم بما يستلزمه من الاقرار بالولاية ، فلذا أطلق عليهم في الاخبار اسم النفاق والشرك فتفتّظن .

« والاسلام ماظهر من قول أو فعل » أى قول بالشهادتين أو الأعمّ و فعل بالطاعات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها ، فيدلّ على أنّ الاسلام يطلق على مجرد الطاعات والشهادات من غير اشتراط التصديق « فخرجوا بذلك من الكفر » اى من أن يجرى عليهم في الدنيا أحكام الكفار « وأضيفوا إلى الايمان » اى نسبوا إلى الايمان ظاهراً وإن لم يكونوا متّصّفين به حقيقة « وهما في القول والفعل يجتمعان »

يشرك الاسلام والا سلام لا يشرك الايمان وقد قال الله عز وجل : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » ^(١) فقول الله عز وجل « أصدق القول قلت : فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟ فقال : لا ، هما يجريان في ذلك مجرى واحد ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقرّبان به إلى الله عز وجل » قلت : أليس الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ^(٢) وزعمت أنهم

أى في الشهادتين والعبادات الظاهرة وإن خصّ الايمان بالولاية ، و ظاهر سياق الحديث لا يخلو من شوب تقيّه ، وكان المراد بالفضائل ما يفضل به في الدنيا من العطاء والاجر وأمثاله لا الفضائل الواقعيّة الاخرويّة أو ما يفضل به على الكافر من الانفاق والاعطاء والاكرام والرعاية الظاهريّة وقيل : أى في التكليف بالفضائل بأن يكون المؤمن مكلفاً ولا يكون المسلم مكلفاً بها .

وفي تفسير العياشي هكذا قال : قلت له : أرأيت المؤمن له فضل على المسلم في شيء من الموارد والقضايا والأحكام حتّى يكون للمؤمن أكثر ممّا يكون للمسلم في الموارد أو غير ذلك ؟ قال : لا ، هما يجريان في ذلك مجرى واحداً إذا حكم الامام عليهما ، إلى آخر الخبر ، وهو أظهر ، فالفضائل تصحيف القضايا .

« في أعمالهما » أى صحّتها وقبولها « وما يتقرّبان به الى الله » أى من العقائد والاعمال فيكون تأكيداً أو تعميماً بعد التخصيص لشموله للعقائد أيضاً ، أو المراد بالاول صحة الأعمال ، وبالثاني كيفيّاتها فإنّ المؤمن يعمل بما أخذه من إمامه ، والمسلم يعمل ببدع أهل الخلاف ، وقيل : المراد به الامام الذى يتقرّب بولايته و متابعتة إلى الله تعالى ، فإنّ إمام المؤمن مستجمع لشرائط الامامة وإمام المسلم لشرائط الفسق والجهالة .

قوله : أليس الله تعالى يقول ... أقول : هذا السؤال والجواب يحتمل وجوهاً :

مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمنين؟ قال: أليس قد قال الله عز وجل: «يضاعفه له أضعافاً كثيرة»^(١) فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير، قلت: أرايت

«الأول» وهو الظاهر أن السائل أراد أنه إذا كنا مجتمعين في الحسنات والحسنة بالعموم، فكيف يكون له فضل عليه في الأعمال والقرابات مع أن الموصول من أدوات العموم يشمل كل من فعلها، فأجاب عليه السلام بأنها شريك في العشر والمؤمن يفضل بما زاد عليها، ويرد عليه أنه على هذا يكون لأعمال غير المؤمنين أيضاً ثواب وهو مخالف للاجماع والاختبار المستفيضة إلا أن يحمل الكلام على نوع من التقية أو المصاحبة لقصور فهم السائل، أو يكون المراد بالإيمان الإيمان الخالص وبالاسلام أعم من الإيمان الناقص وغيره، ويكون الثواب للأول وهو غير بعيد عن سياق الخبر بل لا يبعد أن يكون المراد المستضعف من المؤمنين الذين يظهرون الإيمان ولم يستقر في قلوبهم كما يرشد إليه قوله: وهما في القول والفعل يجتمعان، وقد عرفت اختلاف الاصطلاح في الإيمان فيكون هذا الخبر موافقاً لبعض مصطلحاته، وقيل في الجواب: لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة ورفع شدتها لافي دخول الجنة إن دخولها مشروط بالإيمان.

الثاني: أنه تعالى قال: «من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة»^(١) والقرض الحسن هو العبادة الواقعة على كمالها وشرائط قبولها، ومن جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لا غيرهم، فيعطيه لكل حسنة عشرة، وربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفاً، فهذا فضل المؤمن على المسلم، ويزيد الله في حسناته على قدر صحة إيمانه، وحسب كماله أضعافاً

من دخل في الاسلام أليس هو داخلياً في الايمان؟ فقال: لا ولكنّه قد أضيف إلى الايمان وخرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الايمان على الاسلام، أرأيت لوبصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنك رأيت في الكعبة؟ قلت: لا يجوز أي ذلك، قال: فلو بصرت رجلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنّه قد دخل المسجد الحرام؟ قلت:

كثيرة حتّى أنّه تعطى بواحدة سبعمأة أو أزيد ويفعل الله بالمومنين ما يشاء من الخير الذي لا يعلمه إلا هو كما قال: « ولدينا مزيد » ^(١) و قيل: أراد بما يشاء من الخير ابتداء العلم والحكمة و زيادة اليقين والمعرفة .

الثالث : ما ذكره بعض الافاضل ويرجع إلى الثاني و هو أن المراد بالقرض الحسن صلة الامام عليه السلام كما ورد في الاخبار، فالقرض من الجواب أنّه كما أن القرض يكون حسناً وغير حسن ، والحسن الذي هو صلة الامام يصير سبباً لتضاعف أكثر من عشرة ، فكذلك الصلاة والزكاة والحج تكون حسنة وغير حسنة ، والحسنة ما كان مع تصديق الامام و هو يستحق المضاعفة لا غيره ، والفاء في قوله : « فالمومنون » للبيان ، وقوله : يضاعف الله بتقدير قد يضاعف الله وإلا لكان الظاهر عشرة أضعاف ، « ويزيد الله » أي على السبعين أيضاً .

قوله : أرأيت من دخل في الاسلام ، كأن السائل لم يفهم الفرق بين الايمان و اسلام بما ذكره عليه السلام فأعاد السؤال أو أنّه لما كان تمكّن في نفسه ما اشتهر بين المخالفين من عدم الفرق بينهما أراد أن يتّضح الامر عنده أو قاس الدخول في المركب من الاجزاء المتعقولة بالدخول في المركب من الاجزاء المقداريّة ، فان من دخل جزءاً من الدار صدق عليه أنّه دخل الدار ، فلذا أجابه عليه السلام بمثل ذلك لتفهيمه فقال : المتّصف ببعض أجزاء الايمان لا يلزم أن يتّصف بجميع أجزائه حتّى يتّصف بالايمان كما أن من دخل المسجد لا يحكم عليه بأنّه دخل الكعبة و من دخل الكعبة يحكم عليه بأنّه دخل المسجد ، فكذا يحكم على المؤمن أنّه مسلم ولا يحكم على كل مسلم أنّه مؤمن .

نعم ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد ، فقال : قد أصبت وأحسن ، ثم قال : كذلك الإيمان والاسلام .

﴿ باب ﴾

﴿ آخر منه وفيه أن الاسلام قبل الإيمان ﴾

١- علي بن إبراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ماهو ؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين : سألت رحك الله عن الإيمان والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالآثار كان

ثم أعلم أنه استدلل بهذه الاخبار على كون الكعبة جزءاً من المسجد الحرام ، ويرد عليه انه لادلالة في أكثرها على ذلك ، بل بعضها يؤمى إلى خلافه كهذا الخبر ، حيث قال : أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد ، ولم يقل أكنت شاهداً أنه في المسجد ، وكذا قوله : لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد ، نعم بعض الاخبار تشعر بالجزئية .

باب آخر منه وفيه أن الاسلام قبل الإيمان

الحديث الاول : مجهول .

قوله عليه السلام : والإيمان هو الاقرار «الخ» هذا تفسير للإيمان الكامل والاخبار في ذلك كثيرة ، وعليه انعقد اصطلاح المحدثين منّا ، قال الصدوق رحمه الله في الهداية : الاسلام هو الاقرار بالشهادتين وهو الذي يحقن به الدماء ، والاموال ، ومن قال : لا اله الا الله محمد رسول الله فقد حقن ماله ودمه الأبعقهما وعلى الله حسابه ، والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد بالقلب وعمل بالجوارح ، وأنه يزيد بالأعمال وينقص بتركها ، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم بمؤمن ومثل ذلك مثل الكعبة والمسجد فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد ، وليس كل من دخل المسجد دخل الكعبة ، وقد فرق الله عز اسمه

في كتابه بين الاسلام والايمان، فقال: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وقد بين الله عز وجل أن الايمان قول وعمل، لقوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» إلى قوله تعالى: «أولئك هم المؤمنون حَقًّا» ^(١) وأما قوله عز وجل: «فآخر جنا من كان فيهما من المؤمنين فمأجداً فيهما غير بيت من المسلمين» ^(٢) فليس ذلك بخلاف ما ذكرنا لأن الطؤمن يسمى مسلماً والمسلم لا يسمى مؤمناً حتى يأتي مع إقراره بعمل، وأما قوله عز وجل: «و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» ^(٣) الآية فقد سئل الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: هو الاسلام الذي فيه الايمان، انتهى. وقال الشيخ المفيد قدس سره في كتاب المسائل: أقول: إن تركبى الكبائر من أهل المعرفة والإقرار مؤمنون بايمانهم بالله وبرسله وبما جاء من عنده وفاسقون بما معهم من كبائر الآثام ولا اطلق لهم اسم الفسوق ولا اسم الايمان، بل أفيدهما جميعاً في تسميتهم بكل واحد منهما وامتنع من الوصف لهم بهما على الإطلاق وأطلق لهم اسم الاسلام بغير تقييد، وعلى كل حال وهذا مذهب الامامية إلا بنى نوبخت رحمهم الله، فانهم خالفوا فيه و اطلقوا للفساق اسم الايمان، انتهى.

«والايمان بعضه من بعض» أى تترتب أجزاء الايمان بعضها على بعض فان الإقرار بالعقائد يصير سبباً للعقائد القلبية والعقائد تصير سبباً للأعمال البدنية أو المعنى أن أفراد الايمان ودرجاته يترتب بعضها على بعض، فان الأدنى منها تصير سبباً لحصول الأعلى وهكذا إلى حصول أعلى درجاته فان حصول قدر من اليقين يصير سبباً للآتيان بقدر من الأعمال بحسبه فانما أتى بتلك الأعمال زاد الايمان القلبي فيزيد أيضاً العمل وهكذا، فيترب كمال كل جزء من الايمان على كمال الجزء الآخر. ويحتمل ان يكون إشارة إلى اشتراط بعض أجزاء الايمان ببعض، فان العمل لا ينفع بدون الاعتقاد والاعتقاد أيضاً مشروط في كماله و ترتب الآثار عليه بالعمل

والإيمان بعضه من بعض وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار فقديكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان ، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان ، ساقطاً عنه اسم

« وهو دار » أي الإيمان دار ، قيل : إنما شبه الإيمان والإسلام والكفر بالدار لأن كلاً منها بمنزلة حصن لصاحبه يدخل فيها ويخرج منها كما أن الدار حصن لصاحبه وقوله : وهو يشارك الإيمان قيل : معناه أنه كلما يتحقق الإيمان فهو يشاركه في التحقيق ، وأما ما مضى في الاختيار أنه لا يشارك الإيمان فمعناه أنه ليس كلما تحقق تحقق الإيمان ، فلانما فاة ، ويحتمل أن يكون سقط من الكلام شيء ، وكان هكذا : وهو يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان فيكون على وتيرة ما سبق ، انتهى .

وأقول : الظاهر هنا المشاركة في الأحكام الظاهرة وفيما سبق نفى المشاركة في جميع الأحكام ، وقيل وسر ذلك أن الإقرار بالتوحيد والرسالة مقدم على الإقرار بالولاية والعمل ، والمؤمن والمسلم بسبب الأول يخرجان من دار الكفر ويدخلان في دار الإسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء يستقر في هذه الدار والمؤمن بسبب الثاني يترقى وينزل في دار الإيمان ، ومنه لاح أن الإسلام قبل الإيمان وأنه يشارك الإيمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول في دار الإيمان ، وبهذا التقرير تندفع المناقاة بين قوله ﷺ ههنا : وهو يشارك الإيمان ، وقوله سابقاً : والإسلام لا يشارك الإيمان .

قوله : فإذا أتى العبد كبيرة « الخ » يدل على أن الصغيرة أيضاً مخرجة من الإيمان مع أنها مكفرة مع اجتماع الكبائر ، ويمكن حمله على الإصرار كما يومى إليه ما بعده ، أو على أن المراد بهما الكبيرة لكن بعضها صغيرة بالاضافة إلى بعضها التي هي أكبر الكبائر ، فالمراد بقوله ﷺ : نهى الله عنها نهيه عنها في القرآن بإيعاده عليها النار ، ويدل على أن جحود المعاصي واستحلالها موجبان للارتداد ، وينبغي حمله على

الايمان وثابتاً عليه اسم الاسلام فان تاب واستغفر عاد إلى دار الايمان ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال : هذا حرام وللحرام : هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الاسلام والايمان، داخلًا في الكفر وكان بمنزلة

ما إذا كان من ضروريات الدين ، فيؤيد التأويل الثاني فإن أكثر ما نهى عنه في القرآن كذلك ، أو على ما إذا جحد واستحل بعد العلم بالتحريم ، ويدل على أن المرتد مستحق للقتل وإن كان يفعل ما يؤذن بالاستخفاف بالدين ، ويؤمى إلى عدم قبول توبته للمقابلة ، فيحمل على الفطرى ، وعلى أنه مستحق للنار وإن تاب .

وجملة القول فيه أن المرتد على ما ذكره الشهيد قدس سره في الدروس هو من قطع الاسلام بالاقرار على نفسه بالخروج منه أو ببعض أنواع الكفر سواء كان ممّا يقر أهل عليه أم لا ، أو بانكار ما علم ثبوته من الدين ضرورة أو باثبات ما علم نفيه كذلك ، أو بفعل دال عليه صريحاً كالسجود للشمس والصنم ، وإلقاء المصحف في القدر قصداً وإلقاء النجاسة على الكعبة أو هدمها أو إظهار الاستخفاف بها .

وأما حكمه فالمشهور بين الأصحاب أن الارتداد على قسمين فطرى وملى ، فالأول إرتداد من ولد على الاسلام بأن انعقد حال إسلام أحد أبويه وهذا لا يقبل إسلامه لو رجع إليه ويتحتم قتله ، وتبين عنه إمرأته وتعتد منه عدة الوفاة ، وتقسّم أمواله بين ورثته وهذا الحكم بحسب الظاهر لإشكال فيه بمعنى تعيين قتله ، وأمّا فيما بينه وبين الله فاختلّفوا في قبول توبته فأكثر المحققين ذهبوا إلى القبول حذراً من تكليف ما لا يطاق لو كان مكلفاً بالاسلام أو خروجه عن التكليف مادام حياً كامل العقل وهو باطل بالاجماع وحينئذ فلو لم يطلع عليه أحد أولم يقدر على قتله فتأبى قبلت توبته فيما بينه وبين الله تعالى وصحّت عباداته ومعاملاته ، ولكن لانعود ماله وزوجته إليه بذلك ، ويجوز له تجديد العقد عليها بعد العدة أو فيها على إحتمال كما يجوز للزوج العقد على المعتدة بائناً حيث لا تكون محرمة مؤبداً كما يطلقه بائناً ولا تقتل المرتدة بالردة بل تحبس دائماً وإن كانت مولودة على الفطرة وتضرب أوقات الصلوات .

من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار .

٢- عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران قال : سألته عن الإيمان والإسلام قلت له : أفرق بين الإسلام والإيمان ؟ قال : فأضرب لك مثله ؟ قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، قال : قلت : فيخرج من الإيمان شيء ؟ قال : نعم ، قلت : فيصيرته إلى ماذا ؟ قال : إلى الإسلام أو الكفر . وقال : لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفלט منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسل ثوبه وتطهر ، ثم لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أن رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه .

والثاني أن يكون مولوداً على الكفر فأسلم ثم ارتدّ فهذا يستتاب على المشهور فإن امتنع قتل ، واختلف في مدة الاستتابة ف قيل ثلاثة أيام لرؤية مسمع ، وقيل : القدر الذي يمكن معه الرجوع ، ويظهر من ابن الجنيد أن الارتداد قسم واحد وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو مذهب العامة لكن لا يخلو من قوة الحديث الثاني : موثق .

« فيخرج من الإيمان شيء ؟ قال : نعم » ما يخرج عن الإيمان فقط إماماً المعاصي وترك الطاعات بناءً على دخول الأعمال في الإيمان ، أو إنكار الإمامة ولوازمها ، وما يخرج عن الإيمان والإسلام معاً الارتداد وما ينافي دين الإسلام قولاً أو فعلاً والتمريد في قوله إلى الإسلام أو الكفر لذلك ، وفي القاموس : كان الأمر فلتة أي فجأة من غير تردد وتدبر ، وأفلتني الشيء وأفلت منّي انفلت ، وأفلته غيره وأفلت على بناء المفعول مات فجأة ، وبأمر كذا فوجيء به قبل أن يستعدّ له ، وفي المصباح أفلت الطائر وغيره إفلاتاً تخلص ، وأفلته إذا أطلقته وخلصته يستعمل لازماً ومتعدّياً .

﴿باب﴾

١- علي بن محمد ، عن بعض أصحابه ، عن آدم بن إسحاق ، عن عبدالرزاق بن مهران ، عن الحسين بن ميمون ، عن محمد بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ [أ] ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى يقول : «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين

باب

إنما لم ينعنون الباب لأنَّه قريب من الباين السابقين في أنَّه مشتمل على معاني الاسلام والايمان ، لكن لما كان فيه زيادة تفصيل وتوضيح وفوائد كبيرة جعله باباً آخر .

الحديث الاول : مجهول .

قوله : وذلك أنَّ ، تعليل لتكلمهم فيه بغير علم لأنَّهم تكلموا في متشابهة ، أيضاً مع أنَّه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، والمحكم في اللغة المتقن ، وفي العرف يطلق على ماله معنى لا يحتمل غيره ، وعلى ما اتضحت دلالة وعلى ما كان محفوظاً من النسخ والتخصيص أو منهما جميعاً ، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابه يقابله بكل من هذه المعاني .

وقال الراغب : المحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهة غيره ، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى .

وقال الفقهاء : المتشابه ما لا ينبى ظاهره عن مراده وحقيقة ذلك أنَّ الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه ، فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب ، متشابه من جهة اللفظ

فقط ومتشابه من جهة المعنى فقط ومتشابه من جهتهما ، فالمتشابه من جهة اللفظ ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ، وذلك إما من جهة غرابته نحو الأَبْ وبزفون ، وإما من مشاركة في اللفظ كاليد والعين ، والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب ، وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا امطاب لكم » ^(١) وضرب لبسط الكلام نحو « ليس كمثله شيء » ^(٢) لأنه لو قيل ليس مثل مثله شيء كان أظهر للسامع ، وضرب لنظم الكلام نحو « أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قِصاً » ^(٣) تقديره الكتاب قِصاً ولم يجعل له عوجاً ، والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذا كان لا تحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه أولم يكن من جنس ما نحسّه . والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أضرب .

الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو : « اقتلوا المشركين » ^(٤) .
والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والتدب نحو « فانكحوا امطاب لكم من النساء » ^(٥) .

والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو « فاتقوا الله حق تقاته » ^(٦) .
والرابع من جهة المكان والأموال التي نزلت فيها « وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ^(٧) وقوله عز وجل : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ^(٨) فإن من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذّر عليه معرفة تفسير هذه الآية .

الخامس من جهة الشروط التي بها يصحّ الفعل أو يفسد كشرط الصلوة والنكاح .

(١) و (٥) سورة النساء : ٣ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة الكهف : ١ .

(٤) سورة التوبة : ٥ .

(٥) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٦) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٨) سورة التوبة : ٣٧ .

وهذه الجملة إذا تصوّرت علم أن كل ما ذكره المفسّرين في تفسير المتشابه لا يخرج عن التقاسيم نحو قول من قال : المتشابه « الم » وقول قتادة المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ، وقول الأصم : المحكم ما أجمع على تأويله والمتشابه ما اختلف فيه، ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب ضرب لاسبيل للوقوف عليه كوقت الساعة و خروج دابة الأرض و كيفة الدابة و نحو ذلك ، و ضرب للانسان سبيل إلى معرفته كالافاظ الغريبة و الاحكام المغلفة ، و ضرب متردد بين الامرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو الضرب المشار إليه بقوله وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ في علي عليه السلام : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل .

وإذا عرفت هذه الجملة علم أن الوقوف على قوله : إلا الله ، وصله بقوله : والراسخون في العلم جازان ، وإن لكل واحد منهما وجهاً حسب ما يدل عليه التفصيل المتقدم ، انتهى .

قوله تعالى : « منه آيات محكمات » قيل : أي احكمت عباراتها بأن حفظت عن الاجمال « هن أم الكتاب » أي اصله يرد إليها غيرها « وأخر متشابهات » قيل : أي محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء الربانيين في استنباط معانيها وردّها إلى المحكمات وليتوصلوا بها إلى معرفة الله وتوحيده .

وأقول : بل ليعلموا عدم استقلالهم في علم القرآن واجتياهم في تفسيره إلى الامام المنصوب من قبل الله وهم الراسخون في العلم .

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن المحكم والمتشابه ؟ فقال : المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله ، وفي رواية أخرى : والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً ، وفي رواية أخرى فأما المحكم فتؤمن به وتعمل به وتدين به ، وأما المتشابه فتؤمن به ولا تعمل به « فأما الذين في قلوبهم زيغ » أي ميل عن الحق كالمبتدعة

في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا

« فيتبعون ما تشابه منه » فيتلقون بظاهره أو بتأويل باطل « ابتغاء الفتنة » أى طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه .

وفي مجمع البيان عن الصادق عليه السلام أن الفتنة هنا الكفر « وابتغاء تأويله » أى وطلب أن يأولوه على ما يشتهونه « وما يعلم تأويله » الذى يجب أن يحمل عليه « إلا الله والراسخون في العلم » الذين تثبتوا وتمكثوا فيه .

وأقول: قد مر الكلام من تأويل هذه الآية في كتاب الحجّة في باب ان الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام قوله عليه السلام : فالمنسوخات من المتشابهات كان هذا الكلام تهديد لما سيأتى من إختلاف الايمان المأمور به في مكّة قبل الهجرة وفي المدينة بعدها وإختلاف التكليف فيهما كمّاً وكيفاً ، ردّاً على من استدلّ ببعض الآيات على أن الايمان نفس الاعتقاد بالتوحيد والنبوة فقط بلا مدخلة للأعمال او الولاية فيه ، بأن تلك الآيات أكثرها نزلت في مكّة وكان الايمان فيها نفس الاعتقاد بالشهادتين أو التكلم بهما ثم نسخ ذلك في المدينة بعد وجوب الواجبات وتحريم المحرّمات ونصب الوالى والأمر بولايته .

ويحتمل أن لا يكون ذلك من قبيل النسخ ويكون ذكر النسخ لبيان عجزهم عن فهم معانى الآيات وخطأهم في الاستدلال بها كما أنهم لا يعرفون الناسخ من المنسوخ ويستدلّون بالآيات المنسوخة على الاحكام مع عدم علمهم بنسخها وعدّ المنسوخات التى لا يعلم بنسخها من المتشابهات فالمنسوخه أخصّ مطلقاً من المتشابه .

ولما كان المحكم غير المتشابه والناسخ غير المنسوخ ونقيض الاخصّ أعمّ من نقيض الاعمّ غير الاسلوب في الفقرة الثانية فقال : والمحكمات من الناسخات للإشارة إلى ذلك وتسميته غير المنسوخ مطلقاً ناسخاً إمّا على التوسّع وإطلاق لفظ الجزء على الكل أو لكونها ناسخة للشرايع السالفة أو للإباحة الأصلية التى كانوا متمسكين بها قبلها . ويمكن حمل الناسخ على معناه وحمل الكلام على الغالب بأن يكون الناسخ

الله، ^(١) الآية فالمنسوخات من المتشابهات؛ والمحكمات من الناسخات، إن الله عز وجل

أيضاً أخص من المحكم ولافساد فيه لعدم انحصار الآيات حينئذ في النسخة والمنسوخة وقيل: لما كان بعض المحكمات مقصور الحكم على الأزمنة السابقة منسوخاً بآيات أخر ونسخها خافياً على أكثر الناس فيزعمون بقاء حكمها صارت متشابهة من هذه الجهة ولهذا قال عليه السلام: فالمنسوخات من المتشابهات.

وفي بعض النسخ من المشتبهات، وإنما غير الأسلوب في اختها لأن المحكم أخص من الناسخ من وجه، بخلاف المتشابه فإنه أعم من المنسوخ مطلقاً، انتهى.

وفيه أن كون المتشابه أعم من مطلق المنسوخ مطلقاً لاوجه له إلا أن يخص بمنسوخ لم يعلم نسخه كما أو مانا إليه، وقيل: الظاهر أن الفاء للتفسير لزيادة تفضيع حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات والمتشابهات دون المحكمات والناسخات، لأن المنسوخات من باب المتشابهات في التشابه إذ يشبه عليهم ثباتها وبقائها والمحكمات من قبيل الناسخات في الثبات والبقاء، فاذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لأنهما من باب واحد، وإذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا الناسخات، وإذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لأنهما أيضاً من باب واحد.

قوله: إن الله عز وجل بعث نوحاً، هذا شروع في المقصود، وحاصله أن الإيمان في بداية بعثه كل رسول كان مجرّد التصديق بالتوحيد والرسالة ومن مات عليه حينئذ كان مؤمناً ووجب له الجنة، فلما استجابوا لهم ذلك وكثرت أتباعهم وضعوا أعمالاً وشرايع وأوجبوا عليهم وأوعدوا على تركها النار فصارت تلك الأعمال أجزاء للإيمان فأول العزم من الأنبياء كان نوحاً عليه السلام فحين بعثه أمرهم أولاً بالتوحيد والاقرار بنبوته فقط، وكان ذلك الإيمان حيث قال في سورة نوح: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم، قال يا قوم إنني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله» أي مخلصاً من غير شرك «واتقوه» أي اتقوا عذابه الذي

بعث نوحاً إلى قومه « أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » ^(١) ثم دعاهم إلى الله وحده وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم بعث الأنبياء عليهم السلام على ذلك إلى أن بلغوا محمداً صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وقال : « شرع لكم من الدين ما وصى

قرءه على البشرك » وأطيعون « فيما أمركم به وأذعنوا للنبوته فلم يذكر فيما أنذرهم به إلا هذين الأمرين .

« ثم دعاهم » أى ثم بعد ذلك استمر على هذه الدعوة زماناً طويلاً فكانت دعوته منحصرة في التوحيد ونفى الشريك ، وكان قبولهم ذلك منه مستلزماً للإذعان بنبوته « ثم بعث الأنبياء » أى ثم بعث سائر أولي العزم في أول بعثتهم على هذا الامر فقط ، إلى أن انتهت سلسلة أولي العزم وسائر الانبياء إلى محمد صلى الله عليه وآله فكان صلى الله عليه وآله في أول بعثته بمكة يدعوهم إلى التوحيد وما يتبعه من الاقرار بالنبوة بل المعاد أيضاً فأنه أيضاً من الامور التي نزلت الآيات المشتملة على التهديدات العظيمة فيها قبل الهجرة ، فالمراد بجميع أصول الدين سوى الامامة ، وذكر التوحيد على المثال ، أو على أن الاقرار به مستلزم للاقرار بسائر الاصول ، ويؤيده قوله عليه السلام بعد ذلك : والاقرار بما جاء به من عند الله .

قوله عليه السلام : وقال ، أى في سورة الشورى وهي مكية ، على ما ذكره المفسرون إلى قوله : « والذين استجابوا » « والذين إذا أصابتهم » إلى قوله : « لا يحب الظالمين » عن الحسن ، وعلى قول ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة « قل لأسئلكم عليه أجراً » إلى قوله : « لهم عذاب شديد » وعلى التقادير الآيات المذكورة مكية .

والاستشهاد بالآية لأن الدين المشترك بين جميع الانبياء هي الاصول الدينية التي لا تختلف باختلاف الشرايع ، مع أن قوله سبحانه : « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » يشعر بأن عمدة الدين في ذلك الوقت كانت التوحيد ونفى الشرك مع

به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب»^(١) فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء [به] من عند الله فمن آمن مخلصاً ومات على ذلك أدخله الله الجنة بذلك وذلك أن الله

الاقرار بالنبوة لقوله تعالى : « الله يجتبي ».

قال الطبرسي رحمه الله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، أى بين لكم ونهج وأوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصى به نوحاً » والذي أوحينا إليك « أى وهو الذى أوحينا إليك يا محمد وهو ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، ثم بين ذلك بقوله : « أن أقيموا الدين » وإقامة الدين التمسك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء إليه « ولا تتفرقوا » أى لا تختلفوا فيه واثبتوا فيه واتفقوا وكونوا عباداً لله إخواناً « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » من توحيد الله والاخلاص له ، ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، وقيل : معناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوهم إليه وتخصيصك بالوحي والنبوة دونهم « الله يجتبي إليه من يشاء » أى ليس لهم الاختيار لأن الله يصطفى لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وقيل : معناه : الله يصطفى من عباده لدينه من يشاء « ويهدي إليه من ينيب » أى ويرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته أو يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع إليه بالنية والاخلاص .

قوله ﷺ : فمن آمن مخلصاً ، أى بقلبه ولسانه دون لسانه فقط ولم يخلطه بشرك « وذلك أن الله » كأنه إشارة إلى إدخاله الجنة بمجرد الشهادة والاقرار وإن لم يعمل من الطاعات شيئاً ولم يترك سائر المحرمات لأنه كان بذلك مؤمناً في ذلك الزمان ، وإدخال المؤمن النار ظلم « وذلك أن الله » المشار إليه بذلك إمّا عدم تعذيب

ليس بظلام للعبيد ذلك أن الله لم يكن يعذب عبداً حتى يغفل عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها ، فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين ، جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل

من ترك العمل بالنار ، أو أنه إن لم يدخل الجنة وأدخل النار كان ظالماً ، وهذا الكلام يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون المعاصي التي نهى عنها في مكة من المكروهات ويكون النهي عنها نهى تنزيه ، والطاعات التي أمر بها فيها من المستحبات فالتعليل حينئذ ظاهر لأن التعذيب على ترك المستحبات أو فعل المكروهات في الآخرة ظلم ، وثانيهما أن يكون النهي عن المعاصي نهى تحريم والأمر بالطاعات أمر وجوب لكن لم يوعد على فعل المعاصي وترك الطاعات النار ولم يغفل فيهما ، وإنما أوعد النار على المشرك و الإخلال بالعقائد وإنكار النبوة والمعاد فهي كانت بمنزلة الفرائض لسعة كرمه ورحمته أن لا يؤاخذ مجتنب الكبائر بفعل الصغائر ، والكبائر وغيرها بمنزلة الصغائر وسائر الواجبات ، وقد أوجب الله تعالى على نفسه فلو عذب بهم بها كان ظالماً من حيث الإخلال بما أوجب على نفسه من العفو عنهم أو يقال : التعذيب بالنار مع ترك الإيعاد بها ظلم أو يقال التعذيب بالنار العظيم الإلیم أبداً أو مدة طويلة بمحض النهي من غير تهديد ووعيد وتغليظ لاسيما ممن كملت قدرته ووسعت رحمته ظلم ، أو يقال : اللطف على الله تعالى واجب وأعظم الألفاف التهديد والوعيد بالنار فتركه ظلم ، أو يقال : أطلق الظلم على خلاف الأولى مجازاً والكل مبني على أن الأعمال والتروك التي هي أجزاء الإيمان إنما هي ما يستحق بتركه الدخول في النار ، وفي مكة سوى العقائد لم تكن كذلك ولما شرع في المدينة شرايع وجعل فيها فرائض وكبائر يستحق بترك الأولى وفعل الثانية دخول النار جعلناه من أجزاء الإيمان .

«جعل لكل نبي» إشارة إلى قوله تعالى في المائدة وهي مديّة : « لكل

وسنة وقال الله لمحمد ﷺ : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ » ^(١) وأمر كلَّ نبيٍّ بالأخذ بالسبيل والسنة وكان من السنة والسبيل التي أمر

جعلناه منكم شرعة ومنهاجاً » قال البيضاوي : شرعة شريعة وهي الطريقة إلى الماء، شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرء بفتح الشين « ومنهاجاً » وطريقاً واضحاً في الدين من نهج الأمر إذا وضح ، واستدل به على أننا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ، انتهى .

وقال الرابع : الشرع نهج الطريق الواضح ، يقال : شرعت له طريقاً والشرع مصدر ، ثم جعل إسماعاً للطريق النهج ف قيل له شرع وشرعة وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين قال تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » فذلك إشارة إلى أمرين أحدهما : ما سخر تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحرّاه ممّا يعود إلى مصالح عباده وعمارة بلاده وذلك المشار إليه بقوله : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » .

الثاني : ما قبض له من الدين وأمره به ليتحرّاه اختياراً ممّا يختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » ^(٢) قال ابن عباس : الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما ورد به السنة وقوله : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، الآية ، فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل ولا يصحّ عليها النسخ كعرفة الله ونحو ذلك من نحو ما دل عليه قوله : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

قال بعضهم : سميت الشريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة روى وتطهر قال : وأعني بالرى ما قال بعض الحكماء : كنت أشرب فلا أروى ، فلما عرف الله رويت بلا شرب ، وبالتطهير ما قال تعالى : « إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) سورة النساء : ١٦٣ .

(٢) سورة الحجّية : ١٨ .

الله عز وجل بها موسى عليه السلام أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبب ولم

عنكم الرُّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً انتهى .

والشرعة والمنهاج متقاربان في المعنى كما أن اللفظين الذين فسرهما عليهما السلام بهما أيضاً متقاربان ، فيحتمل أن يكونا تفسيرين لكل منهما أو يكون على اللف والنشر .

فعلى الأول أطلق على أعمال الدين وأحكامه الشرعة لايصالها العامل بها إلى الحياة الأبدية والتطهر من الأدناس الرديئة ، والمنهاج لأنها كالطريق الواضح الموصل إلى المقصود من الجنة الباقية والدرجات العالية .

وعلى الثاني المراد بالأول الواجبات وبالثاني المستحبات ، ولذا عبر عليهما السلام عن الثاني بالسنة ، أو بالأول العبادات وبالثاني سائر الاحكام ، والوجه الأول أوفق بقوله : وكان من السبيل ، وإن أمكن أن يكون المراد من مجموعهما وإن كان من أحدهما .

قال الطبرسي (ره) الشرعة والشرعة واحدة وهى الطريقة الظاهرة ، والشرعة هى الطريقة التى يوصل منه إلى الماء الذى فيه الحياة ف قيل : الشرعة فى الدين الطريق الذى يوصل منه إلى الحياة فى النعيم وهى الامور التى يعبد الله بها من جهة السمع ، والأصل فيه الظهور ، والمنهاج الطريق المستمر يقال : طريق نهج ومنهج أى يبين ، وقال المبرد : الشرعة : ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم قال : وهذه الالفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة فيه وقد جاء أيضاً بمعنى واحد كقول الشاعر : أقوى وأقفر ، وهما بمعنى ، انتهى .

قوله : أن جعل عليهم السبت ، قال الراغب : أصل السبت قطع العمل ومنه سبت السير أى قطعه ، وسبت شعره حلقه ، وقيل : سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتداء بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها فى ستة أيام كما ذكره فقطع عمله تعالى يوم السبت فسمى بذلك ، وسبت فلان صار فى السبت .

يستحل أن يفعل ذلك من خشية الله ، أدخله الله الجنة ومن استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه من عمل الذي نهاه الله عنه فيه ، أدخله الله عز وجل النار وذلك حيث استحلوا الحيتان واحتبسوها وأكلوها يوم السبت ، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا

وقوله عز وجل : « يوم سبتهم » ^(١) قيل : يوم قطعهم للعمل « ويوم لا يسبئون » قيل : معناه لا يقطعون العمل ، وقيل : يوم لا يكونون في السبت وكلاهما إشارة إلى حالة واحدة وقوله : إنما جعل السبت أي ترك العمل فيه ، انتهى .
قوله ﷺ : ولم يستحل الظاهر أن المراد بالاستحلال هنا الجرأة على الله وانتهاك ما حرم الله فكأنه عدّه حلالاً لقوله بعد ذلك ولا شكوا في شيء مما جاء به موسى .

وما قيل : دل على أن مخالفة الأحكام كفر يوجب دخول النار مع الاستحلال والظاهر أنه لا خلاف فيه بين الأمة ، وما ذلك إلا لأن الإقرار بها والعمل بها داخلان في الإيمان ، وإذا كان كذلك كان تاركها وإن لم يستحل كافراً يعذب بالنار أيضاً . فلا يخفى وهنه « حيث استحلوا الحيتان » أي استحلوا صيدها أو أكلها أو حبسها أيضاً ، وقوله : يوم السبت ظرف لكل من احتبسوها وأكلوها أو لاستحلوا أيضاً أي استحلوا أو لاحتبسها يوم السبت ثم استحلوا صيدها وأكلها فيه .

وقيل : يوم السبت ظرف لاحتبسوها لئلا أكلوها أي احتبسوها يوم السبت في مضيق بسد الطريق عليها ثم اصطادوها يوم الأحد وأكلوها ، فعلوا ذلك خيلة ولم تنفعهم لأن إحتباسها فيه هتك لحرمته ، فخرجوا بذلك من الإيمان إلى الكفر ، ولذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمان وأن يشكوا في رسالة موسى ﷺ وما جاء به ، ولذلك لم يصادوا يوم السبت ، فعلم أن الإيمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لأن المؤمن لا يغضب ولا يدخل النار .

وفيه شيء لأن استحلالهم الحيتان ينافي ظاهراً عدم شكهم بما جاء به موسى .

أُشْرِكُوا بِالرَّحْمَنِ وَلَا شَكُّوا فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
« وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ » ^(١) ثُمَّ بَعَثَ

وَيُمْكِنُ دَفْعُهُ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى تَحْرِيمُ الْحَيْتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ وَهَمَّ اسْتِحْلَاوُهَا
يَوْمَ الْأَحَدِ وَلِحَقِّ بِهِمْ مَا لِحَقِّ بِسَبَبِ احْتِبَاسِهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ ، انْتَهَى .

وَأَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُ مَعْنَى الاسْتِحْلَالِ وَهُوَ مَعْنَى شَايِعٍ فِي الْمَحَاوِرَاتِ ، فَلَا يَرُدُّهَا
أَوْرَدَهُ ، وَأَمَّا الْجَوَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ فَهُوَ أَيْضاً لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جَوْعٍ ، لِأَنَّ الْاِحْتِبَاسَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَنَهِياً عَنْهُ فَكَيْفَ عَذَّبُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلاً فِيمَا نَهَوْا عَنْهُ عَادَ الْأَشْكَالُ
مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ أَنََّّهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الْحِيلَةِ تَعَدَّى أَكْثَرُهُمْ إِلَى الصَّيْدِ
وَالْأَكْلِ يَوْمَ السَّبْتِ فَاعْتَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ يَمْسَخُوا ، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ بَيْنَهُمْ فَمَسَخُوا
أَيْضاً لِتَرْكِهِمُ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَإِنْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ .

قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ : اِخْتَلَفَتْ فِي أَنََّّهُمْ كَيْفَ اصْطَادُوا وَفَقِيلَ : إِنََّّهُمْ أَلْقَوْا الشَّبَكَةَ
فِي الْمَاءِ يَوْمَ السَّبْتِ حَتَّى كَانَ يَقَعُ فِيهَا السَّمَكُ ثُمَّ كَانُوا لَا يَخْرُجُونَ الشَّبَكَةَ مِنَ الْمَاءِ
إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ ، وَهَذَا نَسَبٌ مُحْظُورٌ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : اتَّخَذُوا الْحِيَاضَ فَكَانُوا
يَسُوقُونَ الْحَيْتَانَ إِلَيْهَا وَلَا يُمْكِنُهَا الْخُرُوجُ مِنْهَا فَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ .

وَقِيلَ : إِنََّّهُمْ اصْطَادُواهَا وَتَنَاوَلُوهَا بِالْيَدِ يَوْمَ السَّبْتِ عَنِ الْحَسَنِ .

« وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ » قَالَ الْبَيْضاوِيُّ : السَّبْتُ مَصْدَرٌ
سَبَتَتِ الْيَهُودُ إِذَا عَظُمَتْ يَوْمَ السَّبْتِ وَأَصْلُهُ الْقَطْعُ ، أَمَرُوا أَنْ يَجْرُدُوهُ لِلْعِبَادَةِ فَاعْتَدَى
فِيهِ نَاسٌ مِنْهُمْ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاشْتَغَلُوا بِالصَّيْدِ وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ قَرْيَةً
عَلَى السَّاحِلِ يُقَالُ لَهَا ابْلَةُ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ لَمْ يَبْقَ حُوتٌ فِي الْبَحْرِ إِلَّا حَضْرُهُنَاكَ
وَأَخْرَجَ خَرْطُومُهُ وَإِذَا مَضَى تَفَرَّقَتْ فَحَضَرُوا حِيَاضاً وَشَرَعُوا إِلَيْهَا الْجِدَاوِلَ ، وَكَانَتْ
الْحَيْتَانُ تَدْخُلُهَا يَوْمَ السَّبْتِ فَيَصْطَادُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ « فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ »

الله عيسى عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به من عند الله وجعل لهم شرعة ومنهاجاً فهدمت السبب الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار وإن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشر كوا بالله شيئاً ، ثم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرين فلم يمض بمكة في تلك العشرين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن

جامعين بين صورة القردة ، والخسوء وهو الصغار والطرد ، قال مجاهد : ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله : « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » ^(١) وقوله : كونوا ، ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأتهم صاروا كذلك كما أراد بهم ، انتهى .

قوله : فهدمت ، أي الشرعة والمنهاج أيضاً لكونه بمعنى الطريق يجوز فيه التأنيث ، ويمكن أن يقرء على بناء المجهول باضمار السنة في السبب ، وقوله : أن يعظموه بدل إشتغال الضمير ، وعامة عطف على السبب « سبيل عيسى » أي شرايعه المختصة به . قوله عليه السلام : وإن كان الذي جاء به النبيون أي هدمت شريعة عيسى عامة ما كانوا عليه وإن كان الذي جاء به النبيون من التوحيد وسائر الأصول باقياً لم يتغير ، أو العنى أدخله الله النار وإن كان منه الإقرار بما جاء به النبيون وهو التوحيد ، ونفى الشرك ، وقوله : أن لا يشر كوا ، عطف بيان أو بدل للموصول ، وعلى الوجهين يحتمل كون كان تامة وناقصة ، وقيل : الموصول إسم كان وأن لا يشر كوا خبره وله أيضاً وجه وإن كان بعيداً . قوله عليه السلام : عشرين ، أقول : هذا مخالف لما مر في تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم ولما هو المشهور من أنه صلى الله عليه وسلم أقام بعد البعثة بمكة ثلاث عشرة سنة ، فقيل : هو مبني على إسقاط الكسور بين العديدين وهو بعيد في مثل هذا الكسر ، والذي سنح لي أنه مبني على ما يظهر من الأخبار أنه لما نزل : « وأندر عشيرتك الأقربين » وكان أوّل

مُحَمَّدًا ﷺ رسول الله إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِأَقْرَارِهِ وَهُوَ إِيْمَانُ التَّصْدِيقِ وَلَمْ يَعْدُبِ اللهُ أَحَدًا مَنِ مَاتَ وَهُوَ مُتَّبِعٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِالرَّحْمَنِ وَتَصْدِيقِ

بِعَثَةِ دُعَائِي عَبْدًا مُطَلَّبٌ وَأُظْهِرَ لَهُمْ رِسَالَتَهُ وَدُعَاهُمْ إِلَى بَيْعَتِهِ وَالْإِيْمَانِ بِهِ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا عَلَى ﷺ ثُمَّ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، ثُمَّ جَعْفَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى نَزَلَ : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » ^(١) فِدْعَا النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلِذَا لَمْ يَعِدِ ﷺ تِلْكَ الثَّلَاثَ سِنِينَ مِنْ أَيَّامِ الْبُعْثَةِ ، وَأَنْتَهَا لَمْ تَكُنْ بِعَثَةِ عَامَةٍ مُؤَكَّدَةٍ .

قَالَ عَلَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » الْخ ، أَنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ بَعْدَ أَنْ نَبِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِثَلَاثَ سِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبُوَّةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَأَسْلَمَ عَلَى ﷺ يَوْمَ الثَّلَاثِ ثُمَّ أَسْلَمَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجَةَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ دَخَلَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصَلِّي وَعَلَى ﷺ بِجَنْبِهِ وَكَانَ مَعَ أَبِي طَالِبٍ جَعْفَرُ فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : صَلِّ جَنَاحَ ابْنِ عَمْرٍكَ فَوَقَفَ جَعْفَرُ عَلَى يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَدَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنَهُمَا فَكَانَ يَصَلِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَى ﷺ وَجَعْفَرُ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَخَدِيجَةُ ، فَلَمَّا أَتَى لِذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » ^(١) .

وَفِي أَعْلَامِ الْوَرَى بَعْدَ ذَلِكَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَامَ عَلَى الْحِجْرِ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَيَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَأُجِيبُونِي تَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمَ ، وَتَكُونُ مِلُوكًا فِي الْجَنَّةِ ، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ .

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى إِسْقَاطِ سَنَى الْهَجْرَةِ إِلَى شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ ، أَوْ إِسْقَاطِ الثَّلَاثَ سِنِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لِغَدَمِ تَمَكُّنِهِ فِي هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ

ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بنى إسرائيل بمكة « وقضى ربك أن

من التبليغ كما ينبغي لكنهما بعيدان ، والأظهر ما ذكرنا أولاً .

قوله ﷺ : يشهد أن لا إله إلا الله ، الظاهر أن المراد به الشهادة القلبية بالتوحيد والرّسالة وما يلزمهما فقط أومع الاقرار باللسان أو عدم الانكار الظاهري لامجّرّد الاقرار باللسان بقرينة قوله : وهو ايمان التصديق ، وقد عرفت أن الايمان الظاهري فقط لا ينفع في الآخرة وإن احتمل التعميم ، ويكون قوله : إلّا من أشرك بالرّحمان ، أى قلباً إستثناء منه فيرجع إلى ما ذكرنا أولاً وعلى الأول يكون إستثناء منقطعاً .

وعلى التقديرين يكون المراد بقوله : وهو ايمان التصديق أنه الايمان بمعنى التصديق فقط ، ولا يدخل فيه الأعمال لاشترطاً ولا شرطاً وإن كانت سبباً لكمالها بخلاف الايمان بعد الهجرة فإن الأعمال قد دخلت فيه على أحد الوجهين وذلك لأنهم لم يكلفوا بعد إلّا بالشهادتين فحسب ، وإنما نهوا عن أشياء نهى أدب وعظة وتخفيف ، ثم نسخ ذلك بالتغليظ في الكبائر والتواعد عليها ، ولم يكن التغليظ والتواعد يومئذ إلّا في الشرك خاصّة ، فلمّا جاء التغليظ والايعاد بالنار في الكبائر ثبت الكفر والعذاب بالمخالفة فيها .

« وتصديق ذلك » أى دليل ما ذكرنا من التفاوت في التكليف ومعنى الايمان قبل

الهجرة وبعدها .

وقال الفاضل الاسترابادي : بيان لأوّل الواجبات على المكلفين وأن تكاليف الله تعالى ينزل على التدريج ، وفي كتاب الاطعمة من تهذيب الاحكام أحاديث صريحة في التدريج في التكليف ، إنتهى .

ولنذكر تفسير الآيات التي أسقطت إختصاراً إمّا من الامام ﷺ أو من الراوى قال تعالى قبل تلك الآيات : « لا تجعل مع الله إلهاً آخر فيتعبد مذموماً مخذولاً » ثم قال : « وقضى ربك » قيل : أى أمراً مطلقاً مقطوعاً به : « أن لا تعبدوا إلّا إياه » لأن

لا تعبدوا إلا إِيَّاه وبالوالدين إحساناً - إلى قوله تعالى - إِنَّهُ كَانَ بعباده خبيراً بصيراً»
أدب وعظة وتعليم ونهي خفيف ولم يعد عليه ولم يتواعد على اجتراح شيء مما نهى

غاية التعظيم لا تحقق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام « وبالوالدين إحساناً » بأن
تحسنوا أو أحسنوا بالوالدين إحساناً لا تنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش « إِمَّا
يبلغن » « إِمَّا إِنْ الشَّرِيطَةُ زِيدَتْ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَأْكُيْد » عندك الكبير « في كنفك وكفالك
» أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف » إن أضجراك « ولا تنهرهما » أي فلا تزجرهما
إن ضرباك « وقل لهما قولا كريماً » أي حسناً جميلاً « واخفض لهما جناح الذل »
أي تذلل لهما وتواضع « من الرحمة » أي من فرط رحمتك عليهما « وقل رب أرهما
كما ربّيتاني صغيراً » جزاءاً لرحمتكما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري « ربكم
أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً » .

عن الصادق عليه السلام الأوابون التوابون المتعبدون « وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً » وهو صرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على
وجه الاسراف « إن التبذرين كانوا إخوان الشياطين » أي أمثالهم « وكان الشيطان
لربّه كفوراً » أي مبالغاً في الكفر .

« وإمّا تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً، ولا
تجعل يديك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً » أي فتصير ملوماً
عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير « محسوراً » أي نادماً أو منقطعاً بك لشيء
عندك « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » أي يوسع له ويضيقه بمشيئته التابعة
للحكمة « إِنَّهُ كَانَ بعباده خبيراً بصيراً » يعلم سرهم وعلايتهم .

قوله عليه السلام : أدب وعظة ، أي كلمّا ذكر في تلك الآيات سوى صدر الأولى وهو
قوله : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إِيَّاه » تأديب وموعظة ، وهذا مبني على أن
قوله وبالوالدين بتقدير وأحسنوا عطفاً على جملة : قضى ربك ، لأن فيها تأكيداً
وتهديداً في الجملة .

عنه وأنزل نهياً عن أشياء حذر عليها ولم يغلظ فيها ولم يتواعد عليها وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً * ولا تقرّوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق » ومن

ويحتمل أن يكون المراد جميعها لكن وقع التهديد على الشرك فيما مرّ وفيما سيأتى من الآيات كقوله : ولا تجعل مع الله إلهاً آخر .

فان قيل : قوله : وآت ذا القربى حقّه ، إلى قوله : « كفوراً » فيه وعيد وتهديد؟ قلنا : ليس محض كونهم إخوان الشياطين تهديداً وعيداً صريحاً بالنار ، بل قيل قوله كانوا ، يدلّ على أنّ في أواخر شرايع ساير أولى العزم كانت كذلك ، فلا يدلّ صريحاً على أنّ في تلك الشريعة أيضاً كذلك ، والاجتراح الاكتساب .

« ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » قيل : أى مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم الله عنه ، وضمّن لهم أرزاقهم فقال : « نحن نرزقهم وإيّاكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً » أى ذنباً كبيراً ممّا فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع .

والخطأ الأثم ، يقال : خطأ خطأً كأنهم إثمًا ، وقرأ ابن عامر خطأً بالتحريك وهو اسم من أخطأ بضاد الصواب ، وقيل : لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر ، وقرأ ابن كثير خطأً بالمدّ والكسر ، وهو إمّا لغة أو مصدر خاطئاً ، وقرئ خطأً بالفتح والمدّ ، وخطأً بحذف الهمزة مفتوحاً ومكسوراً وعلى التقادير ليس فيه تصريح بكونه ذنباً ، ولا ترتّب العقوبة عليه .

« ولا تقرّوا الزنا » بالقصد وإتيان المقدّمات فضلاً أن تباشروه « إنّه كان فاحشة » فعلة ظاهرة القبح زايده « وساء سبيلاً » أى وبئس طريقاً طريقه ، وهو الغصب على الإبضاع المؤدّى الى قطع الأنساب وهيج الفتن .

« ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق » قيل : أى ، إلاّ باحدى ثلاث خصال : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد إحسان ، وقتل مؤمن معصوم عمداً « ومن قتل مظلوماً » غير

قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً * ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتّي هي أحسن حتّى يبلغ أشده و أوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً * و أوفوا الكيل إذا كتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً * ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان

مستوجب للقتل « فقد جعلنا لوليّه » للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث « سلطاناً » أى تسلطاً بالمؤاخذه بمتبضى القتل « فلا يسرف » أى القاتل « في القتل » بأن يقتل من لا يحق قتله فإنّ العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة أو يقتل غير القاتل « إنّه كان منصوراً » علّة النهى على الاستيناف ، والضمير إمّا للمقتول فإنّه منصور في الدنيا بشبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالنواب ، وإمّا لوليّه فإنّ الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاية بمعونته وإمّا للذى يقتله الولي إسرافاً بإيجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف .

« ولا تقربوا مال اليتيم » فضلاً أن تتصرفوا فيه « إلاّ بالتّي هي أحسن » أى إلاّ بالطريقة التى هي أحسن « حتّى يبلغ أشده » غاية لجواز التصرف الذى دلّ عليه الاستثناء « و أوفوا بالعهد » بما عاهدكم الله من تكليفه أو ما عاهدتموه وغيره « إنّ العهد كان مسؤولاً » مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به ، أو مسؤولاً عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه أو يسئل العهد لم نكثت تبكيئاً لنا ككث كما يقال للمؤدّة بأى ذنب قتلت ، ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً .

« وأوفوا الكيل إذا كتم » ولا تبخسوا فيه « وزنوا بالقسطاس المستقيم » بالميزان السوى وهو رومى عرب ، وقرء حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف « ذلك خير وأحسن تأويلاً » أى وأحسن عاقبة تفعل من آل إذا رجع .

« ولا تقف » ولا تتبع « ما ليس لك به علم » ما لم يتعلق به علمك تقليداً أو رجحاً بالغيب قيل : واحتج به من منع من اتباع الظن ، وجوابه : أن المراد بالعلم هو الاعتقاد

عنه مسؤولاً * ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروهاً * ذلك مما أوحى إليك ربك من

الراجح الاستفادة من سند ، سواء كان قطعياً أو ظاهرياً وإستعماله بهذا المعنى شائع ، وقيل : أنه مخصوص بالعقائد ، وقيل : بالرمي وشهادة الزور « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك » أى كل الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء بما كانت مسئولة عن أحوالها ، شاهدة عن صاحبها ، هذا .

وان « أولاء » وإن غلب على العقلاء لكنّه من حيث أنّه إسم جمع لذا وهو يعمّ القبيلين جاء لغيرهم كقوله : « والعيش بعد أولئك الأيام » .

« كان عنه مسؤولاً » في ثلاثتها ضمير كل ، أى كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه ، يعنى عمّا فعل به صاحبه ، ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر ولا تقف ، أو لصاحب السمع والبصر ، وقيل : مسؤولاً مسند إلى عنه كقولك : غير المغضوب عليهم ، والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدّم ، وقيل : المراد بسؤال الجوارح إمّا سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كما يظهر من أولئك أو جعلت بمنزلة ذوى العقول أو هم ذوى العقول مع الله تعالى « ولا تمش في الأرض مرحاً » أي زامرح وهو الاختيال ، وفي القاموس : المرح شدّة الفرح والنشاط « إنك لن تخرق الأرض » لن تجعل فيها خرقاً بشدّة وطأتك « ولن تبلغ الجبال طولاً » بنظارتك ومدّ عنقك وهو تهكمّ بالمختال وتعليل للمنهى بأن الاختيال حماقة مجرّدة لا تعود بجدوى ليس في التذلل « كل ذلك كان سيئته » قيل : يعنى المنهى عنه فإن المذكورات مأمورات ومناهى ، وقرء الحجازيان والبصريان « سيئته » على أنّها خبر كان و الأسم ضمير كل و « ذلك » إشارة إلى ما نهى عنه خاصّة وعلى هذا قوله « عند ربك مكروهاً » بدل من سيئته أو صفة لها محمولة على المعنى .

« ذلك » إشارة إلى الأحكام المتقدّمة « ممّا أوحى إليك ربك من الحكمة »

الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقي في جهنم ملوماً مدحوراً»^(١) وأنزل في «والليل إذا يغشى» «فأنذرتكم نارا تلتظي* لا يصلحها إلا الأشتى الذي كذب وتولى»^(٢) فهذا

التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به «ولا تجعل مع الله إلهاً آخر» كرّره للتنبية على أن التوحيد مبدء الأمر ومنتهاه ورأس الحكمة وملاكمها «ملوماً» تلوم نفسك «مدحوراً» مطروداً مبعداً من رحمة الله .

وأقول : هذا شروع في ذكر الآيات التي نزلت بمكة مشتملة على الوعيد والتهديد في الشرك ونحوه بخلاف ما ورد في غيره مما مضى فإن كونه خطأ كبيراً أو فاحشة ومسئولاً ومسئولاً عنه ومكروهاً ليس في شيء منها نصريح بالعذاب والنكال الاخرى ولا يحتاج إلى ما يتكلف بأن كان خطأ وكان فاحشة ، ومسئولاً ، وكان عنه مسئولاً ، وكان سيئته عند ربك مكروهاً ، محمولة على أنها كانت في أواخر الأمم السابقة كذلك ، وستصير في هذه الأمة أيضاً بعد ذلك كذلك فانه في غاية البعد وزيادة «كان» في هذه المقامات كثيرة في الذكر الحميد كقوله «كان ربك قديراً» «وكان غفوراً رحيماً» بل الوجه ما ذكرنا فتفطن .

«ناراً تلتظي» أي تلهب «لا يصلحها» أي لا يلزمها مقاسياً شدتها «إلا الأشتى» قيل أي إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لم يلزمها ولكن سمّاها أشتى وصفه بقوله : «الذي كذب وتولى» أي كذب الحق وأعرض عن الطاعة كذا ذكره البضاوي ، وقال في قوله تعالى بعد ذلك : «وسيجنبها الاتقى» أي الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلاً أن يدخلها ويصلحها ، ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ، ولا يلزم ذلك صليها ، فلا يخالف الحصر السابق انتهى .

وقال الطبرسي (ره) : لا يصلحها ، أي لا يدخل تلك النار ولا يلزمها إلا

(١) سورة الاسراء : ٣٠ - ٣٩ .

(٢) سورة الليل : ١٥ - ١٦ .

• • • • •

الأشقى وهو الكافر بالله ، الذي كذب بآيات الله ورسله و تولّى ، أى أعرض عن الايمان ، وسيجنبها ، أى سيجنب النار ويجعل منها على جانب « الاتقى » المبالغ فى التقوى « الذى يؤتى ماله » أى ينفقه فى سبيل الله « يترك كفى » أى يكون عند الله كيثاً لا يطلب بذلك رياءً ولا سمعة .

قال القاضي : قوله : لا يصلّيها الآية ، لا يدلّ على أنّه تعالى لا يدخل النار إلاّ الكافر على ما تقوله الخوارج و بعض المرجئة ، و ذلك لأنّه نكّر النار المذكورة و لم يعرفها ، فالمراد بذلك أنّ فاراً من جملة النيران لا يصلّيها إلاّ من هذه حاله ، و النيران دركات على ما بينه سبحانه فى سورة النساء فى شأن المنافقين ، فمن أين عرف أنّ هذه النار لا يصلّيها قوم آخرون ، و بعد فإنّ الظاهر من الآية يوجب أنّ لا يدخل النار إلاّ من كذب و تولّى و جمع بين الأمرين ، فلا بدّ للقوم من القول بخلافه لأنّهم يوجبون النار لمن يتولّى عن كثير من الواجبات و إن لم يكذب ، و قيل : إنّ « الاتقى » و « الأشقى » المراد بهما التقى و الشقى ، انتهى .

ثمّ اعلم أنّه استدلّ بالآيات الأولى على أنّ و عيد النار فى مكّة إنّما كان على الكفار لأنّه سبحانه حصر الصلّى بالنار على الأشقى الذى كذب الرسول و تولّى عن قبول قوله فى التوحيد أو الأعمّ ، و من كذب الرسول و أعرض عمّا جاء به كافر مشرك ، فظهر أنّه لم يكن يومئذ يستحقّ النار غير المشركين و الكفار من الفساق و إليه أشار عليه السلام بقوله فهذا مشرك و هذا وجه حسن ، و استدلال متين لكن كيف يستقيم على هذا الآيات التالية و هى قوله : « و سيجنبها الاتقى » إلخ ، فإنّها تدلّ على أنّ غير الاتقى لا يجنب النار .

و يمكن الجواب عنه بوجوه :

الاول : أنّ المضارع فى قوله تعالى : لا يصلّيها ، للنحال و استعمل الصلّى فى سببه مجازاً أى الحكم فى الحال قبل الهجرة أنّه لا يدخلها إلاّ المشرك ، و فى قوله

مشرِكُ وأنزل في « إذا السماء انشقت » « وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً * إنَّه كان في أهله مسروراً * إنَّه ظنَّ أن لن يحور بلى » ^(١) فهذا مشرك وأنزل في [سورة] تبارك « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم

سيجنَّبها للاستقبال القريب إخباراً عن التكاليف المدينية بعد دخول الاعمال في الايمان فلا تنافى بينهما و تكون الآيات جمع دالة على الحكمين صريحاً .

الثاني . أن يقال أن الآيات التالية نزلت بالمدينة كما روى في تفسير علي بن ابراهيم أنها نزلت في أبي الدحداح بالمدينة لكن ظاهر الرواية أن الآيات الأولى أيضاً نزلت بالمدينة .

الثالث : أن يقال أن الآيات الاخيرة وإن كانت دالة على عدم تجنُّب الفساق النار لكنَّها دلالة ضعيفة بالمفهوم ، فما يدل صريحاً على دخول النار إنما هو في الكفار ، وما يدل على حكم الفجار فليس فيد وعيد صريح وتهديد عظيم بل يدل دلالة ضعيفة على عدم الحكم بأنَّهم لا يدخلونها لاسيَّما مع الحصر المتقدم ولعل السر في هذا الاجمال عدم اجترائهم على المعاصي .

« وأما من أوتي كتابه وراء ظهره » أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ، قيل : يغلَّ يمناه إلى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره « فسوف يدعو ثبوراً » أي يتمنى الثبور ويقول و ائبورا و هو الهلاك « ويصلى سعيراً » أي ناراً مسعرة « إنَّه كان في أهله » أي في الدنيا « مسروراً » بطراً بالمال و الجاه فارغاً عن ذكر الآخرة « إنَّه ظنَّ أن لن يحور » أي لن يرجع بعد ان يموت « بلى » يرجع « ان ربَّه كان به بصيراً » أي عالماً بأعماله فلا يهمله بل يرجعه و يجازيه « فهذا مشرك » لأنَّه أنكر البعث و إنكاره كفر أو كان لا ينكره حينئذ إلا المشركون « كلما ألقى فيها فوج » أي جماعة من الكفرة « سلَّهم خزنتها » أي خزنة جهنم « ألم يأتكم نذير » يخوفكم هذا العذاب

نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا : ما نزل الله من شيء ^(١) «فهؤلاء مشر كون وأنزل في الواقعة» وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم ^(٢) «فهؤلاء مشر كون وأنزل في الحاقة» وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حساييه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه - إلى قوله -

وهو توبيخ و تبكيت .

« قالوا بلى قد جائنا نذير فكذبنا » أى الرّسل و أقرطنا في التّكذيب حتّى نفينا الانزال رأساً و بالغنا في نسبتهم إلى الضلال حيث قالوا بعد ذلك «إن أنتم إلّا في ضلال كبير» .

فهؤلاء مشر كون لتكذيبهم بكتب الله و رسله «و أما إن كان من المكذبين » بالبعث و الرّسل و آيات الله «الضّالّين » عن الهدى الدّاهيين عن الصواب و الحقّ «فنزل من حميم» أي فنزل لهم الذى أعدّ لهم من الطّعام و الشراب من حميم جهنّم « و تصلية جحيم» أى إدخال نار عظيمة فهؤلاء مشر كون للتصريح بأنّهم كانوا من المكذبين الضّالّين .

« و أما من أوتي كتابه بشماله فيقول » ممّا رأى من قبح العمل و سوء العاقبة «يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حساييه» الهاء فيهما و فيما بعدها للسكت ، تثبت في الوقف و تسقط في الوصل ، و قالوا : استحبّ الوقف لثباتها في الإمام و لذلك قرء بآثباتها في الوصل «يا ليتها» أى يا ليت الموتة التى متّها «كانت القاضية» أى القاطعة لا مرمى فلم أبعث بعدها أو يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت علىّ أو ياليت حياة الدّنيا كانت الموتة و لم أخلق حيّاً « ما أغنى عني ماليه» أى مالى من المال و التبع أو مانفى و المفعول محذوف أو إستفهام إنكار مفعول لا أغنى و بعد ذلك .

« هلك عني سلطانيه » أى ملكى و تسلّطى أو حجّتى التى كنت أحتجّ في

(١) سورة الملك : ٩ .

(٢) سورة الواقعة : ٢٤ .

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١) فهذا مشرك ، وأنزل في طسم «وبرزت الجحيم للغاوين» *
وقيل لهم أينما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون * فكبكبوها
فيهاهم والغاوين * وجنود إبليس أجمعون»^(٢) جنود إبليس ذريته من الشياطين وقوله:

الدنيا «خذوه» يقوله الله لخزنة جهنم «فغلوه ثم الجحيم صلوه» أي ثم لا تصلوه إلا
الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان يتعظم على الناس «ثم في سلسلة ذرعتها سبعون
ذراعاً فأسلكوه» أي فادخلوه فيها بأن تلقوه على جسده «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»
فدل على أن هذا الوعيد بالنار لمن لا يؤمن بالله من الكفار فهذا مشرك .

قوله « في طسم» أي في الشعراء «و برزت الجحيم للغاوين» فيرونها مكشوفة
و يتحسرون على أنهم المسوقون إليها «وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله»
أي أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم «هل ينصرونكم» بدفع العذاب عنكم «أو
ينتصرون» بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال «فكبكبوها فيها
هم والغاوين» أي الآلهة وعبدتهم والكبكية تكرير الكب لتكرير معناه ، كأن
من ألقى في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها «وجنود إبليس»
قيل : متبعوه من عتاة الثقلين أو شياطينه «أجمعون» تأكيد للجنود إن جعل مبتداء
خبره ما بعده ، أو للضمير و ما عطف عليه و كذا الضمير المنفصل و ما يعود إليه في
قوله : «قالوا و هم فيها يختصمون ، تالله إن كنّا لفي ضلال مبين» على أن الله ينطق
الاصنام فتخاصم العبد ، و يؤيده الخطاب في قوله : «إذ نسويكم برب العالمين»
أي في إستحقاق العبادة ، و يجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا و الخطاب
للمبالغة في التحسر والندامة ، و المعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدء ضلالهم معترفون
بأنهما كهم في الضلالة يتحسرون عليها ، كذا ذكره البيضاوي في تفسير تلك
الآيات .

(١) سورة الحاقة : ٢٥ - ٣٢ .

(٢) سورة الشعراء : ٩١ - ١٠٠ .

« وما أضلنا إلا المجرمون » يعني المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتبعوهم على شر كههم وهم قوم محمد ﷺ ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد وتصديق ذلك قول الله عز وجل : « كذبت قبلهم قوم نوح »^(١) « كذب أصحاب الأيكة »^(٢) « كذبت قوم

قوله ﷺ : يعني المشركين ، هو خبر لقوله « قوله » بحذف العائد ، أي يعني به ، والمعنى أن المراد بالمجرمين المشركون الذين اتبعهم هؤلاء القائلون على شر كههم وكلاهما من أمة محمد ﷺ « و تصديق ذلك » أي تصديق أن المراد بهم المشركون من هذه الأمة أن الله تعالى ذكر بعد تلك الآيات أحوال المشركين و عبدة الأوثان من كل أمة ، ولم يدخل فيهم اليهود والنصارى .

فالظاهر أن يكون المراد هنا أيضاً طائفة مخصوصة ، وليس هم اليهود والنصارى لقوله تعالى سابقاً : فكذبوا فيها هم والفاوون ، لدلالته على أن معبودهم في النار فلم يبق إلا أن يكونوا من هذه الأمة أو يكتفى بالوجه الأول ، و يقال : لما كان الظاهر من الآيات اللا حقة إختصاص الكلام بعبدة الأوثان فالظاهر هنا أيضاً أن يكون المراد به من هو من جنسهم ولم يبق من الأمم المشهورة الذين تعرض الله لذكرهم في القرآن إلا هذه الأمة فهم المرادون به وقوله : « كذبت قبلهم قوم نوح » كأنه نقل بالمعنى لأن تلك الآيات في سورة الشعراء وليس فيها « قبلهم » وإنما هو في صر المؤمن ، و يحتمل أن يكون في مصحفهم ﷺ هكذا .

هذا ما خطر بالبال ، و قيل : لعل المراد أن القائلين بهذا القول أعنى قولهم : « وما أضلنا إلا المجرمون » هم مشركوا قوم نبيئنا الذين اتبعوا آبائهم المكذبين للأنبياء بدليل أن الله سبحانه ذكر عقيب ذلك في مقام التفصيل المكذبين للأنبياء طائفة بعد طائفة ، وليس المراد بهم أحداً من اليهود والنصارى الذين صدقوا نبيئهم وإنما

(١) سورة ص : ١٢ .

(٢) سورة الشعراء : ١٧٦ .

لوط»^(١) ليس فيهم اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله ولا النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله سيدخل الله اليهود والنصارى النار ويدخل كل قوم بأعمالهم؛ وقولهم: «وما أضلنا إلا المجرمون» إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عز وجل فيهم حين جمعهم إلى

أشركوا من جهة أخرى وإن كان الفريقان يدخلان النار أيضاً فقوله: سيدخل الله، إستدراك لدفع توهم عدم دخولهما النار وعدم دخول غيرهما ممن أساء العمل، انتهى.

قوله ﷺ: ليس هم اليهود، تأكيد لقوله: ليس فيهم، أو المراد بالأول أنه ليس في القائلين والمجرمين، وبالتالي أنه ليس في هؤلاء المكذبين من الأمم السابقة، وقيل: الأول نفى للتشريك، والثاني نفى للاختصاص، والأوسط أظهر.

و «قولهم» مبتدأ «إذ دعونا إلى سبيلهم» ذلك من كلامه ﷺ ذكره تفسيراً للآية، وقول الله خبر للمبتدأ، ويحتمل أن يكون ذلك مبتدأ ثانياً إشارة إلى قولهم، وقول الله خبره، والمجموع خبر للمبتدأ الأول، وحاصله أن القولين حكايتهما عن قصة واحدة، وقيل: حين ظرف لقول الله مجازاً من قبيل وضع الدال موضوع المدلول.

ثم أعلم أن الآيات في سورة الأعراف هكذا: «حتى إذا جائتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت اختها حتى إذا ادّار كوا فيها جميعاً، قالت أخرجيهم لا وليهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون، وقالت أوليهم لا خريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» فظهر أن قوله: وقالت أوليهم لا خريهم، من سهو النساخ أو الرواة

النار: «قالت اوليهم لآخرهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار» وقوله: «كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّار كوا فيها جميعاً» برىء بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم أن يحجب بعضاً رجاء الفلج فيفلمتوا من عظيم ما نزل بهم

و أن «كلما دخلت» مقدّم على السابق في الترتيب .

قالوا «و» في قوله: وقوله، بمعنى مع، مع أنّه لا يدلّ على الترتيب .
«كلما دخلت أمة» أى فى النار «لعنت أختها» التى ضلّت بالافتداء بها «حتى إذا ادّار كوا فيها» أصل ادّار كوا تدار كوا، فأدغم ومعناه تلاحقوا، أى لحق آخرهم أوّلهم فى النار «قالت أخرجهم» دخولا و منزلة وهم الانباع «لا وليهم» إن الخطاب مع الله لامعهم «ربنا هؤلاء أضلونا» أى سنّونا الضلال فاقنديننا بهم «فآتهم عذاباً ضعفاً من النار» أى مضاعفاً لأنّهم ضلّوا وأضلّوا .

«قال لكلّ ضعف» أمّا القادة فبكفرهم و تضليلهم، و أمّا الأتباع فبكفرهم و تقليدهم «و لكن لا تعلمون» ما لكم أو ما لكلّ فريق «و قالت أوليهم لآخرهم فما كان لكم علينا من فضل» عطفوا كلامهم على جواب الله لآخرهم، و بنوه عليه، أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا، و إنّنا و إيّاكم متساوون فى الضلال و استحقاق العذاب «فذوقوا العذاب» من قول القادة أو من قول الفريقين .

«أن يحجب بعضاً» بضمّ الحاء أى يغلبه بالحجّة، فى القاموس الحجّ الغلبة بالحجّة و فى المصباح حاجته محاجة فحجته بحجّة من باب قتل إذا غلبه فى الحجّة، و قال: فلج فلوجاً من باب قعد ظفر بما طلب، و فلج بحجّته أثبتها، و أفلج الله حجّته أظهرها، و قال: أفلت الطائر و غيره إفلاتاً تخلص، و أفلتته أنا إذا أطلقته و خلصته، يستعمل لازماً و متعدّياً و فلت فلتاً من باب ضرب لغة و فلتته، يستعمل

وليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولات حين نجاة والآيات وأشباههن مما نزل به بمكة ولا يدخل الله النار إلا مشركاً، فلما أذن الله لمحمد ﷺ في الخروج من مكة إلى المدينة بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وأنزل عليه

أيضاً لازماً ومتعدياً ، وانفلت خرج بسرعة .

«وليس بأوان بلوى ولا اختبار» يعنى أنهم يطعمون فى غير مطعم ، فان الاحتجاج و طلب الدليل إنما ينفع فى دار التكليف و الاختبار لا فى دار الجزاء بعد ظهور الأمر ودخول النار .

«و لا حين نجاة» أى ليس هذا الزمان حين نجاة يمكن التخلص من العذاب بالتوبة وغيرها ، و فى بعض النسخ ولات حين نجاة ، مقتبساً من قوله تعالى : « ولات حين مناص » ^(١) قال البيضاوى : أى ليس الحين حين مناص ، و «لا» هى المشبهة بليس زيدت عليها التأكيد كما زيدت على رب و ثم ، وخصت بلزوم الاحيان وحذف أحد المعمولين ، وقيل : هى النافية للجنس ، أى ولا حين مناص لهم ، وقيل : للفعل و النصب باضماره أى ولا أرى حين مناص ، وقيل : أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ، انتهى .

«و الآيات» أى تلك الآيات المتقدمة «ولا يدخل الله» الجملة حالية أى نزلت تلك الآيات فى حال كان الحكم فيها أن لا يدخل الله النار إلا مشركاً .

قوله ﷺ : فلما أذن الله ، قال المحدث الاستر ابادى : تصريح بأن مصداق الاسلام فى مكة أقل من مصداقه فى المدينة ، انتهى .

وعدّ الشهادتين واحدة لتلازمهما وكان الولاية أيضاً داخلة فيهما كما عرفت و عدم التصريح للتقية ، أو أنه ﷺ استدل بهذا الخبر المشهور بين العامة إلزاماً

الحدود وقسمة الفرائض وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها وبها النار لمن عمل بها وأنزل في بيان القاتل «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً»^(١) ولا يلعن الله مؤمناً قال الله عز وجل: «إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً» * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً»^(٢) وكيف يكون في المشيئة وقد ألحق به - حين جزاء جهنم - الغضب واللعنة وقد بين ذلك من

عليهم ، وكأن ذكر العبادات الأربع وتخصيصها لكونها أهم الفرائض أو لأنها صرحت بها في القرآن وأكثرت عليها دون غيرها، أو أنه بنى عليها أو لا ثم زيدت سائر الفرائض .

«و من يقتل مؤمناً متعمداً» استدل به من قال بخلود أصحاب الكبار في النار و أول بوجوه :

الاول أن المراد بالمتعمد من قتله لايمانه كما ورد في أخبار كثيرة فيكون كافراً .

الثاني : أن المراد بالخلود المكث الطويل .

الثالث : أن المراد أن هذا جزاؤه إن جازاه لكننه سبحانه لا يجازيه كما ورد في بعض أخبارنا .

الرابع : أن المراد بالتعمد المستحل .

الخامس : أنه يفعل فعلاً يستحق به دخول النار ، واستدل عليه السلام على عدم ايمانه بأن الله لعنه ولا يلعن مؤمناً لقوله تعالى : «إن الله لعن الكافرين»^(٣) وكأنه عليه السلام استدل بمفهوم الوصف فيدل على حجتيه ، ويمكن أن يكون لخصوص سياق الآية أيضاً مدخل فيه .

« و كيف يكون في المشيئة » اي كيف يكون أمر القاتل في مشيئة الله إن

(١) سورة النساء : ٩٥ .

(٢) و (٣) سورة الاحزاب : ٦٣ - ٦٤ .

شاء عذّبه وإن شاء غفرله ، و الحال أنّه قد ألحق به بعد أن جزاه جهنّم الغضب و اللّعنة المختصّين بالكفّار .

أقول : كونه في المشيئة إمّا مبنيّ على ما ذكره أكثر المتكلّمين من أنّ خلف الوعد قبيح و على الله محال ، و أمّا خلف الوعيد فهو حسن و يجوز على الله تعالى و ليس بكذب ، قال الطبرسي (ره) : و روي عاصم بن أبي النجود عن ابن عبّاس في قوله : « فجزاؤه جهنّم » قال : هي جزاؤه فإن شاء عذّبه و إن شاء غفرله ، و روي عن أبي صالح و بكر بن عبدالله و غيره أنّه كما يقول الانسان لمن يزرجه عن أمر : إن فعلت فجزاؤك القتل و الضرب ، ثمّ إن لم يجازره بذلك لم يكن ذلك منه كذباً ، إنتهى .

أو إشارة إلى قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(١) فيدلّ على أن مادون الشرك ممّا يغفره الله لمن يشاء و القتل داخل في ذلك فيكون داخلاً في المشيئة كما قال في مجمع البيان قال جماعة من التابعين : الآية اللينة وهي « إن الله لا يغفر أن يشرك به » الآية ، نزلت بعد الشديدة ، وهي « و من يقتل مؤمناً متعمداً »^(٢) الآية ، وعلى الأوّل فكأنّ جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ مبنيّ على أنّ آية القتال ليست مشتملة على الوعيد فقط بل على أنّه ممّن غضب الله عليه و لعنه ، فاذا دخل الجنة من غير توبة أو غيرها ممّا يكفره يكون كذباً ، ولم يكن مغضوباً ولا ملعوناً مبعداً من رحمة الله .

و على الثاني مبنيّ على وجهين : « الأوّل » أنّ القتل المذكور داخل في الشرك و الكفر حيث لعنه الله ، و لا يعلن إلاّ الكافر « والثاني » أنّه لا يكون داخلاً فيمن يشاء مغفرته حيث أخبر بأنّه مغضوب و ملعون ، و هذا صريح في عدم المغفرة و الوجوه كأنّها متقاربة .

الملعونون في كتابه وأنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً « إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً »^(١) وذلك أنَّ آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتَّى يخرج لهب النار من فيه حتَّى يعرفه كلُّ أهل الجمع أنَّه آكل مال اليتيم وأنزل في الكيل « ويلٌ للمطففين »^(٢)

« وقد يتن ذلك » المشار إليه آية الاحزاب أى أنَّ الله لعن الكافرين .
« وأنزل » أى في سورة النساء أيضاً « من أكله » بدل اشتمال لمال اليتيم « إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » قال في المجمع : اى ينتفعون بأموال اليتامى و يأخذونها ظلماً بغير حق ، ولم يرد به قصر الحكم على الأكل ، وإنَّما خصَّ لأنَّه معظم منافع المال المقصودة .

« إنما يأكلون في بطونهم ناراً » قيل فيه و جهان :

أحدهما : أنَّ النار تلتهب من أفواههم و أسماعهم و آنفهم يوم القيامة ليعلم أهل الموقف أنَّهم أكلة أموال اليتامى عن السدى ، و روى عن الباقر عليه السلام أنَّه قال : قال رسول الله ﷺ : يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تاجج أفواههم ناراً ف قيل له : يا رسول الله من هؤلاء ؟ فقرأ هذه الآية .

والآخر : أنَّه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث أنَّ من فعل ذلك يصير إلى جهنم فيمتلئ بالنار أجوافهم عقاباً على أكلهم مال اليتيم « و سيصلون سعيراً » أى يلزمون النار المسعرة للاحراق ، وإنَّما ذكر البطون تأكيذاً كما يقال : نظرت بعيني ، و قلت بلساني ، و أخذت بيدي و مشيت برجلي ، انتهى .

« وأنزل في الكيل » فان قيل : سورة المطففين من السور المكِّيَّة والغرض هنا بيان التكاليف المتجددة بالمدينة ؟ قلنا : لا عبرة بما ذكره المفسرون في ذلك مع أنَّهم اختلفوا في هذه السورة قال في مجمع البيان : مكِّيَّة ، و قال المعدل مدنيَّة عن الحسن والضحاك و عكرمة ، وقال ابن عباس وقتادة : إلَّا ثمانى آيات منها ، وهى :

(١) سورة النساء : ١٦٩ .

(٢) سورة المطففين : ٢ .

ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً ، قال الله عز وجل : «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم»^(١) وأنزل في العهد «إن الذين يشتركون به عهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً

«إن الذين أجرموا» إلى آخر السورة ، انتهى .

فالخبر يؤيد قول هؤلاء الجماعة و يؤيده ما رواه في مجمع البيان في سبب نزول صدر السورة عن عكرمة عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل : «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، و روى عن السدي أنه ﷺ قدم المدينة و بها رجل يقال له أبو جهينة و معه صاعان يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر فنزلت الآيات ، و يؤنس أن الطبرسي (ره) ذكرها في ترتيب نزول السور آخر السور المكية .

فيمكن أن يكون نزولها بعد الهجرة و قبل نزول المدينة .

و في القاموس : الويل حلول الشر ، و ويل كلمة عذاب ، و واد في جهنم أو بشر أو باب لها ، انتهى .

و استدلل بحججه بأن الويل لم يطلق في القرآن إلا للكافرين كقوله : «فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون»^(٢) «و ويل للكافرين من عذاب شديد»^(٣) «فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم»^(٤) «ويل لكل همزة»^(٥) «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا»^(٦) «يا ويلنا إنا كنا طاغين»^(٧) .

و في المجمع : ويل للمطففين ، هم الذين ينقصون المكيال و الميزان و يخسون الناس حقوقهم في الكيل و الوزن ، قال الزجاج : و إنما قيل له : مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال و الميزان إلا الشيء اليسير الطفيف .

«و أنزل في العهد» أي في سورة آل عمران و هي مدنية «إن الذين يشتركون

(٢) سورة البقرة : ٧٩ .

(٣) سورة الزخرف : ٦٥ .

(٤) سورة يس : ٥٢ .

(١) سورة مريم : ٣٨ .

(٣) سورة ابراهيم : ٢ .

(٥) سورة همزة : ١ .

(٧) سورة قلم : ٣١ .

بمعهد الله^١ لعل المراد بالعهد هنا على ظاهر سياق الحديث ما عاهدوا الله عليه ، فخالفوه ، وباليمين الأيمان التي يحلفون بها على المستقبل ثم يخالفونها ، ويحتمل شموله لليمين الغموس الكاذبة ، ويحتمل أن يكون العهد شاملاً للبيعة و ما عاهدوا رسول الله ﷺ ثم نقضوه .

وقال الراغب : العهد : حفظ الشيء و مراعاته حالا بعد حال و سمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً قال عز وجل : « و أوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »^(١) أي أوفوا لفظ الامان ، و عهد فلان إلى فلان أي ألقى العهد إليه و أوصاه بحفظه ، قال عز وجل : « و لقد عهدنا إلى آدم »^(٢) وعهد الله تارة يكون بماركزه في عقولنا ، و تارة يكون بأمراًنا به بكتابه و بسنة رسله ، و تارة بما نلتزمه و ليس بلأزم في أصل الشرع كالنذور و ما يجري مجراه ، انتهى .

و أمّا ما ذكره المفسرون في تلك الآية فقال الطبرسي قدس سره : نزلت في جماعة من أحرار اليهود كتموا ما في التوراة من أمر محمد ﷺ و كتبوا بأيديهم غيره ، و حلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة ، و ما كان لهم علي أتباعهم عن عكرمة ، و قيل : نزلت في الأشعث بن قيس و خصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله ﷺ فلما نزلت الآية نكل الأشعث و اعترف بالحق عن ابن جريج ، و قيل : نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته ، عن مجاهد و الشعبي .

ثم قال : « إن الذين يشترون بمعهد الله » أي يستبدلون بأمر الله سبحانه ما يلزمهم الوفاء به ، و قيل : معناه : إن الذين يحصلون بنكث عهد الله و نقضه « و أيمانهم » أي وبالأيمان الكاذبة « ثمناً قليلاً » أي عوضاً نذراً لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ، و يحصل لهم من العقاب ، و قيل : العهد ما أوجبه الله تعالى على الانسان من الطاعة و الكف عن المعصية ، و قيل : هو ما في عقل الانسان من الزجر عن الباطل

اولئك لاخلق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم»^(١) والخلق: النصيب فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة وأنزل بالمدينة «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا

والانقياد للحق» .

« اولئك لاخلق لهم » أي لا نصيب وافرأ لهم في نعيم الآخرة « ولا يكلمهم الله » أي بما يسرهم ، أو لا يكلمهم أصلاً و تكون المحاسبة بكلام الملائكة إستهانة لهم « ولا ينظر إليهم يوم القيامة » أي لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير: أنظر إليّ ، يريد ارحمني « ولا يزكّيهم » أي لا يطهرهم ، وقيل : لا ينزلهم منزلة الأزكياء ، وقيل : لا يطهرهم من دنس الذنوب و الاوزار بالمغفرة بل يعاقبهم ، وقيل : لا يحكم بأنهم أزكياء ولا يسمّيهم بذلك بل يحكم بأنهم كفرة فجرة « ولهم عذاب أليم » مولم موجع ، انتهى .

و قال البيضاوي : أي يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات ، و بأيمانهم و بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمننّ به ولنصرته « ثمناً قليلاً » متاع الدنيا « ولا يكلمهم الله » الظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله : « ولا ينظر إليهم يوم القيامة » فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه و الالتفات نحوه كما أن من اعتدّ بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه « ولا يزكّيهم » ولا ينشئ عليهم ، انتهى .

و ظاهر الخبر أن ناقض العهد و اليمين لا يدخل الجنة أصلاً ، فيمكن حمله على الاستحلال أو على أنه لا يدخل الجنة ابتداءً و حمله على المشركين والكافرين كما هو ظاهر المفسرين ينافي سياق الحديث ، و يمكن حمله على أنهم لا يستحقون دخول الجنة ولا يلزم على الله ذلك لعدم الوعد إلا أن يدخلهم الجنة بفضله .

« وأنزل بالمدينة » أي في سورة النور و هي مدنية : « الزاني لا ينكح » قال في

زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين»^(١) فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية

مجمع البيان : اختلف في تفسيره على وجوه «أحدها» أن يكون المراد بالنكاح العقد و نزلت الآية على سبب و هو أن رجلاً من المسلمين إستأذن النبي ﷺ في أن يتزوج أم مهزول و هي امرأة كانت تسافح و لها راية على بابها تعرف بها ، فنزلت الآية عن ابن عباس وغيره ، والمراد بالآية النهى و ان كان ظاهره الخبر « و ثانيها » أن النكاح ههنا الجماع والمعنى أنهما اشتركا في الزنا فهى مثله ، فيكون نظير قوله : « الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات »^(٢) في أنه خرج مخرج الأغلب « وثالثها » أن هذا الحكم كان في كل زان و زانية ثم نسخ بقوله : « و أنكحوا الأيامى منكم » الآية^(٣) عن سعيد بن المسيّب و جماعة « ورابعها » أن المراد به العقد و ذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها ، روى ذلك عن جماعة من الصحابة .

و إنما قرن الله سبحانه بين الزاني و المشرك تعظيماً لأمر الزنا و تفخيماً لشأنه ، ولا يجوز أن يكون هذه الآية خبراً لأننا نجد الزاني يتزوج غير زانية ، و لكن المراد هنا الحكم في كل زان أو النهى ، سواء كان المراد بالنكاح الوطى أو العقد و حقيقة النكاح في اللغة الوطى .

« وحرّم ذلك على المؤمنين » أي حرّم نكاح الزانيات أو حرّم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن ولا يطأهن إلا زان أو مشرك ، انتهى .

ثم المشهور بين الأصحاب كراهة نكاح المشهورات بالزنا ، و ذهب الشيخان و جماعة إلى اشتراط التوبة في الحل سواء زنا بهما من أراد نكاحها أو غيره للآية المتقدمة و بعض الاخبار ، و أجيب عن الآية تارة بأن المراد بالنكاح الوطى ، و اخرى بأنها منسوخة بقوله تعالى : « و أنكحوا الأيامى منكم »^(٤) و بقوله : « فانكحوا ما طاب

(١) سورة النور : ٤ .

(٢) سورة النور : ٢٤ .

(٣) و (٤) سورة النور : ٣٢ .

لكم»^(١) أو قوله : «و أحل لكم ما وراء ذلكم»^(٢) و في الأوّل أنّه خلاف الظاهر، فأنّه إن أريد الوطى لم يظهر للكلام فائدة ظاهرة ، و في الثاني أنّه خلاف الأصل مع أنّ الظاهر من طاب : حلّ ، ومن وراء ذلكم ، سائر أصناف النساء ، ولا يتنافيه عروض الحرمة لعروض زنا و نحوه .

و الظاهر أنّه عليه السلام استدلّ بالآية على أنّ الله تعالى أخرج الزناة والزواني في هذه الآية من عداد المؤمنين حيث قابل بين المؤمنين و بينهما ، إذ الظاهر من سياق الآية أنّ المراد أنّه لا يليق نكاح الزاني إلّا بزانية أو مشرّكة ، ولا نكاح الزانية إلّا بزنان أو مشرّك ، وأمّا المؤمن فأنّه لا يليق به هذا الفعل و هو محرّم عليه إمّا بمعناه أو بمعنى الكراهة الشديدة ، أو بمعنى المحرّومية كما في قوله سبحانه : «وحرّمنا عليه المراضع»^(٣) فظهر أنّه لم يسمّها بالإيمان لما عرفت من المقابلة مع أنّه جمع بينهما و بين المشرك ففيه أيضاً إيماء بعدم إيمانها .

و هذا وجه حسن خطر بالبال للآية و الخبر معاً فإنّ حمل الآية على وجه آخر لا يستقيم ظاهراً فأنّه إذا حمل النكاح على الوطى فالكلام إمّا في قوّة النهي أو الخبر ، فعلى الأوّل المعنى النهي عن أن يوطأ الزاني سوى الزانية و المشرّكة و جواز وطيه لهما ، و فيه ما لا يخفى و كذا العكس ، و على الثاني يكون كذباً إن أراد بالوطى غير الزنا أو الأعم ، و إن أريد به الزنا كان الكلام خالياً عن الفائدة . و إذا حمل على العقد فلو كان في قوّة النهي كان مفادها النهي عن أن ينكح الزاني سوى الزانية و المشرّكة و تجويز نكاحه إياهما و تجويز نكاح الزانية بالزاني و المشرك و لم يقل به أحد ، ولو كان خبراً لزم الكذب ، فلا بدّ من حمل الآية على ما ذكرنا فيتضح استدلاله عليه السلام غاية الوضوح .

و يظهر منه عدم تمام الاستدلال بها على تحريم نكاحهما ، نعم قوله سبحانه :

(٢) سورة النساء : ٢٤ .

(١) سورة النساء : ٣ .

(٣) سورة القصص : ١٢ .

مؤمنة وقال رسول الله ﷺ : - ليس يمتري فيه أهل العلم أنه قال - : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، فأنه إذا فعل ذلك

«وحرّم ذلك» فيه دلالة على التحريم إن لم نحمله على معني الحرمان ، وحمله على الكراهة الشديدة مع وجود المعارض غير بعيد مع أنه يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الزنا ، ويكون الجملة حالية أو تعليلية .

قوله : ليس يمتري ، الامتراء الشك ، والجملة إلى قوله : أنه قال ، معترضة ، و ضمير «فيه» راجع إلى الرسول ، وقوله : أنه قال ، بدل اشتمال للضمير ، وقوله : لا يزني مفعول قال أولاً و الاعتراض لبيان أن الخبر معلوم متواتر بين الفريقين ، و كان المراد بقوله : حين يزني وحين يسرق ، حين يصير عليهما ولم يتب ، ولا فساد في مفارقة الايمان بالمعنى الذى ذكرناه ، حيث اشتمل على فعل الفرائض وترك الكبائر عنه ، وبها يستحق العذاب في الجملة لا الخلود في النار ، ومن لم يقل بذلك أو له بتأويلات بعيدة .

قال في النهاية : في الحديث : لا يزني الزاني و هو مؤمن ، قيل : معناه النهى و إن كان في صورة الخبر ، و الأصل حذف الياء من يزني ، أى لا يزن المؤمن و لا يسرق و لا يشرب ، فإن هذه الافعال لا يليق بالمؤمن ، وقيل : هو وعيد يقصده الرادع كقوله ﷺ : لا إيمان لمن لا أمانة له ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقيل : معناه لا يزني وهو كامل الايمان وقيل : ممنهوان الهوى يغطي الايمان فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه ولا ينظر إلى إيمانه الناهي له عن ارتكاب الفاحشة ، فكأن الايمان في تلك الحالة قد انعدم .

و قال ابن عباس : الايمان نزه فاذا أذنب العبد فارقه ، و منه الحديث الآخر : إذا زنى الرجل خرج منه الايمان فوق رأسه كالظلة فاذا ألقه رجع إليه الايمان ، و كل هذا محمول على المجاز ونفي الكمال دون الحقيقة في رفع الايمان وابطاله ، انتهى . وقيل : أنه ليس بمؤمن إذا كان مستحلاً ، وقيل : ليس بمؤمن من العقاب و قيل : المقصود نفي المدح ، أي لا يقال له مؤمن بل يقال : زان أو سارق ، وقيل : أنه

خلع عنه الايمان كخلع القميص ، وانزل بالمدينة «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفورٌ رحيم» ^(١) فبرأه الله

لنفي البصيرة ، أى ليس هو ذا بصيرة ، وقال ابن عباس : أى ليس ذا نور وقيل : أى ليس بمستحضر الايمان ، وقيل : أى ليس هو بما قل لأن المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح بخلاف المعقول ، وقيل : المقصود نفي الحياء ، والحياء شعبة من الايمان أى ليس بمستحي من الله سبحانه .

ولا يخفى ما فى أكثر هذه الوجوه من البعد والركاكة .

«وانزل بالمدينة» أى فى سورة النور : «الذين يرمون المحصنات» أى يقذفون العفاف من النساء بالزنا «ثم لم يأتوا بأربعة شهداء» أى بأربعة عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ما رموهن به من الزنا «فاجلدوهم ثمانين جلدة» خبر الذين بتأويل «ولا تقبلوا لهم شهادة» خبر ثان ، و تنكير شهادة للعموم ، أى فى امر من الامور كان أبداً تأكيد للعموم أى مالم يتب «وأولئك هم الفاسقون» أى هم فى أعلى مراتب الفسق حتى كأنه لا فاسق غيرهم فقد عبر عنهم باسم الاشارة وعرف الخبر وأتى بضمير الفصل مبالغة فى إدعاء حصر الفسق فيهم وقصره عليهم .

قيل : و يمكن أن يكون حالاً أو إعتراضاً يجرى مجرى التعليل لعدم قبول الشهادة «إلا الذين تابوا» عن القذف و ندموا و رجعوا بالتدارك «من بعد ذلك» أى من بعد إقامة الحد ، وقيل : من بعد الرمي «وأصلحوا» سرائرهم وأعمالهم فاستقاموا على مقتضى التوبة ، قالوا ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف والعزم على عدم العود إلى ذلك ، وعلى ترك جميع المناهى على قول .

و فى المجمع : ومن شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فان لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته «فإن الله غفور رحيم» علة للاستثناء .

قوله ^(٢) : « فبرأه الله » الظاهر أنه ^(٣) استدلل على عدم وصفهم بالايमान

ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمى بالآيمان ، قال الله عز وجل : «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستودون»^(١) وجعله الله منافقاً ، قال الله عز وجل : « إن المنافقين هم الفاسقون »^(٢) وجعله عز وجل من أولياء إبليس ، قال : « إلا إبليس كان من الجن

بوصفهم بالفسق لأن في عرف القرآن لازم للكفر ولم يطلق فيه الفاسق إلا على الكافر كقوله تعالى : «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً» فقابل بين الايمان والفسق ، فدل على أن الفاسق ليس بمؤمن ، وقال : «إن المنافقين هم الفاسقون» فخص الفاسق في المنافق فجعله الله منافقاً « وجعله من أولياء إبليس » حيث أطلق الفسق عليهما ، و أيضاً إذا نظرت في آيات الكريمة وسبرتها لم تر الفاسق أطلق فيها إلا على الكافر . قال الراغب : فسق فلان : خرج من حد الشرع ، وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكافر ، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثر لكن يعرف فيما كان كثيراً ، وأكثر ما يقال لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعده ، وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلائنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضاء الفطرة ، قال عز وجل : « ففسق عن أمر ربه »^(٣) « ففسقوا فيها فحق عليها القول »^(٤) « وأكثرهم الفاسقون »^(٥) « وأولئك هم الفاسقون »^(٦) « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستودون »^(٧) وقال : « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »^(٨) وقال تعالى : « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار »^(٩) « والذين كذبوا بآياتنا يمسئهم العذاب بما كانوا يفسقون »^(١٠) « والله لا يهدي القوم الفاسقين »^(١١) « إن المنافقين هم الفاسقون »^(١٢) « وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون »^(١٣) انتهى .

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| (١) سورة السجدة : ١٨ . | (٢) سورة التوبة : ٦٧ . |
| (٣) سورة الكهف : ٥٠ . | (٤) سورة الاسراء : ١٦ . |
| (٥) سورة آل عمران : ١١٠ . | (٦) سورة النور : ٣ . |
| (٧) سورة السجدة : ١٨ . | (٨) سورة النور : ٥٥ . |
| (٩) سورة السجدة : ٢٠ . | (١٠) سورة الانعام : ٤٩ . |
| (١١) سورة الصف : ٥ . | (١٢) سورة التوبة : ٦٧ . |
| (١٣) سورة يونس : ٣٣ . | |

ففسق عن أمر ربّه»^(١) وجعله ملعوناً فقال : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »^(٢) وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّمّا تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب ، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل : « فأما

« وجعله » أى الرامى « المحصنات » أى العفاف « الغافلات » ممّا قذفن به « المؤمنات » بالله ورسوله وما جاء به « لعنوا في الدنيا والآخرة » بما طعنوا فيهن « ولهم عذاب عظيم » لعظم ذنوبهم .

« يوم تشهد عليهم » ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب « ألسنتهم وأيديهم » يعترفون بها بانطاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها . قوله ﷺ : وليست تشهد ، يدل على أن شهادة الجوارح إنّما هى للكفار كما ذكره جماعة من المفسرين ، وذكره الشيخ البهائي (ره) في الأربعين .

قوله ﷺ : فيعطى كتابه بيمينه ، أى فيقرءه ، ومن تنطق جوارحه يختم على فيه ، لقوله تعالى : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم »^(٣) أولاًن سياق آيات شهادة الجوارح تدل على غاية الغضب ، والآيات النازلة في المؤمنين مشتملة على نهاية اللطف كقوله سبحانه : « يوم ندعوا كل أناس بأمامهم فممن أوتى »^(٤) أى من المدعوين « كتابه بيمينه » أي كتاب عمله « فأولئك يقرؤن كتابهم » إبتهاجاً بما يرون فيه « ولا يظلمون فتيلاً » أى ولا ينقصون من أجورهم أدنى شىء ، والفتيل : المقتول ، وسمى ما يكون في شق النواة فتيلالكونه على هيئته ، وقيل : هو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ و يضرب به المثل في الشىء الحقير .

ثم أعلم ان هذا المضمون وقع في مواضع من القرآن المجيد أولها في بني إسرائيل : « فمن أوتى كتابه بيمينه » إلى آخرها في الحديث .

(٢) سورة النور : ٢٣ - ٢٤ .

(١) سورة الكهف : ٤٨ .

(٤) سورة الاسراء : ٧١ .

(٣) سورة يس : ٤٥ .

من أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون قتيلاً»^(١) وسورة النور أنزلت بعد سورة النساء و تصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة النساء «واللّٰئِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَأَنْصَبُوا بِأَنفُسِكُنَّ»

وثانيها في الحاقّة «فأمّا من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه» و ثالثها في الانشقاق : « فأمّا من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً » . وما في الحديث لا يوافق شيئاً منها وإن كان بالأوّل أنسب ، فكأنّه من تصحيف النسخ أو كان في قرائتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هكذا ، أو نقل بالمعنى جمعاً بين الآيات .

« وسورة النور أنزلت » كأنّ هذا جواب عن اعتراض مقدّر ، و هو أنّه لمّا أنزل الله في سورة النساء مرتّين : إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وهي تدلّ على عدم ترتّب العذاب على غير الشرك ، فيمكن كونها ناسخة للآيات الدالّة على عقوبات أصحاب الكبائر وعدم كونهم من المؤمنين ، فأجاب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعد التنزيل على عدم المخالفة بين هذه الآية و تلك الآيات لأنّ تجويز المغفرة لمن شاء الله لا ينافي استحقاقهم للعذاب والعقاب وخروجهم عن الايمان بأحد معانيه بأنّ أكثر ما أوردنا من الآيات واستدللنا بها إنّما هي في سورة النور و هي نزلت بعد سورة النساء فكيف تكون آية النساء ناسخة لها ، فلو احتاج التوفيق إلى القول بالنسخ لكان الأمر بعكس ما قلتم ، مع أنّه لا فائل بالفصل .

ثمّ استدلّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على ذلك بأنّ الله تعالى قال في سورة النساء : «أو يجعل الله لهنّ سبيلاً» والسبيل هو الذي ذكره من الحدّ في سورة النور ، ويحتمل أن يكون الغرض إفادة دليل آخر على ما سبق من نزول الأحكام مدرّجاً ونسخ الأشدّ للأضعف لكن الأوّل أظهر .

«واللّٰئِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ» ذهب الأكثر إلى أنّ المراد بالفاحشة الزنا ، وقيل : هي المساحقة « فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم » الخطاب للائمة

في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً^(١) و السبيل الذي قال الله عز وجل : « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات يبينات لعلكم تذكرون » الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين^(٢).

و الحكماء يطلب أربعة رجال من المسلمين شهوداً عليهن و قيل : الخطاب للأزواج « فان شهدوا » أي الأربعة « فامسكوهن » أي فاحبسوهن « في البيوت حتى يتوفيهن » أي يدركهن « الموت » قيل : أريد به صياتهن عن مثل فعلهن والأكثر على أنه على وجه الحد على الزنا قالوا : كان في بدو الاسلام إن فجرت المرأة وقام عليها أربعة شهود حبست في البيت أبداً حتى تموت ، ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين .

« أو يجعل الله لهن سبيلاً » أي ببيان الحكم كما مر و قيل : بالتوبة أو بالنكاح المغنى عن السفاح ، وقالوا : لما نزل قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا » قال النبي ﷺ : خذوا عني قد جعل الله سبيلاً .

« سورة » أي هذه سورة أوفيما أوحينا إليك سورة « أنزلناها » صفة « وفرضناها » أي فرضنا ما فيها من الأحكام « لعلكم تذكرون » فتتقون الحرام « الزانية والزاني » قيل : أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ، ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر « فاجلدوا » إلى قوله « رأفة » أي رحمة « في دين الله » أي في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه « إن كنتم تؤمنون » فإن الإيمان يقتضي الجدة في طاعة الله . ثم اعلم أن عدم ذكر الولاية في هذا الخبر مع أنها الغرض الأصلي منه لنوع من التقية لأنه عليه السلام ذكره إلزاماً عليهم حيث أنكروا كون الولاية جزءاً من الإيمان .

(١) سورة النساء : ١٤ .

(٢) سورة النور : ١-٢ .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن فضيل عن أبي الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأبي جعفر عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ قال : وسمعته يقول : كان علي عليه السلام يقول : لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام . قال : وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إن عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ فهو مؤمن ، قال : فلم يضربون الحدود ولم تقطع أيديهم ؟ وما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن ، لأنّ الملائكة خدام المؤمنين وأنّ جوار الله للمؤمنين وأنّ الجنة للمؤمنين وأنّ الحور العين للمؤمنين ، ثم قال : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً ؟ .

الحديث الثاني : مجهول .

والحاصل أنّ الايمان الذي هو سبب لرفع الدرجات والتخلص من العقوبات في الدنيا والآخرة ليس محض العقائد وإلا لم يفرض الله الفرائض ولم يتوعد على المعاصي ، وأيضاً ما ورد في الآيات والاعخبار من كرامة المؤمنين ودرجاتهم ومنازلهم ينافي إجراء الحدود عليهم وإذلالهم وإهانتهم ، فلا بد من خروجهم عن الايمان حين استجقاقهم تلك العقوبات .

قوله : فما بال من جحد ؟ لعل المعنى أنّه لو كان الايمان محض التكلم بالشهادتين أو الاعتقاد بهما كما تزعمون لم يكن جحد الفرائض موجباً للكفر مع أنّكم توافقوننا في ذلك لو ردد الاخبار فيه ، فلم لا تقولون بعدم ايمان تاركى الفرائض ومرتكبى الكبائر أيضاً مع ورود الاخبار الكثيرة فيها أيضاً ، وقيل : المراد بجحد الفرائض تركها عمداً من غير عذر فانه يؤذن بالاستخفاف والجحد .

قال الشهيد الثاني رفع الله درجته في بيان حقيقة الكفر : عرفه جماعة بأنه عدم الايمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً سواء كان ذلك عدم بضد أو لا بضد فبالضد كان يعتقد عدم الاصول التي بمعرفتها يتحقق الايمان أو عدم شيء منها وبغير الضد

كالخالي من الاعتقادين أى اعتقاد مابه يتحقق الإيمان واعتقاد عدمه، وذلك كالشاك أو الخالي بالكليّة كالذى لم يقرع سمعه شيء من الأمور التى يتحقق الإيمان بها . ويمكن إدخال الشاك فى القسم الأول إذ الضدّ يخطر بباله وإلا لما صار شاكاً، واعتراض عليه بأن الكفر قد يتحقق مع التصديق بالاصول المعتمدة فى الإيمان كما إذا ألقى إنسان المصحف فى القاذورات عامداً أو وطئه كذلك أو ترك الاقرار باللسان جحداً وحينئذ فينتقض حدّ الإيمان منعاً و حدّ الكفر جمعاً .

واجب تارة بأننا لانسلم بقاء التصديق لفاعل ذلك، ولو سلمنا يجوز أن يكون الشارع جعل وقوع شيء من ذلك علامة وإمارة على تكذيب فاعل ذلك وعدم تصديقه فيحكم بكفره عند صدور ذلك منه، وهذا كما جعل الاقرار باللسان علامة على الحكم بالإيمان مع أنه قد يكون كافراً فى نفس الأمر .

وتارة بأنه يجوز أن يكون الشارع حكم بكفره ظاهراً عند صدور شيء من ذلك حسماً مادة جرأة المكلفين على إنتهاك حرمانه وتعدى حدوده ، وإن كان التصديق فى نفس الأمر حاصلًا و غاية ما يلزم من ذلك جواز الحكم بكون شخص واحد مؤمناً وكافراً وهذا لامحذور فيه لأننا نحكم بكفره ظاهراً وإمكان إيمانه باطناً فال موضوع مختلف فلم يتحقق اجتماع المتقابلين ليكون محالاً، ونظير ذلك ما ذكرناه من دلالة الاقرار على الإيمان فيحكم به مع جواز كونه كافراً فى نفس الأمر .

وأقول أيضاً: أن النقص المذكور لا يرد على جامعية تعريف الكفر وذلك لأنه قد بين أن عدم المأخوذ فيه أعم من أن يكون بالصد أو غيره، وما ذكر من موارد النقص داخل فى غير الضد كما لا يخفى، وحينئذ فجامعيته سالمة لصدقه على الموارد المذكورة والناقض والمجيب غفلا عن ذلك .

ويمكن الجواب عن مانعية تعريف الإيمان أيضاً بأن نقول من عرف الإيمان بالتصديق المذكور جعل عدم الايمان بشيء من موارد النقص شرطاً فى اعتبار ذلك

٣ - علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن سلام الجعفي قال :
سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ؟ فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى .

التصديق شرعاً و تحقق حقيقة الايمان .

والحاصل أننا لما وجدنا الشارع يحكم بايمان المصدق وحكم بكفر من ارتكب شيئاً من الامور المذكورة مطلقاً علمنا أن ذلك التصديق إنما يعتبر في نظر الشارع إذا كان مجرد دأعن ارتكاب شيء من موارد النقص وأمثالها الموجبة للكفر ، فكان عدم الامور المذكورة شرطاً في حصول الايمان ، ولا ريب أن المشرط عدم عدم شرطه وشرط المعرف التي يتوقف عليها وجود ماهيته ملحوظة في التعريف وإن لم يصرح بهافيه للعلم باعتبارها عقلاً لما تقرر في بداهة العقول أنه بدون العلة لا يوجب المعلول والشرط من أجزاء العلة كما صرحوا به في بحثها ، والكل لا يوجد بدون جزئه .
وهذا الجواب والذنان قبله لم نجد لها غيرنا بل هي من هبات الواهب تعالى وتقدس ولم نعدم لذلك مثلاً وإن لم نكن له أهلاً ، انتهى كلامه قدس سره .

و أقول : هذه التكاليف إنما يحتاج إليها إذا جعل الايمان نفس العقائد ولم يدخل فيها الاعمال ومع القول بدخول الأعمال لاحاجة إليها ، مع أن هذا التحقيق يهدم ما أسسه سابقاً إذ يجري هذه الوجوه في سائر الأعمال والتروك التي نفى كونها داخلة في الايمان وما ذكره عليه السلام في آخر الحديث من الالتزام على المخالفين يؤمى إلى هذا التحقيق فتأمل .

الحديث الثالث : مجهول .

وبدل على أحد المعاني التي ذكرنا للايمان ، وحمله القوم على الايمان الكامل ، وقال بعض المحققين ممن كان في عصرنا قدس سره : هذا مجمل القول في الايمان و يفصله سائر الاخبار بعض التفصيل .

وأمّا الضابط الكلي الذي يحيط بحدوده ومراتبه ويعرفه حق التعريف فهو ان الايمان الكامل الخالص المنتهى تمامه هو التسليم لله تعالى والتصديق بما مرآت العقول - ١٣ -

جاء به النبي ﷺ لساناً و قلباً على بصيرة مع امتثال جميع الأوامر و النواهي كما هي، وذلك إنما يمكن تحقّقه بعد بلوغ الدعوة النبويّة إليه في جميع الامور أمّا من لم تصل إليه الدّعوة في جميع الامور أو في بعضها لعدم سماعه أو عدم فهمه فهو ضالّ أو مستضعف ليس بكافر ولا مؤمن، وهو أهون الناس عذاباً بل أكثر هؤلاء لا يرون عذاباً و إليهم الإشارة بقوله سبحانه: «إِلَّا الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» ^(١) و من وصلت إليه الدعوة فلم يسلم ولم يصدق ولو ببعضها إمّا لاستكبار و علوّ أو لتقليد للاسلاف و تعصّب لهم أو غير ذلك فهو كافر بحسبه أي بقدر عدم تسليمه و ترك تصديقه كفر جحود و عذابه عظيم على حسب جحوده، و إليهم الإشارة بقوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ^(٢).

و من وصلت إليه الدعوة فصدّقها بلسانه و ظاهره لعنّته مالد أو دمه أو غير ذلك من الأغراض وأنكرها بقلبه و باطنه لعدم إعتقاده بها فهو كافر كفر نفاق وهو أشدّهم عذاباً و عذابه أليم بقدر نفاقه.

و إليهم الإشارة بقوله سبحانه: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» إلى قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ^(٣).

و من وصلت إليه الدعوة فاعتقدها بقلبه و باطنه لظهور حقيقتها لديه و جردها أو بعضها بلسانه ولم يعترف بها حسداً و بغياً و عتوّاً و علوّاً أو تقليداً و تعصّباً أو غير

(١) سورة النساء : ٩٨ .

(٢) و (٣) سورة البقرة : ٧ - ١١ .

ذلك فهو كافر كفر تهوّد ، و عذابه قريب من عذاب المنافق .

وإليهم الإشارة بقوله عزّ وجل : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»^(١) وقوله : « فلما جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين »^(٢) وقوله : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »^(٣) وقوله : « ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً »^(٤) وقوله : « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » إلى قوله : « أشدّ العذاب »^(٥) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدّ عنها بلسانه وقلبه ولكن لا يكون على بصيرة من دينه إمّا لسوء فهمه مع استبداده بالرأى وعدم تابعيته للامام أو نائبه المقتضى أثره حقاً وإمّا لتقليد ونعصب لآباء والاسلاف المستبدين بآرائهم مع سوء أفهامهم أو غير ذلك فهو كافر كفر ضلالة وعذابه على قدر ضلالته وقدر ما يضلّ فيه من أمر الدين .

وإليهم الإشارة بقوله عزّ وجل : « قل يا أهل الكتاب لاتقلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق »^(٦) حيث قالوا عذير ابن الله أو المسيح ابن الله ، وبقوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا لاتجرّوا طيِّبات ما أحلّ الله لكم ولا تمعدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين »^(٧) وبقول نبينا ﷺ : اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدّ عنها بلسانه وقلبه على بصيرة واتباع للامام أو نائبه الحق إلاّ أنّه لم يمتثل جميع الأوامر والنواهي بل أتى ببعض دون بعض بعد أن

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| (١) سورة البقرة : ١٤٦ . | (٢) سورة البقرة : ٨٩ . |
| (٣) سورة البقرة : ١٥٩ . | (٤) سورة النساء : ١٥٠ . |
| (٥) سورة البقرة : ٨٥ . | (٦) سورة النساء : ١٧ . |
| (٧) سورة المائدة : ٨٧ . | |

اعترف بقبیح ما یفعله ولكن لغلبة نفسه وهواه علیه فهو فاسق عاص و الفسق لا ینافی أصل الايمان، ولكن ینافی کماله، وقد یطلق علیه الکفر وعدم الايمان أيضاً إذا ترک کبار الفرائض أو أتى بکبار المعاصی كما فی قوله عز وجل : « ولله علی الناس حرج » البيت من استطاع إلیه سبیلاً ، ومن کفر فإن الله غنی عن العاطین ^(١) ، وقول النبی ﷺ : لا یزنی الزانی حین یزنی وهو مؤمن ، وذلك لأن ايمان مثل هذا لا یدفع عنه أصل العذاب ودخول النار، وإن دفع عنه الخلود فیها فحیث لا یفیده فی جمیع الأحوال فکأنه مفقود .

والتحقیق فیہ أن المتروک إن کان أحد الأصول الخمسة التي بنی الاسلام علیها أو المأتى به إحدى الكبائر من المنهيات خاصة . فصاحبه خارج عن أصل الايمان أيضاً ما لم یتب أولم یحدث نفسه بتوبة لعدم اجتماع ذلك مع التصدیق القلبی فهو کافر کفر استخفاف، وعلیه یحمل ما روى من دخول العمل فی أصل الايمان ، روى ابن أبی شعبة عن الصادق عليه السلام فی حدیث طویل أنه قال : لا یخرج المؤمن من صفة الايمان إلا بترك ما استحق أن یشک به مؤمناً ، وإنما استوجب واستحق اسم الايمان ومعناه بأداء کبار الفرائض موصولة ، وترك کبار المعاصی واجتنابها وإن ترک صفار الطاعة وارتکب صفار المعاصی فلیس بخارج من الايمان ولا تارك له ما لم یشک شیئاً من کبار الطاعة وارتکب شیء من کبار المعاصی فماله یفعل ذلك فهو مؤمن بقول الله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنکم سیئاتکم وندخلکم مدخلا کریماً » ^(٢) یعنی مفررة مادون الكبائر فان هو ارتکب کبيرة من كبائر المعاصی کان مأخوذاً بجمیع المعاصی صفارها و کبارها معاقباً علیها معذباً بها .

إلی هنا کلام الصادق عليه السلام

إذا عرفت هذا فاعلم ان "کل" من جهل أمراً من أمور دینه بالجهل البسيط فقد

(١) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٢) سورة النساء : ٣١ .

نقص ايمانه بقدر ذلك الجهل ، و كل من أنكر حقاً واجب التصديق لاستكبار أو هوى أو تقليد أو تعصب فله عرق من كفر الجحود ، و كل من أظهر بلسانه مالم يعتقد بباطنه وقلبه لغير غرض ديني كالتيقن في محلها ونحو ذلك أو عمل عملاً آخر وبتألفرض دنيوي فله عرق من النفاق ، و كل من كتم حقاً بعد عرفانه أو أنكر مالم يوافق هواه وقبل ما يوافق فله عرق من التهود ، و كل من استبد برأيه ولم يتبع إمام زمانه أو نائبه الحق أو من هو أعلم منه في أمر من الأمور الدينيه فله عرق من الضلاله ، و كل من أتى حراماً أو شبهة أو تواني في طاعة مصرّاً على ذلك فله عرق من الفسوق ، فان كان ذلك ترك كبير فريضة أو إتيان كبير معصية فله عرق من كفر الاستخفاف ، ومن أسلم وجهه لله في جميع الامور من غير غرض وهوى واتبع امام زمانه أو نائبه الحق آتياً بجميع أوامر الله ونواهيه من غير تواني ولا مدهانه ، فاذا أذنب ذنباً استغفر من قريب وتاب أو زلت قدمه استقام وأناب فهو المؤمن الكامل الممتحن ودينه هو الدين الخالص وهو الشيعي حقاً و الخالص صدقاً وأولئك أصحاب أمير المؤمنين ، بل هو من أهل البيت عليهم السلام إذا كان عاملاً بأمرهم محتملاً لسرهم كما قالوا: سلمان منّا أهل البيت .

﴿باب﴾

﴿ في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها ﴾

١ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال :
حدّثنا أبو عمر و الزبير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أيّها العالم أخبرني
أيّ الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل الله شيئاً إلّا به ، قلت : وما هو ؟ قال :
الايمان بالله الذي لا إله إلّا هو ، أعلى الأعمال درجة و أشرفها منزلة و أسناها حظاً ،

باب في ان الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها

يقال : بثّ الخبر و أثبتّه أي نشره .

الحديث الاول : ضعيف على المشهور لكنّه مؤيّد باخبار آخر ، وقد روى
النعمانى في تفسيره مثله عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومضامينه دالة على صحته .
قوله عليه السلام : الايمان بالله ، هو مبتدئ وأعلى خبره ، و يحتمل أن يكون المراد
به جميع العقائد الايمانيّة اكتفى بذكر أشرفها و أعظمها للزومها لسائرهما مع أن
كون التوحيد أشرف لا ينافي وجوب البقيّة واشتراطه بها ، و السنا الضوء و بالمد
الرفعة ، والحظّ النصيب ، والمراد بالقول التصديق القلبي أو هو مع الاقرار اللساني
بالعقائد الايمانيّة ، وقيل : هو الذى يعبر عنه بالكلام النفسى ، و قد يستدل بقوله :
عمل كلّه ، على أن التصديق المكلف به ليس محض العلم إن هو من قبيل الانفعال ،
بل هو فعل قلبي .

قال شارح المقاصد : و المذهب أنّه غير العلم و المعرفة لأنّ من الكفّار من
كان يعرف الحقّ و لا يصدّق به عناداً و استكباراً ، قال الله تعالى : « الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»^(١) وقال : «وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون»^(٢) وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون : «لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلّا رب السموات والارض»^(٣) فاحتيج إلى الفرق بين العلم بما جاء به النبي ﷺ وهو معرفته وبين التصديق ليصح كون الاول حاصلًا للمعاندین دون الثاني ، وكون الثاني ايماناً دون الأول ، فاقصر بعضهم على أن ضد التصديق هو الانكار والتكذيب ، و ضد المعرفة النكارة والجهالة ، وإليه أشار الغزالي حيث فسّر التصديق بالتسليم ، فأنه لا يكون مع الانكار والاستكبار بخلاف العلم والمعرفة و فصل بعضهم زيادة التفصيل ، وقال : التصديق عبارة عن ربط القلب بما علم من أخبار المخبر وهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدق ، ولهذا يؤمر ويثاب عليه بل يجعل رأس العبادات بخلاف المعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة أنه جدار أو حجر ، و حققه بعض المناظرين زيادة تحقيق فقال : المعتبر في الايمان هو التصديق الاختياري ، ومعناه نسبة التصديق إلى المتكلم اختياراً وبهذا القيد يمتاز عن التصديق المنطقي المقابل للتصور ، فأنه قد يخلو عن الاختيار كما اذا ادعى النبي النبوة وأظهر المعجزة فوقع في القلب صدقه ضرورة ، من غير أن ينسب إليه اختياراً فأنه لا يقال في اللغة أنه صدقه فلا يكون ايماناً شرعياً ، كيف والتصديق مأمور به فيكون فعلاً اختيارياً زائداً على العلم لكونه كيفية نفسانية أو انفعالاً وهو حصول المعنى في القلب ، والفعل القلبي ليس كذلك بل هو إيقاع النسبة إختياراً الذي هو كلام النفس ، ويسمى عقد القلب فالسوفسطائي عالم بوجود النهار وكذا بعض الكفار بنبوة النبي ﷺ لكنهم ليسوا بمصدقين لأنهم لا يحكمون إختياراً بل ينكرون .

(٢) سورة البقرة : ١٢٤ .

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٣) سورة الاسراء : ١٠٢ .

قال : قلت : ألا تخبرني عن الايمان ، أقول هو وعمل أم قول بلاعمل ؟ فقال : الايمان

و كلام هذا القائل متردد يميل تارة إلى أنّ التصديق المعتبر في الايمان نوع من التصديق المنطقي لكونه مقيّداً بالاختيار و كون التصديق العلمي أعمّ لا فرق بينهما إلّا بلزوم الاختيار و عدمه ، وتارة إلى أنّه ليس من جنس العلم أصلاً لكونه فعلاً اختيارياً ، و كون العلم كميّة أو انفعالا ، و على هذا الأخير أصّر بعض المعتبرين بتحقيق الايمان ، و جزم بأنّ التسليم الذي فسّره الغزالي التصديق ليس من جنس العلم ، بل أمر وراءه معناه « كردن دادن و گرویدن و حق دانستن مرآ تراکه حق دانسته باشی » و يؤيّد ما ذكره إمام الحرمين أنّ التصديق على التحقيق كلام النفس لكن لا يثبت كلام النفس إلّا مع العلم .

ونحن نقول : لا شك أنّ التصديق المعتبر في الايمان هو ما يعبر فيه في الفارسيّة « بگرویدن و باور کردن و راستگوي داشتن » اذاضيف إلى الحاكم « و راست داشتن و حق داشتن » إذاضيف إلى الحكم ، و لا يكفي مجرد العلم و المعرفة الخالي عن هذا المعنى ، ثمّ أطال الكلام في ذلك و آل تحقيقه إلى أنّه ليس شيء وراء العلم و المعرفة .

و قال المحقق الدوّاني في شرح العقائد : إعلم أنّه لو فسّر التصديق المعتبر في الايمان بما هو أحد قسمي العلم فلا بدّ من اعتبار قيد آخر ليخرج الكفر العنادي ، و قد عبّر عنه بعض المتأخرين بالتسليم و الانقياد ، و جعله ركناً من الايمان ، و الأقرب أن يفسّر التصديق بالتسليم الباطني و الانقياد القلبي و يقرب منه ما قيل : انّ التصديق أن تنسب باختيارك الصدق إلى أحد وهو يحوم حول ذلك و ان لم يصب المخبر ، انتهى .

والحق أنّ إثبات معنى آخر غير العلم و المعرفة مشكل ، و كون بعض أفرادها حاصلًا بغير إختيار لا ينافي التكليف به لمن لم يحصل له ذلك و ترتّب الثواب على ما حصل بغير الاختيار إمّا تفضّل أو هو على الثبات عليه و إظهاره و العمل بمقتضاه ،

عمل كآله و القول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله يمين في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهد له به الكتاب و يدعو إليه ، قال : قلت : فمقد لي جعلت فداك حتى أفهمه ، قال : للايمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمقد التام المنتهى تمامه

و الكلام النفسى الذى ذكره ليس وراء التصور و التصديق شيئاً ، نعم المعنى الذى نفهمه هيها زائداً على العلم هو العزم على إظهار ما اعتقده أو على عدم إنكاره ظاهراً بغير ضرورة تدعو إليه ، و يمكن عدّه من لوازم الايمان أو شرائطه كما يؤمى إليه بعض الآيات والأخبار ، والعلم لو سلم أنه من قبيل الانفعال فعده عملاً على سبيل التوسّع باعتبار أسبابه ومبادئه .

قوله **تَعَلَّقْ** : بفرض ، الباء للمسببة و ضميراً «نوره» و « حجته » راجعان إلى الفرض ، و ضمير «له» إلى العامل ، و قيل : إلى كونه عملاً ، وقيل : إلى الله ، والأوّل أظهر ، و من أرجع ضمير «به» إلى الفرض و ضمير «له» إلى كونه عملاً لو عكس كان أنسب ، و قوله : واضح ، و ثابتة ، نعمتان للفرض ، و ضمير يدعو ، المستقر راجع إلى الكتاب ، و البارز إلى العامل ، و قيل : الظاهر أن يشهد ، و يدعو حال عن فرض ، و أن ضمير له و إليه راجع إلى الله ، و ضمير «به» و البارز في يدعو للفرض ، والمراد بدعاء الكتاب ذلك الفرض إليه سبحانه نسبه إليه ، و بيانه أنه منه ، و يحتمل أن يكون حالاً عن الايمان وأن يكون ضمير له و يدعو راجعاً إليه و ضمير به و إليه للعمل ، أى يشهد الكتاب للايمان بأنه عمل ، و يدعو الكتاب للايمان إلى أنه عمل ، انتهى .

ولا يخفى بعدهما ، و في تفسير العياشى : يشهد له بها الكتاب ، و يدعو إليه فضمير بها راجع إلى الحجة .

« للايمان حالات » كأنه إشارة إلى الحالات الثلاث الآتية أي التام والنافس : و الراجح و الدرجات مراتب الرفعان فانها كثيرة بحسب الكمية و الكيفية ، و الطبقات مراتب النقصان ، والمنازل ما يلزم تلك الدرجات و الطبقات من القرب إليه

و منه الناقص البين نقصانه و منه الرّاجح الزّائد رجحانه ، قات : إنّ الإيمان ليتمّ
و ينقص و يزيد ؛ قال : نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأنّ الله تبارك و تعاليّ فرض
الإيمان على جوارح ابن آدم و قسمه عليها و فرقّه فيها فليس من جوارحه جارحة
سبحانه و البعد عنه ، والمثوبات المترتبة عليها .

وقيل : إشارة إلى أنّ للإيمان مراتب متكررة و هي حالات الانسان باعتبار قيامها
به ، و درجات باعتبار ترقّيه من بعضها إلى بعض ، و طبقات باعتبار تفاوت مراتبها في
نفسها ، و كون بعضها فوق بعض ، و منازل باعتبار أنّ الانسان ينزل فيها و يأوى إليها
فمنه التامّ و هو إيمان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لاشتماله على جميع أجزاء
الإيمان من فعل الفرائض و ترك الكبائر وإن تفاوتت بانضمام سائر المكملات من
المستحبات و ترك المكروهات زيادة و نقصاناً ، أو المراد بالتامّ اعتمده تمامه درجة النبي
ﷺ وأوصيائه عليهم السلام ، و منه الناقص البين نقصانه وهو أقلّ مراتب الإيمان الذي
بعده الكفر ، و منه الرّاجح وفيه أفراد غير متناهية باعتبار التفاوت في الكميّة والكيفيّة .
ثمّ أنّه يحتمل الكلام وجهين : أحدهما : أن يكون الإيمان المشتمل على فعل
الفرائض و ترك الكبائر حاصلاً في الجميع لعدم صدق الإيمان بدون ذلك ، و يكون
الدرجات و المنازل باعتبار تلك الأعمال و نقصها و انضمام فعل سائر الواجبات و ترك
سائر المحرمات و فعل المندوبات و ترك المكروهات ، بل المباحات والاتصاف بالاخلاق
السنية والملكات العلية .

وثانيهما : أن يكون القدر المشترك حصول الإيمان في الجملة والكامل ما يكون
مشتملاً على جميع الأجزاء وهو الإيمان حقيقة والناقص التامّ ما لم يكن فيه سوى العقائد
الحقّة و الدرجات المتوسطة تختلف باعتبار كثرة أجزاء الإيمان و قلّتها فالمؤمن
حقيقة هو الفرد الأوّل ، وإطلاقه على البواقي على التوسّع لا ارتفاع الكلّ باتقاء أحد
الأجزاء ولكلّ منهما شواهد لفظاً و معنى فتأمل ، فلمّا عسر فهمه على السائل
لا لفته بمصطلحات المتكلمين أعاد السؤال لمزيد التوضيح .

إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به أختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل و يفقه و يفهم و هو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح و لا تصدر إلا عن رأيه وأمره و

قوله ^(١) : به يعقل و يفقه و يفهم ، قيل : العقل العلم بالقضايا الضرورية ، والفقه ترتيبها لانتاج القضايا النظرية ، والفهم العلم بالنتيجة .

أقول : ويحتمل أن يكون العقل معرفة الاصول العقلية ، والفقه العلم بالأحكام الشرعية ، والفهم معرفة سائر الامور المتعلقة بالطعاش وغيره ، والمراد بالقلب النفس الناطقة سميت به لتعلقها أولاً بالروح الحيواني المنبعث منه أو القلب الصنوبري من حيث تعلق النفس به ، وقيل : محل الإدراك هذا الشكل الصنوبري ، عملاً بظواهر الآيات والأخبار وسيأتي تحقيقه في محله انشاء الله .

قال الراغب في المفردات : قال بعض الحكماء حيث ما ذكر الله القلب فاشارة إلى العقل والعلم ، نحو : «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» ^(١) وحيث ما ذكر الصدر فاشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها ، وقوله : «رب اشرح لي صدري» ^(٢) فسؤال لاصلاح قواه ، وكذا قوله : «ويشف صدور قوم مؤمنين» ^(٣) إشارة إلى اشتغائهم ، وقوله : «ولكن نعملى القلوب التى فى الصدور» ^(٤) أى العقول التى هى مندرجة بين سائر القوى وليست بمهتدية والله أعلم بذلك .

وقال : قلب الانسان قيل : سمى به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك ، فقوله : «وبلغت القلوب الحناجر» ^(٥) أى الارواح «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» ^(٦) أى علم وفهم ، وكذلك «وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه» ^(٧) وقوله : «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» ^(٨)

(١) و (٦) سورة ق : ٣٧ . (٢) سورة طه : ٢٥ .

(٣) سورة التوبة : ١٤ . (٤) سورة الحج : ٤٦ .

(٥) سورة الاحزاب : ١٠ . (٧) سورة الانعام : ٢٥ .

(٨) سورة التوبة : ٨٧ .

منها عيناه اللتان يبصر بهما واذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما و فرجه الذي الباه من قبله ؛ و لسانه الذي ينطق به و رأسه الذي فيه وجهه ، فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به اختها بفرض من الله تبارك اسمه . ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها .

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع ، و فرض على السمع غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فأما ما فرض

وقوله : «ولتطمئن به قلوبكم»^(١) اى تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم ، وعلى عكسه « وقذف في قلوبهم الرعب »^(٢) وقوله : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين »^(٣) وقوله : « وقلوبهم شتى »^(٤) اى متفرقة وقوله : « ولكن نعمى القلوب التى فى الصدور »^(٥) وقيل : العقل ، وقيل : الروح ، فأما العقل فلا يصح عليه ذلك و مجازة مجاز قولهم : تجرى من تحتها الانهار ، و الا نهار لا تجرى و إنما يجرى الماء الذى فيه ، انتهى .

والورود حضور الماء للشرب ، والصدر والصدور الانصراف عند ، وهذا مثل في أنها لا تفعل شيئاً إلا بأمره كما يقال في الفارسية : لا يشرب الماء إلا بأمره و إذنه . و البطش تناول الشيء بصولة و قوة ، و الباه في بعض النسخ بدون الهمزة و في بعضها بها ، قال الجوهري : الباه مثل الجاه لغة في الباءة وهو الجماع « ينطق به » الجملة نعت للفرض و ضمير به في الموضعين للفرض ، و ضمير لها و عليها للمجارحة ، و اللام للانتفاع ، وعلى للاضرار وإرجاع ضمير « به » الى الايمان كما قيل يقتضى خلوه الجملة عن العائد وإرجاع ضمير « لها » هنا الى الجارحة يؤيد إرجاع ضمير « له » سابقاً الى العامل .

(١) سورة الانفال : ١٠ . (٢) سورة الحشر : ٢ .

(٣) سورة الفتح : ٤ . (٤) سورة الحشر : ١٤ .

(٥) سورة الحج : ٤٦ .

على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لأشريك له، إلهاً واحداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن نبداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والاقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما

قوله : فالاقرار ، أى الاقرار القلبى لأن الكلام في فعل القلب وإن احتمل أن يكون المراد الاقرار اللسانى لأنه إخبار عن القلب ، لكن ذكره بعد ذلك في عمل اللسان ربما يأتي عن ذلك وإن احتمل توجيهه ، والمعطوفات عايد على الأول عطف تفسير له وكأنها إشارة إلى مراتب اليقين والايمان القلبى ، فإن أقل مراتب الايمان القلبى ولو عن تقليد أو دليل خطائى ، والمعرفة ما كان عن برهان قطعى والعقد هو العزم على الاقرار اللسانى وما يتبعه ويلزمه من العمل بالأركان ، والرضا هو عدم إنكار قضاء الله وأوامره ونواهيه ، وأن لا يثقل عليه شيء من ذلك بخالفته لهوى نفسه ، والتسليم هو الانقياد التام للرسول فيما يأتي به لاسيما ما ذكر في أمر أوصيائه وما يحكم به بينهم ، كما قال تعالى : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ^(١) فظهر أن الاقرار بالولاية أيضاً داخل في ذلك بل جميع ما جاء به النبي ﷺ .

وقوله بأن لا إله إلا الله ، متعلق بالاقرار لأن ما ذكر بعده تفسير ومكمل له ، والصاحبة الزوجة ، والاقرار عطف على الاقرار ، والمراد الاقرار بسائر أنبياء الله وكتبه ، والمستتر في « جاء » راجع إلى الموصول ، وما قيل : أن قوله بأن لا إله إلا الله «النخ» متعلق بالاقرار والمعرفة والعقد ، وقوله والاقرار بما جاء من عند الله ، هو بمعنى على أن لا إله فيكون الأول لأن بياناً للأخيرين والأخير بياناً للأول ، فلا يخفى ما فيه من أنواع الفساد .

وقال المحدث الاسترأبادى : المعرفة جاء في كلامهم لمعان : أحدها ، التصور مطلقاً وهو المراد من قولهم على الله التعريف والبيان أى ذكر المدعى والتنبيه عليها

فرض الله على القلب من الاقرار والمعرفة وهو عمله وهو قول الله عز وجل : «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً»^(١) وقال : «ألا بد كره الله

إذ لا يجب خلق الاذعان كما يفهم من باب الشك وغير ذلك من الأبواب « وثانيها » الاذعان القلبي وهو المراد من قولهم أقرّوا بالشهادتين ولم يدخل معرفة أن محمداً رسول الله ﷺ في قلوبهم « وثالثها » عقد القضية الاجالية مثل نعم وبلى ، وهذا العقد ليس من باب التصوّر ولا من باب التصديق « ورابعها » العلم الشامل للتصور والتصديق ، وهو المراد من قولهم العلم والجهل من صنع الله في القلوب ، انتهى .

وفيه ما فيه

والآية الاولى من سورة النحل « من كفر بالله من بعد ايمانه » قيل : بدل من الذين لا يؤمنون ، وما بينهما اعتراض ، أو من أولئك أو من الكاذبون ، أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله : فعليهم غضب ، ويجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب « إلا من أكره » على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعمّ القول والعقد كالإيمان ، كذا ذكره البيضاوي ، والظاهر أنه منقطع « وقلبه مطمئن بالإيمان » لم يتغيّر عقيدته « ولكن من شرح بالكفر صدراً » أي اعتقده وطاب به نفساً « فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » وقد ورد في أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة أنها نزلت في عمار بن ياسر حيث أكرهه وأبويه ياسراً وسميته كفار مكنة على الارتداد فأبى أبواه فقتلوهما وهما أول قتيلين في الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرهاً فقيل : يا رسول الله إن عماراً كفر ، فقال : كلاً إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال : مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت .

وعن الصادق عليه السلام : «إلا من أكره» الآية فقال له النبي ﷺ

تطمئن القلوب» ^(١) وقال : «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» ^(٢) وقال : «إن

عندها : يا عمار إن عادوا فعد ، فقد أنزل الله عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا .
وبالجملة الآية تدل على أن بعض أجزاء الايمان متعلق بالقلب وان استدل
القوم بها على أن الايمان ليس إلا التصديق القلبي .

والآية الثانية «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله» قيل : أى أنسابه
وإتماداً عليه ورجاءاً منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله
الدالة على وجوده وحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المعجزات
«ألا بذكر الله تطمئن القلوب» أى تسكن إليه .

وقال فى المجمع : معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة
نبيّه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه ، والذكر
حضور المعنى للنفس وقد يسمّى العلم ذكرأ والقول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس
أيضاً يسمّى ذكرأ «ألا بذكر الله» الخ ، هذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما
وعد الله به من النعيم والثواب ، انتهى .

وكان استدلاله عليه السلام بالآية مبنى على أن المراد بذكر الله العقائد الايمانية
والدلائل المفضية إليها إذ بها تطمئن القلب من الشك والاضطراب ، ويؤيده قوله
فى الآية السابقة : «وقلبه مطمئن بالايمان» .

قوله سبحانه : «إن تبدوا ما فى أنفسكم» قال الطبرسى (ره) : أى تظهروها
وتعلنوها من الطاعة والمعصية أو العقائد «أو تخفوها» أى تكتُمونها بحاسبكم به الله ،
أى يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه ، وقيل : معناه إن تظهروا الشهادة أو تكتُموها فإن الله
يعلم ذلك و يجازيكم به عن ابن عباس و جماعة ، وقيل : إنها عامة فى الأحكام التى
تقدّم ذكرها فى السورة ، خو فهم الله تعالى من العمل بخلافها وقال قوم : إن هذه

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) سورة المائدة : ٤١ والاية هكذا «قالوا آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» .

تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء»^(١) فذلك

الآية منسوخة بقوله : «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»^(٢) ورووا في ذلك خبراً ضعيفاً، وهذا لا يصح لأن تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا، وأما ما لا يدخل في التكليف من الوسوس والهواجس مما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل، ولقوله ﷺ : «وبعفى لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها وعلى هذا تجوز أن تكون الآية الثانية بيئت الاولى وأزالت توهم من صرف ذلك إلى غير وجه المراد، والظن أن ما يخطر بالبال ويتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك .

« فيغفر لمن يشاء » منهم رحمة و تفضلاً «و يعذب من يشاء» منهم ممن استحق العقاب عدلاً «و الله على كل شيء قدير» من المغفرة و العذاب ، عن ابن عباس ، و لفظ الآية عام في جميع الأشياء ، والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي إن الله سبحانه لا يؤاخذ به ، و إنما يؤاخذ بما يعزم الانسان و يعقد قلبه عليه مع إمكان التحفظ عنه فيصير من أفعال القلب فيجازه كما يجازه على أفعال الجوارح ، و إنما يجازيه جزاء العزم لاجزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها ، وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإن العزم على فعل الطاعة يجازي على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار أن المنتظر للصلاة في الصلاة مادام ينتظرها ، و هذا من لطائف ما أنعم الله على عباده ، انتهى .

و الظاهر من الأخبار الكثيرة التي يأتي بعضها في هذا الكتاب عدم مؤاخذة هذه الامة على الخواطر و العزم على المعاصي ، فيمكن تخصيص هذه الآية بالعقائد كما هو ظاهر هذه الرواية و إن أمكن أن تكون نيّة المعصية و العزم عليها معصية يغفرها الله للمؤمنين ، فالمراد بقوله : «لمن يشاء» المؤمنون و يؤيده ما ذكره المحقق

الطوسي و غيره أن ارادة القبيح قبيحة فتأمل .

و يظهر من بعض الأخبار أن هذه الآية منسوخة و قد خففها الله عن هذه الامة كما روى الديلمي في إرشاد القلوب بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام في خبر طويل في معراج النبي صلى الله عليه وآله قال : ثم عرج به حتى انتهى إلى ساق العرش و ناجاه بما ذكره الله عز و جل في كتابه ، قال تعالى : « لله ما في السموات و ما في الارض و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء » و كانت هذه الآية قد عرضت على سائر الامم من لدن آدم إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وآله فأبوا جميعاً أن يقبلوها من ثقلها ، و قبلها محمد صلى الله عليه وآله فلما رأى الله عز و جل منه و من أمته القبول خفف عنه ثقلها ، فقال الله عز و جل : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه »^(١) ثم إن الله عز و جل تكرر على محمد ، و أشفق على أمته من تشديد الآية التي قبلها هو و أمته فأجاب عن نفسه و أمته فقال : « والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله » فقال الله عز و جل لهم المغفرة و الجنة إذا فعلوا ذلك ، فقال النبي : « سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » يعني المراجع في الآخرة فأجابه قد فعلت ذلك بتائبى أمتك قد أوجبت لهم المغفرة ، ثم قال الله تعالى : أمّا إذا قبلتها أنت و أمتك و قد كانت عرضت من قبل على الانبياء و الأمم فلم يقبلوها فحق على أن أرفعها عن أمتك فقال الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا و سعيها لها ما كسبت » من خير « و عليها ما اكتسبت » من شر ثم ألهم الله عز و جل نبيه أن قال : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » فقال الله سبحانه أعطيتك لكرامتك ، إلى آخر الخبر .

و أمّا المخالفون فهم اختلفوا في ذلك ، قال الرازي في تفسير هذه الآية : يروى عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر و عمر و عبدالرحمن بن

عوف ومعاذ وناس إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله كلّفنا من العمل مالا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وإنّه لذنّب؟ فقال النبي ﷺ : فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل : سمعنا وعصينا فقولوا سمعنا وأطعنا فقالوا : سمعنا وأطعنا واشتد ذلك عليهم فمكثوا في ذلك حولاً فأترّل الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » فنسخت هذه الآية فقال النبي ﷺ : إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعلموا أو تكلموا به .

و اعلم ان محلّ البحث في هذه الآية ان قوله : « إن تبدوا » يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من رفعها ، فالملأخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق ، والعلماء أجابوا عنه من وجوه :

الاول : ان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله في الوجود ، ومنها مالا يكون كذلك بل يكون أموراً خاطرة بالبال . مع أن الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن نفسه ، فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به ، والثاني لا يكون مؤاخذاً به ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ^(١) وقال في آخر هذه السورة « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقال : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة » ^(٢) هذا هو الجواب المعتمد .

الوجه الثاني : أن كل ما كان في القلب ممّا لا يدخل في العمل فأنه في محلّ العفو ، وقوله : « وإن تبدوا » الخ ، فالمراد منه أن يدخل ذلك العمل في الوجود إمّا ظاهراً أو على سبيل الخفية ، وأمّا ما يوجد في القلب من العزائم والارادات ولم يتصل بالعمل فكل ذلك في محلّ العفو ، وهذا الجواب ضعيف لأن أكثر المؤاخذات إنما يكون

(١) سورة البقرة : ٢٢٥ .

(٢) سورة النور : ١٩ .

• • • • •

بأفعال القلوب ، ألا ترى أن اعتقاد الكفر والبدع ليس إلا من أعمال القلوب وأعظم أنواع العقاب مرتب عليه أيضاً ، وأفعال الجوارح إذا دخلت من أعمال القلوب لا يترتب عليها عقاب كأفعال النائم والساهي ، فثبت ضعف هذا الجواب .

والوجه الثالث : أنه تعالى يؤاخذ بها ، ومؤاخذتها من الغموم في الدنيا ، وروى ذلك خبراً عن عائشة عن النبي ﷺ .

الوجه الرابع : أنه تعالى قال : « يحاسبكم بالله » ولم يقل يؤاخذكم به الله ، وقد ذكرنا في معنى كونه حسيباً ومحاسباً وجوهاً منها : كونه عالماً بها ، فرجع المعنى إلى كونه تعالى عالماً بالضمائر و السرائر و روى عن ابن عباس أنه تعالى إذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان في نفوسهم ، فالؤمن يخبره و يعفو عنه ، وأهل الذنوب يخبرهم بما أخفوا من التكذيب والذنوب .

الوجه الخامس : أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية « فيغفر لمن يشاء » يعذب من يشاء « فيكون الغفران نصيباً لمن كان كارهاً لو رددت تلك الخواطر ، والعذاب لمن كان مصرّاً عليها مستحسناً لها .

الوجه السادس : قال بعضهم : المراد بهذه الآية كتمان الشهادة و هو ضعيف وإن كان وارداً عقيبه .

الوجه السابع : ما مر أنّها منسوخة بقوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وهذا أيضاً ضعيف بوجوه أحدها ، أن هذا النسخ إنما يصح لو قلنا أنهم كانوا قبل هذا النسخ مأمورين بالاحتراز عن تلك الخواطر التي كانوا عاجزين عن دفعها ، وذلك باطل لأن التكليف قط ما ورد إلا بما في القدرة ، ولذلك قال ﷺ : بعثت بالحنيفية السمحة السهلة .

الثاني : أن النسخ إنما يحتاج إليه لو دلّت الآية على حصول العقاب على تلك الخواطر ، وقد بينّا أنها لا تدل على ذلك .

ما فرض الله عز وجل على القلب من الاقرار والمعرفة وهو عمل له وهو رأس الايمان وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به قال الله تبارك وتعالى «وقولوا للناس حسناً»^(١) وقال: «قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم

الثالث: أن نسخ الخبر لا يجوز وإنما يجوز نسخ الأوامر والنواهي، واختلفوا في أن الخبر هل ينسخ أم لا، انتهى.

وقال أبو طامع النسفي: قال أهل السنة والجماعة: العبد مؤاخذ بما عقد بقلبه نحو الزنا والمواطة وغير ذلك، أما إذا خطر بباله ولم يقصد فلا يؤاخذ به، وقال بعضهم لا يؤاخذ في الصورتين جميعاً، وحجبتهم قوله عليه السلام: عفى عن أمتي ما خطر ببالهم ما لم يتكلموا ويفعلوا، وحجبتنا قوله تعالى: «وان تبدوا ما في أنفسكم» الآية، فثبت أنه مؤاخذ بقصده، وما ذكرتم من الحديث فمحمول على ما خطر بباله ولم يقصد، أما إذا قصد فلا، انتهى.

«وهو رأس الايمان» كأن التشبيه بالرأس باعتبار أن بانتفائه ينتفى الايمان رأساً كما أن بانتفاء الرأس لا تبقى الحياة، ويفسد جميع البدن.

قوله عليه السلام: القول، أي ما يجب التكلم به من الأقوال كإظهار الحق والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقراءة والاذكار في الصلاة وأمثالها، فيكون قوله: والتعبير تخصيصاً بعد التعميم لمزيد الاهتمام.

«وقولوا للناس حسناً» قال البيضاوي: أي قولاً حسناً وسمّاً حسناً للمبالغة، وقرء حمزة ويعقوب والكسائي حسناً بفتحيتين، انتهى.

أقول: في بعض الاخبار عن الصادق عليه السلام أنه قال: يعني قولوا عليه السلام رسول الله عليه السلام، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: نزلت في اليهود ثم نسخت بقوله: «فأتلوا الذين لا يؤمنون بالله»^(٢) الآية، وفي بعض الروايات أنه جسن المعاشرة والقول الجميل،

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

وإلهنا إلهكم واحد ونحن له مسلمون»^(١) وفي هذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والإصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل فقال في ذلك : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفربها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم

وفي بعضها أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكأن التعميم أولى فيناسب التعميم في القول أولاً ويؤيده أن في تفسير النعماني هكذا : وأما ما فرضه على اللسان فقوله عز وجل في معنى التفسير لما عقده القلب وأقر به أو جحد « قولوا آمنا بالله ، الآية ، وقوله سبحانه : وقولوا للناس حسناً ، وقوله سبحانه : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا »^(٢) فأمر سبحانه بقول الحق ونهى عن قول الباطل .

ثم أن الآية الثانية ليست في المصاحف هكذا ، ففي سورة البقرة « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط »^(٣) وفي سورة العنكبوت : « وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »^(٤) فالظاهر أن التغيير من النسخ أو نقل الآيتين بالمعنى ، وفي النعماني موافق للاولى ولعلّه كان في الخبر آيتان فأسقطوا عجز الاولى وصدر الثانية .

والتنزه الاجتناب « وأن يعرض » عطف على « أن يتنزه » والإصغاء عطف على الموصول في قوله : عما لا يحل .

« وقد نزل عليكم في الكتاب » هذه الآية في سورة النساء ، وفي تفسير علي بن ابراهيم إن آيات الله هم الأئمة عليهم السلام ، وروى العياشي في تفسيرها : إذا سمعت

(١) و (٤) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٢) سورة النساء : ١٧١ .

(٣) الآية : ١٣٦ .

حتى يخوضوا في حديث غيره» ^(١) ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال : « وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ^(٢) وقال ، « فبشر عباد *

الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في أهله فقم من عنده ولا تقاعده ، قال الراغب : والخوض الشروع في الماء والمرور فيه ، يستعار في الأمور وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه ، وتمتمة الآية « انكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً » والاستثناء في سورة الأنعام حيث قال : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان » ^(٣) الآية ويحتمل أن يكون قوله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب ، إشارة إلى ما نزل في سورة الأنعام ، فهذه الآية كالتفسير لتلك الآية فذكره عليه السلام آية النساء لبيان أن الخوض في الآيات المذكورة في الأنعام هو الكفر والاستهزاء بها ، وإلا كان المناسب ذكر الآية المتصلة بالاستثناء فتفطن .

وروى العياشي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال : الكلام في الله والجidal في القرآن قال منه القصاص « وإما ينسينك الشيطان » أي النهي « فلا تقعد بعد الذكرى » أي بعد أن تذكره « مع القوم الظالمين » أي معهم ، فوضع الظاهر موضعه تنبيهاً على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب فيه إمام ، أو يغتاب فيه مسلم إن الله تعالى يقول في كتابه : « وإذا رأيت » الآية .

ثم أن الخطاب في الآية إما خطاب عام أو الخطاب ظاهراً للرسل ﷺ والمراد به الأمة ، لأن النسيان لا يجوز عليه ﷺ لاسيما إذا كان من الشيطان ، فإن من جوز السهو والنسيان عليه ﷺ كالصدوق (ره) إنما جوز الاسهاء من

(١) سورة النساء : ١٣٩ .

(٢) و (٣) سورة الأنعام : ٦٨ .

الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا
الْأَلْبَابِ» ^(١) وقال عز وجل : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ » ^(٢) وقال : « إِذَا سَمِعُوا

الله تعالى للمصلحة لامن الشيطان .

« فبشر عبادى » الاضافة للتشريف ، وأحسن القول ما فيه رضا الله أو أشدّ رضا،
وما هو أشقّ على النفس ، وهذه كلمة جامعة يندرج فيها القول في أصول الدين
وفروعه والاصلاح بين الناس والتميز بين الحقّ والباطل ، واينار الأفضل فالأفضل،
و في رواية هو الرّجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمع لايزيد فيه ولا
ينقص منه .

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ » لدينه « وأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ » اى العقول السليمة
عن منازعة الهوى والوهم والعادات و« عبادى » في النسخ باثبات الياء موافقا لرواية أبي عمرو
برواية موسى حيث قرء في الوصل بفتح الياء وفي الوقف باسكانها ، وقرء الباقون
باسقاط الياء والاكتفاء بالكسرة .

« الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » قيل : أى خائفون من الله متذللون له
يلزمون أبصارهم مساجدهم وفي تفسير على بن ابراهيم غضك بصرك في صلاتك و
إقبالك عليها ، وسيأتى تفسيره في كتاب الصلاة إنشاء الله .

« وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » قيل : اللغو ما لا يعنيه من قول أو فعل ، وفي تفسير
على بن ابراهيم يعنى عن الغنا والملاهى ، وفي إرشاد المفيد عن أمير المؤمنين عليه السلام كل
قول ليس فيه ذكر فهو لغو ، وفي المجمع عن الصادق عليه السلام قال : أن يتقوّل الرّجل عليك
بالباطل أو يأتيتك بما ليس فيك فتعرض عنه الله ، قال : وفي رواية أخرى أنّه الغنا
والملاهى ، وفي الاعتقادات عنه عليه السلام أنّه سئل عن القصّاص أيحل الاستماع لهم ،

(١) سورة الزمر : ١٨ .

(٢) سورة السجدة : ٢ .

اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم»^(١) وقال: «وإذا مروا باللغو مروا كراماً»^(٢) فهذا ما فرض الله على السمع من الايمان أن لا يصغي إلى ما لا يحلّ له وهو عمله وهو من الايمان وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه، ممّا لا يحلّ له وهو من الايمان، فقال تبارك وتعالى: «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم»^(٣) فنهاهم أن ينظروا

فقال: لا، والحاصل أنّ اللغو كلّ ما لا خير فيه من الكلام والأصوات، ويكفى في الاستشهاد كون بعض أفراد حراماً مثل الغناء والدّفّ والصنّج والطنبور والأكاذيب وغيرها.

وقال في سورة القصص: «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»^(١) قال عليّ بن ابراهيم: اللغو الكذب واللغو والغنا، وقال في الفرقان: «وإذا مروا باللغو مروا كراماً»^(٢) أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه، وفي أخبار كثيره تفسير اللغو في هذه الآية بالغناء والملاهي.

قوله: من الايمان، «من» تبعيضية «وأن لا يصغي» عطف بيان لهذا، وقيل: من الايمان مبتدء وأن لا يصغي خبره، وفيه ما فيه.

«قل للمؤمنين يغضّوا» الخطاب للرسول ﷺ ويغضّوا مجزوم بتقدير اللام، أي ليغضّوا فالمقصود تبليغهم أمر ربهم أو حكاية لضمون أمره ﷺ أو منصوب بتقدير أن أي أمرهم أن يغضّوا فإنّ «قل لهم» في معنى مرهم، وقيل: أنّه جواب الأمر أي قل لهم غضّوا يغضّوا، واعترض بأنّه حينئذ ينبغي الفاء أي فيغضّوا وفيه: أنّه سهل ليكن محذوفاً وأبعد منه ما يقال: ان التقدير: قل لهم غضّوا فإنك إن تقل لهم يغضّوا أصل الغضّ النقصان والخفض كما في قوله: «واغضض من صونك» وأجاز الأخصّ أن تكون من زائدة وأباه سيبويه وقيل: إنّّه للتبعيض، ولعلّه الوجه،

(١) سورة القصص: ٥٥.

(٢) سورة الفرقان: ٧٢.

(٣) سورة النور: ٣٠.

إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه وقال :
« و قل للمؤمنات يغضن من أبصارهن » و يحفظن فروجهن » ^(١) من أن تنظر إحداهن
إلى فرج أختها و تحفظ فرجها من أن ينظر إليها وقال : كل شيء في القرآن من
حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر ثم نظم ما فرض على القلب
واللسان والسمع والبصر في آية أخرى فقال : « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم

وليس المراد نقص المبصرات وتبعضها ولا الابصار بل النظر بها وهو المراد مما قيل :
المراد غض البصر وخفضه مما يحرم النظر إليه والاقتصار به على ما يحل ، وكذا
قوله : « و يحفظوا فروجهم » أي إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فلمّا كان
المستثنى هنا كالشانّ النادر مع كونه معروفاً معلوماً بخلافه في غض الابصار أطلق
الحفظ هنا وقيد الغض بحرف التبعض ، وفي الكشف ويجوز أن يراد مع حفظها عن
الابداء وهذه الرواية وغيرها تدل على أن المراد بحفظ الفرج هنا ستره عن أن ينظر
إليه أحد وكذا ظاهر الرواية تخصيص غض البصر بترك النظر الى العورة .

قوله ^(٢) : ثم نظم ، أقول : وفي تفسير النعماني : ثم نظم تعالى ما فرض على السمع
والبصر والفرج في آية واحدة فقال : وما كنتم ، وهو اظهر ، وما هنا يحتاج إلى تكلف
في إدخال اللسان والقلب ، فقول : المراد بالاستتار ترك ذكر الأعمال القبيحة في المجالس
« وان يشهد » بتقدير من أن يشهد متعلقاً بالاستتار بتضمين معنى الخوف ، فقوله
تستترون إشارة إلى فرض القلب واللسان معاً ، ويحتمل أن يكون المراد بالآية
الآخرى الجنس أي الآيتين ، والفؤاد داخل في الآية الثانية وكذا اللسان لأن
قوله : « لا تقف » عبارة عن عدم متابعة غير المعلوم بعدم التصديق به بالقلب وعدم إظهار
العلم به باللسان .

« وما كنتم تستترون » قبل هذه الآية في حم التنزيل : « ويوم يحشر أعداء الله
إلى النار فهم يوزعون » ، حتى إذا جاؤا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما

كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون » قال الطبرسي (ره) : أى شهد عليهم سمعهم بما قرعهم من الدعاء إلى الحق « فأعرضوا عنه » ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوه من الآيات الدالة على وحيانية الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشره من المعاصي والأعمال القبيحة ، وقيل في شهادة الجوارح قولان : أحدهما : أن الله تعالى بنيتها بنية الحي وبلغتها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابها ، والآخر : أن الله تعالى تفعل الشهادة فيها وإنما أضاف الشهادة إليها مجازاً ، وقيل : في ذلك أيضاً وجه ثالث وهو أنه يظهر فيه أماراته الدالة على كون أصحابها مستحقين للنار فسمي ذلك شهادة مجازاً كما يقال : عيناك تشهدان لسهرك ، وقيل : إن المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين ثم قال : « وما كنتم تستترون أن يشهد » أى من أن يشهد عليكم سمعكم ، معناه وما كنتم تستخفون أى لم يكن مهيتاً لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الاعضاء لأنكم كنتم بما تعملون ، فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة ، وقيل : معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون لجهلكم بالله تعالى ، فهان عليكم إرتكاب المعاصي لذلك .

وروى عن ابن مسعود أنها نزلت في ثلاثة نفر تساروا فقالوا : أترى إن الله تعالى يسمع تسارنا .

ويجوز أن يكون المعنى أنكم عملتم عمل من ظن أن عمله يخفي على الله كما يقال أهلك نفسي أى عملت عمل من أهلك النفس ، وقيل : إن الكفار كانوا يقولون إن الله لا يعلم ما في أنفسنا لكنه يعلم ما نظهر عن ابن عباس .

« وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم » ذلكم مبتدئ ، وظنكم خبره ، وأرديكم خبر ثان ، ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من ذلكم ، ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيراً مما تعملون أهلككم إذهون عليكم أمر المعاصي

سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» ^(١) يعني بالجلود : الفروج والافخاذ وقال : « ولا تنقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسئولا » ^(٢) فهذا ما فرض الله على العيين من غض البصر عما حرّم الله عز وجل وهو عملهما وهو من الايمان وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرّم الله وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله

وأدّى بكم الى الكفر « فأصبحتم من الخاسرين » أي فظلمتم من جملة من خسرت تجارتها ، لأنكم خسرت الجنة وخضتم في النار ، انتهى .

فان قيل : هذه الآيات في السور المكية وكذا قوله : « ولا تنقف » الخ ، كما مر في الخبر السابق فكيف صار أعمال الجوارح فيها جزءاً من الايمان ، وكيف يوعد عليها .

قلت : لعل الوعيد فيها باعتبار كفرهم وشرّهم لأنّها تدلّ على أنّهم إنّما فعلوا ذلك كفرأ بالله واستهانة بأمره وظنّهم أنّه سبحانه لا يعلم كثيراً ممّا يعملون فالوعيد على شرّهم وإتيانهم بملك الأعمال من جهة الاستخفاف والاستحلال وقفوا ما ليس لهم به علم كان في أصول الدين مع أنّه قد مرّ أنّه ليس فيها وعيد بالنار وكون جميع آيات حمّ مكيّة لم يثبت لعدم الاعتماد على قول المفسرين من العامة ، ويحتمل أن يكون الغرض هنا محض كون الأعمال متعلّقة بالجوارح وأنّها لها مدخلا في الايمان وإن كان مدخليتها في كما له ، والمقصود في الخبر السابق كان أمراً آخر ، وكذا الكلام في قوله : « ولا تمش في الأرض مرحاً » فإنّها أيضاً مكيّة .

قوله : إلى ما حرّم الله ، مثل القتل والضرب والنهب والسرقة وكتابة الجور والكذب والظلم ومسّ الأجانب ونحوها « وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرّحم » إن إيصال الصدقة إلى الفقراء والخير إلى الأقرباء والضرب والبطش والقتال في الجهاد والظهور للصلاة من فروض اليد ، وقيل : يفهم منه وجوب استعمال اليد في غسل الوجه ، وهو إمّا لأنّه الفرد الغالب أو لأنّه فرد الواجب التخييري .

عز وجلّ وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهد في سبيل الله والطهور للصلاة . فقال : « يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » ^(١) وقال : « فإنّ لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتّى إذا تخفتموهم فشدّوا الوثاق فأمّا منّا بعد و إمّا فداء حتّى تضع الحرب أوزارها » ^(٢) فهذا ما فرض الله على اليدين لأنّ الضرب من علاجهما وفرض على الرّجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله وفرض عليهما المشي إلى ما

واقول : يمكن أن يكون غسل الوجه داخلياً فيما سيأتى من قوله : وقال فيما فرض الله .

« فاضرب الرقاب » ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق ، وأصله فاضربوا الرقاب ضرباً ، حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ، وأضيف إلى المفعول والائنخان اكنثار القتل أو الجراح بحيث لا يقدر على النهوض ، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به وشدّه كناية عن الأسر ، و « منّا » و « فداء » مفعول مطلق لفعل محذوف أى فأمّا تمنّون منّا ، وإمّا تفدون فداءً ، وأوزار الحرب أثقالها وآلاتها كالسيّف والسنان وغيرهما ، وهو كناية عن إنقضاء أمرها .

والمروى ومذهب الأصحاب أنّ الأسير إن أخذ والحرب قائمة تعيّن قتله إمّا بضرب عنقه أو بقطع يده ورجله من خلاف وتركه حتّى ينزف ويموت ، وإن أخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المنّ والفداء والاسترقاق ، ولا يجوز القتل . والاسترقاق علم من السنّة ، والعلاج : المزاولة ، « أن لا يمشى » بصيغة المجهول ، والباء في « بهما » للآلة ، والظرف نائب الفاعل وقوله ﷺ : فقال ، لعله ليس لتفسير ما تقدّم والاستدلال عليه ، بل لبيان نوع آخر من تكليف الرّجلين وهو نوع المشي ، وما ذكر سابقاً كان غاية المشي ، وفي رواية النّعماني : أمّا ما فرضه الله

(١) سورة المائدة : ٧ .

(٢) سورة محمد (ص) : ٤ .

يرضى الله عز وجل فقال : « ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ انجبال طولا »^(١) وقال : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »^(٢) وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابيهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل به وفرضه عليهما : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا

على الرجلين فالسعى بهما في ما يرضيه ، واجتناب السعى فيما يسخطه ، وذلك قوله سبحانه : « فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع »^(٣) وقوله سبحانه : « ولا تمش في الأرض مرحاً »^(٤) وقوله : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » وفرض الله عليهما القيام في الصلوة فقال : « وقوموا لله قانتين »^(٥) ثم أخبر أن الرجلين من الجوارح التي تشهد يوم القيامة حين تستنطق بقوله سبحانه : « اليوم نختم » الآية .

وقال البيضاوي : « واقصد في مشيك » توسط فيه بين الديب والاسراع ، وعنه عليه السلام : سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن « واغضض من صوتك » وانقص منه واقصر « إن أنكر الأصوات » أوحشها « لصوت الحمير » والحمار مثل في الذم سيما نهاقه^(٦) ولذلك يكنى عنه فيقال : طويل الأذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراجهم مخرج الاستعارة مبالغة شديدة ، وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في النكر دون الآحاد ، أو لأنه مصدر .

وقال في قوله سبحانه : « اليوم نختم على أفواههم » بأن تمنعها عن كلامهم « وتكلمنا أيديهم » الخ ، بظهور آثار المعاصي عليها ودلالاتها على أفعالها أو بانطاق الله إيتاها ، وفي الحديث أنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتكلمهم أيديهم وأرجلهم ، انتهى .

(١) سورة لقمان : ١٨ .

(٢) سورة لقمان : ١٩ .

(٣) سورة الجمعة : ٩ .

(٤) سورة الاسراء : ٣٧ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣٨ .

(٦) نهاق الحمار : صوته .

أيدِيهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون،^(١) فهذا أيضاً فرض الله على اليدين وعلى الرّجلين وهو عملهما وهو من الايمان و فرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصّلاة فقال : « يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »^(٢) فهذه فريضة جامعة على الوجه و اليدين والرّجلين

وقيل : هذا لا ينافي ما روى أنّ الناس في هذا اليوم يحتجّون لأنفسهم، ويسعى كلّ منهم في فكّ رقبته كما قال سبحانه : « يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها » والله يلقي من يشاء حجته كما في دعاء الوضوء : اللهم لقنني حجتي يوم اللقاء ، لأنّ الختم مخصوص بالكفّار كما قاله بعض المفسرين ، أو أنّ الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما في الرواية السابقة ، و با لجملة الختم يقع في مقام والمجادلة في مقام آخر .

قوله : فهذا أيضاً ، كأنّه إشارة إلى ما تشهد به الجوارح، فمن في قوله « ممّا » تبعيضية ، أو إلى التكليم و الشهادة فمن تعليلية ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى جميع ما تقدّم ، وقال البيضاوي في قوله تعالى : « اركعوا واسجدوا » اى في صلاتكم أمرهم بهما لأنّهم ما كانوا يفعلونهما أوّل الاسلام ، أو صلّوا وعبر عن الصلاة بهما لأنّهما أعظم أركانهما ، أو اخضعوا لله و خرّوا له سجّداً و اعبدوا ربكم بسائر ما تعبّدكم به « وافعلوا الخير » ونحو ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق « وعلّكم تفلحون » اى افعلوا هذه كلّها و أنتم راجون الفلاح غير متيقّنين له ، واثقين على أعمالكم .

واقول : « لعل » من الله موجبة ، و هذه فريضة جامعة أى ما ذكر في هذه الآية من الرّكوع و السجود و العبادة وفعل الخير ، و مدخلية الأعضاء المذكورة في تلك الأعمال في الجملة ظاهرة .

(١) سورة يسن : ٦٥ .

(٢) سورة الحج : ٧٧ .

وقال ، في موضع آخر : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع أحدا » ^(١) وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور و الصلاة بها وذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه ﷺ

« وأن المساجد لله » ظاهره أنه ﷺ فسر المساجد بالأعضاء السبعة التي تسجد عليها ، أي خلقت لأن يعبد الله بها فلا تشر كوا معه غيره في سجودكم عليها ، وهذا التفسير هو المشهور بين المفسرين و المذكور في صحيحة حماد و المروى عن أبي جعفر الثاني ع حين سأله المعتصم عنها ، وبه قال ابن جبير و الزجاج والفراء فلا عبرة بقول من قال : أن المراد بها المساجد المعروفة ، ولا بقول من قال : هي بقاع الأرض كلها ، ولا بقول من قال : هي المسجد الحرام ، و الجمع باعتبار أنه قبلة لجميع المساجد ، ولا بقول من قال : هي السجودات جمع مسجد بالفتح مصدراً أي السجودات لله فلا تفعل لغيره .

و قال في الفقيه : قال أمير المؤمنين ع في وصيته لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه : يا بني لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم ، فإن الله تعالى قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحج بها عليك يوم القيامة ويسئلك عنها ، وساق الحديث إلى أن قال : ثم استعبدتها بطاعته فقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا » إلى قوله : « لعلكم تفلحون » فهذه فريضة جامعة واجبة على الجوارح ، وقال عز وجل : « وأن المساجد لله » الخ ، يعني بالمساجد الوجه و اليدين و الركبتين و الأبهامين ، الحديث بطوله .

قوله : وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور و الصلاة بها ، أي بالجوارح و كأن مفعول القول محذوف أي ما قال ، أو « من الطهور » مفعوله بزيادة من ، أو بتقدير شيئاً أو كثيراً أو المراد قال ذلك أي آية المساجد فيما فرض الله على هذه الجوارح من الطهور و الصلاة ، لأن الطهور أيضاً يتعلق بالمساجد .

و على التقادير قوله : وذلك ، إشارة إلى كون الآيات السابقة دليلاً على كون

إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم »^(١) فسمي الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز وجل حافظاً لجوارحه

الإيمان مبثوثاً على الجوارح لأنها إنما دلّت على أن الله تعالى فرض أعمالاً متعلّقة بتلك الجوارح ، ولم تدلّ على أنها إيمان فاستدلّ عليه السلام على ذلك بأن الله تعالى سمى الصلاة المتعلّقة بجميع الجوارح إيماناً فتمّ به الاستدلال بالآيات المذكورة على المطلوب .

و الظاهر أن في العبارة سقطاً أو تحريفاً أو إختصاراً مخالفاً من الرواة أو من المصنّف إذ في تفسير النعماني وأما ما افترضه على الرأس فهو أن يمسح من مقدّمه بالماء في وقت الطهور للصلاة بقوله : « و امسحوا برؤوسكم » و هو من الإيمان وفرض على الوجه الغسل بالماء عند الطهور ، فقال : « يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم »^(٢) و فرض عليه السجود و على اليدين و الركبتين و الرّجلين الركوع و هو من الإيمان ، وقال فيما فرض الله على هذه الجوارح من الطهور و الصلوة و سماء في كتابه إيماناً حين تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فقال المسلمون : يا رسول الله صارت صلاتنا إلى بيت المقدس و طهورنا ضياعاً ؟ فأنزل الله : « و ما جعلنا القبلة التي كنت عليها » إلى قوله « وما كان الله ليضيع إيمانكم » فسمي الصلاة و الطهور إيماناً ، انتهى .

و يحتمل أن يكون مفعول القول : و ما كان الله ليضيع إيمانكم ، أو مبهماً يفسره ذلك ، حذف لدلالة التعليل عليه وقوله : وذلك ، تعليل للقول أي النزول ، وقوله : فأنزل الله ، ليس جواب لما لعدم جواز دخول الفاء عليه بل الجواب محذوف ، بتقدير أنزل وجه الحكمة في الصرف فأنزل .

قوله : فمن لقي الله ، عند الموت أو في القيامة أو الأعمّ « حافظاً لجوارحه »

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٦ .

موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عزّ وجلّ عليها لقي الله عزّ وجلّ مستكملاً لا يمانه وهو من أهل الجنة ومن خان في شيء منها أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ فيها لقي الله عزّ وجلّ ناقص الايمان .

قلت : قد فهمت نقصان الايمان وتمامه ، فمن أين جاءت زيادته ؟ فقال : قول الله

عن المحرمات « موفياً كلّ جارحة » التوفية إعطاء الحقّ وإيفاء تاماً ويمكن أن يقرأ كلّ بالرفع والنصب « مستكملاً لا يمانه » أي مكتملاً له ، في القاموس : أكمله واستكمّله وكمّله أتمّده وجمله « ومن خان في شيء منها » أي من الجوارح بفعل المنهيّات أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ في الجوارح ، ويحتمل أن يكون الخيانة أعمّ من ترك المأمورات وفعل المنهيّات ، والتعدّي بإيقاع الفرائض على وجه البدعة ومخالفاً لما أمر الله ، وفي النعماني : ومن كان مضيّعاً لشيء ممّا فرضه الله تعالى في هذه الجوارح وتعدّى ما أمر الله به وارتكب ما نهاه عنه لقي الله ناقص الايمان .

و أقول : حكم عَلَيْهِ السَّلَام في الأول بدخول الجنة أي من غير عقاب ، وفي الثاني لم يحكم بدخول النار ولا بعدم دخول الجنة لأنّه يدخل الجنة ولو بعد حين ، وليس دخوله النار مجزوماً به لاحتمال عفو الله تعالى وغفرانه .

قوله : فمن أين جاءت زيادته ، يفهم منه أن السائل فهم من الزيادة كون ما يشترط في الايمان متحققاً وزاد عليه ، لا أنّه يكون الزائد بالنسبة إلى الناقص ، وإلاّ فلم يحتج إلى السؤال لأنّ كلّ نقص إذا سلب كان زائداً بالنسبة إليه ، فالأفراد ثلاثة : تامّ الايمان وهو الذي اعتقد العقائد الحقّة كلّها ، وعمل بالفرائض واجتنب الكبائر وإن أتى بشيء منها تاب بعده ولم يصرّ على الصغائر ، وناقص الايمان وهو الذي أتى مع العقائد الحقّة بشيء من الكبائر ولم يتب منها أو ترك شيئاً من الفرائض ولم يتداركها أو أصرّ على الصغائر ، وزائد الايمان وهو الذي زاد في العقائد على ما يجب كمّاً وكيفاً كما سيأتي ، وفي الاعمال بايتاء سائر الواجبات والمستحبات وترك الصغائر والمكروهات ، وكلّما زادت العقائد والاعمال كمّاً وكيفاً زاد الايمان

«عز وجل»: «وإذا ما أنزلت سورة فذهنبهم من يقول أئكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم»^(١) وقال: «نحن نقص عليك نبأهم بالحق» إنهم فتية آمنوا بربهم

فإذا عرفت هذا فلم يحتج إلى ما تكلفه بعضهم أنه لما ذكر ﷺ أن الايمان مفروض على الجوارح وأنه يزيد وينقص وعلم السائل الأول صريحاً من الآيات المذكورة، و الثاني ضمناً أو التزاماً منها للعلم الضروري بأن العلم يزيد وينقص سأل عن الآيات الدالة على الثاني صريحاً، أو قصده من السؤال أتى قد فهمت مما ذكر نقصان الايمان العملي وتمامه باعتبار أن العمل يزيد وينقص فمن أين جاءت زيادة الايمان التصديقي وأية آية تدل عليها؟ وفيه حينئذ استخدام إذ أراد بلفظ الايمان الايمان العملي، و بضميره الايمان التصديقي، و على التقديرين لا يرد أنه إذا علم نقصان الايمان وتمامه فقد علم زيادته، لأن في التام زيادة ليست في الناقص، انتهى.

«فهمهم» قال البيضاوي: فمن المنافقين «من يقول» إنكاراً واستهزاء «أئكم زادته» «هذه» السورة «إيماناً» و قرء أئكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته «فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً» بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها و بما فيها إلى إيمانهم «وهم يستبشرون» بنزولها لأنها سبب لزيادة كما لهم و ارتفاع درجاتهم «وأما الذين في قلوبهم مرض» كفر «فزادتهم رجساً إلى رجسهم» كفراً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها «وماتوا وهم كافرون» و استحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه «وزدناهم هدى» أى هداية إلى الايمان أوزدناهم بسبب الايمان ثباتاً وشدة يقين وصبر على المكراه في الدين كما قال «و ربطنا على قلوبهم» فهذه الهداية الخاصة الربانية بزيادة على الايمان الذي كانوا به متصفين حيث قال تعالى

وزدناهم هدى»^(١) ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولا ستوت النعم فيه ولا ستوى الناس و بطل التفضيل ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة و بالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله ، وبالنقصان دخل المفرطون النار .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ؛ و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، جميعاً ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي ، عن عبيد الله بن [الحسن ، عن الحسن بن] هارون قال : قال لي أبو عبد الله

أولاً : إنهم فتية آمنوا بربهم « ولو كان كله واحداً » أى كل الايمان واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر ، لأن الفضل إنما هو بالايمان فلا فضل مع مساواتهم فيه « ولا ستوت النعم » أى نعم الله بالهدايات الخاصة في الايمان « ولا ستوى الناس » في دخول الجنة أو في الخير والشر ، وبطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات والكمالات ، واللوازم كلها باطله بالكتاب والسنة .

« ولكن بتمام الايمان » باعتبار أصل التصديق والعمل بالفرائض أو بالواجبات وترك الكبائر أو المنهيات « دخل المؤمنون » المتصفون به « الجنة » بالزيادة في الايمان ، بضم ساير الواجبات مع المندوبات أو المندوبات و ترك الصغائر مع المكروهات ، أو المكروهات و تحصيل الآداب المرغوبة والأخلاق المطلوبة « تفاضل المؤمنون » المتصفون بها بدرجات الجنة العالية ، والمنازل الرفيعة في قربه تعالى « و بالنقصان » في التصديق أو التقصير في الأعمال الواجبة و ارتكاب المحرمات « دخل المفرطون » في النار إن لم ينجوا بفضلهم وعفوه سبحانه .

الحديث الثاني : مجهول ، و الظاهر زيادة عن أبيه عن النساخ لأن محمد بن يحيى عطف على العدة ، و البرقي هو محمد بن خالد كما هو المصريح به في بعض النسخ ،

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» ^(١) قال : يُسْأَلُ السَّمْعُ عَمَّا سَمِعَ وَالبَصَرُ عَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَالفؤَادُ عَمَّا عَقَدَ عَلَيْهِ .

٣ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألتُه عن الايمان فقال: شهادة أن لا إله إلا الله [وأن محمداً رسول الله] والاقرار بما جاء من عند الله و ما استقر في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلي ، قلت : العمل من الايمان ؟ قال : نعم ، الايمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلا بعمل .

و أحمد البرقي و ابن عيسى يرويان عن محمد البرقي .

الحديث الثالث : مرسل

قوله : شهادة أن لا إله إلا الله أي التكلم بكلمة التوحيد والاقرار به ظاهراً وإنما اكتفى بها عن الاقرار بالرّسالة لتلازمهما أو هو داخل في قوله : و الاقرار بما جاء من عند الله ، والضمير في « جاء » راجع إلى الموصول أي الاقرار بكل ما أرسله الله من نبي أو كتاب أو حكم ما علم تفصيلاً و ما لم يعلم إجمالاً ، و كل ذلك الاقرار الظاهري .

و قوله : ما استقر في القلوب ، الاقرار القلبي بجميع ذلك ، وهذا أحد معاني الايمان كما عرفت ، ولا يدخل فيه أعمال الجوارح سوى الاقرار الظاهري بما صدق به قلباً ، ولما كان عند السائل أن الايمان محض العلوم والعقائد ولا يدخل فيه الأعمال استبعد كون الشهادة التي هي من عمل الجوارح من الايمان ، فأجاب عليه بأن العمل جزء الايمان .

« ولا يثبت الايمان » أي لا يتحقق واقعاً أولاً يثبت الايمان عند الناس إلا بالاقرار والشهادة التي هي عمل الجوارح أو لا يستقر الايمان إلا بأعمال الجوارح ، فان التصديق الذي لم يكن معه عمل يزول ولا يبقى .

- ٤ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْكَانٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ فَقَالَ : دِينَ اللَّهِ اسْمُهُ الْإِسْلَامُ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا حَيْثُ كُنْتُمْ وَبَعْدَ أَنْ تَكُونُوا فَمَنْ أَقْرَبَ بَدِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ .
- ٥ - عَنْهُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَبَلِيِّ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحَرِّ ، عَنْ أَبِي بصير قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ سَلَامٌ : إِنَّ خَيْثَمَةَ ابْنَ أَبِي خَيْثَمَةَ يَحْدِثُنَا عَنْكَ أَنَّهُ سَأَلَكَ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقُلْتَ لَهُ : «إِنْ

الحديث الرابع : مرسل

قوله عليه السلام : دِينَ اللَّهِ اسْمُهُ الْإِسْلَامُ ، لقوله تعالى : «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» ^(١) وقوله : «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا» ^(٢) .

«وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم» أي قبل أن تكونوا في عالم من العوالم أي حين لم تكونوا في عالم الأجساد ، ولا في عالم الأرواح و بعد أن تكونوا في أحد العوالم ، أو قبل أن تكونوا و توجدوا على هذا الهيكل المخصوص حيث كنتم في الأظلة أو في العلم الأزلي «و بعد أن تكونوا» في عالم الأبدان ، والاول أظهر ، وعلى التقديرين المراد عدم التغير في الأديان والازمان «فمن أقر بدين الله» أي العقائد التي أمر الله بالإقرار بها في كل دين قلباً وظاهراً «فهو مسلم و من عمل» أي مع ذلك الإقرار «بما أمر الله عز وجل به» من الفرائض وترك الكبائر أو الأعم «فهو مؤمن» وهذا أحد المعاني التي ذكرنا من الإسلام و الايمان .

الحديث الخامس : صحيح .

و سلام يحتمل ابن المستنير الجعفي ، و ابن أبي عمرة الخراساني و كلاهما مجهولان من أصحاب الباقر عليه السلام وخيثة بفتح الخاء ثم الياء المثناة الساكنة ثم المثناة المفتوحة غير مذكور في الرجال .

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

الإسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا و نسك نسكنا ووالى وليّنا و عادى عدونا فهو مسلم فقال : صدق خيثة ، قلت : وسألك عن الايمان فقلت : الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لا يعصى الله ، فقال : صدق خيثة .

قوله : من استقبل قبلتنا ، أى دين من استقبل فقوله : فهو مسلم ، تفريع وتأكيد ، أو قوله : فهو مسلم قائم مقام العائد لأنّه بمنزلة فهو صاحبه ، أو فهو المتّصف به « وشهد شهادتنا » أى شهادة جميع المسلمين .

« ونسك نسكنا » أى عبد كعبادة المسلمين فيأتى بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، أو المراد بالنسك أفعال الحج أو الذبح ، قال الراغب : النسك العبادة والناسك العابد ، واختص بأعمال الحج ، والمناسك مواقف النسك وأعمالها ، والنسيكة مختصة بالذبيحة ، قال : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ^(١) وقال تعالى : « فإذا قضيتُم مناسككم » ^(٢) وقال : « منسكاًهم فاسكوه » ^(٣) .

« ووالى وليّنا » أى ولى جميع المسلمين « و عادى عدونا » أى عدو جميع المسلمين وهم المشركون وسائر الكفار فهذا يشمل جميع فرق المسلمين .

« والتصديق بكتاب الله » يدخل فيه الاقرار بالرّسالة والامامة والعدل والمعاد « وأن لا يعصى الله » بالعمل بالفرائض وترك الكبائر أو العمل بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات ، والحاصل أنّه يحتمل أن يكون المراد بالاسلام الاسلام الظاهرى وان لم يكن مع التصديق القلبي ، وبالايمان العقائد القلبية مع الاقرار بالولاية والايان بالأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : والى وليّنا وعادى عدونا ، موالة أولياء الأئمة عليهم السلام و معاداة أعدائهم ، فالاسلام عبارة عن الاذعان بجميع العقائد الحقّة ظاهراً أو ظاهراً وباطناً والايمان عبارة عن إضمّام العقائد القلبية والأعمال معه أو الأعمال فقط ، وعلى كلّ تقدير يرجع إلى أحداطعانى المتقدّمة لهما .

(١) سورة البقرة : ١٩٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٠ .

(٣) سورة الحج : ٦٧ .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ابن درّاج ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، قلت : أليس هذا عمل ؟ قال : بلى ، قلت : فالعمل من الايمان ؟ قال : لا يثبت له الايمان إلاّ بالعمل والعمل منه .

٧ - بعض أصحابنا ، عن عليّ بن العباس ، عن عليّ بن ميسر ، عن حماد بن عمرو النصيبى قال سأل رجل العالم عليه السلام فقال : أيها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل عمل إلاّ به ، فقال : وما ذلك ؟ قال : الايمان بالله ، الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسنها حظاً وأشرّها منزلة ، قلت : أخبرني عن الايمان أقولُ وعملُ أم قولُ بلا عمل ؟ قال : الايمان عمل كلّهُ ، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بينه في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهد به الكتاب ويدعو إليه ، قلت : صف لي ذلك حتّى أفهمه ، فقال : إنّ الايمان حالات ودرجات وطبقات و منازل فمنه التامُ المنتهى تمامه ومنه الناقص المنتهى نقصانه ومنه الزائد الرّاجح زيادته ، قلت : و إنّ الايمان ليتمّ و يزيد و ينقص ؟ قال : نعم ، قلت : و

الحديث السادس : صحيح و مضمونه قريب من الحديث الثالث .

« أليس هذا عمل » كذا في النسخ بالرفع ولعله من تصحيف النسخ ويحتمل أن يكون إسم ليس ضمير الشأن و يكون مبنياً على لغة بنى تميم حيث ذهبوا إلى أن ليس إذا انتقض فيه يحمل على ما في الاعمال ، و النفي هنا منتقض بالاستفهام الإنكارى .

قوله عليه السلام : لا يثبت له الايمان ، الضمير راجع إلى المؤمن المدلول عليه بالايमान .

الحديث السابع : ضعيف على المشهور .

و هو جزء من الحديث الاول بتغييرات مخلّة .

منها ، قوله : بالله الذي هو ، فإنّ الصحيح بالله الذي لا إله إلاّ هو وقوله :

كيف ذلك ؟ قال : إنّ الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح بني آدم وقسمه عليها و فرقها فليس من جوارحهم جارحة إلا وهي موكلة من الايمان بغير ما وكلت به اختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل و يفقه و يفهم و هو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه و أمره ؛ ومنها يده اللتان يبطش بهما و رجلاه اللتان يمشي بهما و فرجه الذي الباه من قبله و لسانه الذي ينطق به الكتاب

بيّنه، الأصحّ بين ، و قوله: المنتهى نقصانه، كأنّ البين نقصانه أصحّ ، وقوله : لا تورد على بناء المجهول و الأصحّ لا ترد كما في بعض النسخ هنا أيضاً .

قوله : ينطق به الكتاب يظهر ممّا مرّ أنّه سقط هنا نحو من سطرين ، من ينطق به إلى ينطق به ، ويمكن أن يتكلف في تصحيح ما في النسخ بأن يقال من عمل اللسان أن ما يكتب في الكتب يصير متلفظاً به ، فكأنّ الكتاب ينطق بسبب اللسان كما قال تعالى : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » ^(١) و « يشهد » على بناء المفعول « به » أي بالكتاب « عليها » أي على اللسان بتأويل الجارحة ، و في المصباح قال القراء : لم أسمع اللسان من العرب إلا مذكراً ، وقال أبو عمر و بن العلاء : اللسان يذكر ويؤنث ، انتهى .

و قد صرّح في المغرب أيضاً بأنّه يذكر و يؤنث ، أو المراد باللسان عند إرجاع الضمير الكلمات الصادرة عنه ، فلذا أنث قال الجوهري : اللسان جارحة الكلام و قد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ ، انتهى .

ففيه استخدام ، و يحتمل أن يكون المراد بالكتاب أو لا كتاب الأعمال ، ويمكن إرجاع ضمير به إلى اللسان و ضمير عليها إلى الجوارح ، أي تؤاخذ الجوارح بما يشهد اللسان عليها .

كلّ ذلك خطر بالبال وإن كان كلّ منها لا يخلو من بعد ، وقيل : الظاهر

و يشهد به عليها ؛ وعيناهما اللتان يبصر بهما ؛ وأذناه اللتان يسمع بهما وفرض على القلب غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرضا بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحداً ، صمداً ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله .

٨ - محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن الأشعث بن محمد ، عن محمد بن حفص بن خارجة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : - وسأله رجل عن قول

أن المراد بالكتاب القرآن والضمير في « يشهد » راجع إليه وفي « به » إلى النطق أو إلى اللسان بحذف مضاف أى بأقواله ، وفي « عليها » إلى اللسان ونطق القرآن بأقوال اللسان خيراً وشرّاً وشهادته عليها كثير ، ويحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الايمان وصحيفتها وشهادته عليها يوم القيامة ظاهرة ، وربما يقرأ الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء بأن يراد به الحفظه للأعمال .

الحديث الثامن : مجهول .

و مفعول يقول قوله : سبحانه الله إلى آخر الكلام ، وإعادة « فقال » للتأكيد لطول الفصل ، وقد مر أن المرجئة قوم يقولون أنه لا يضر مع الايمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، ويظهر من هذا الخبر أنهم كانوا يقولون بأن الايمان هو الاقرار الظاهري ولا يشترط فيه الاعتقاد القلبي ، وكذا الكفر لكنّه غير مشهور عنهم ، قال في المواقف وشرحه : من كبار الفرق الاسلامية المرجئة لقبوا به لأنهم يرجئون العمل عن النية أى يؤخّرونه ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فهم يعطون الرجاء وعلى هذا ينبغي أن لا يهمز لفظ المرجئة و فرقه خمس : اليونانية أصحاب يونس النميري ،

المرجئة في الكفر والايمان وقال : إنهم يحتجّون علينا و يقولون : كما أن الكافر

قالوا : الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضرّ معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ، ولا يعاقب عليها ، والعبيديّة أصحاب عبید المكذّب زادوا على اليونسيّة أنّ علم الله لم يزل شيئاً غيره ، وأنه تعالى على صورة الانسان ، والغسائيّة أصحاب غسان الكوفي قالوا : الايمان هو المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما إجمالاً لا تفصيلاً وهو يزيد ولا ينقص ، وغسان كان يحكيه عن أبي حنيفة وهو افتراء عليه ، فانه لما قال الايمان هو التصديق ولا يزيد ولا ينقص ظنّ به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان ، والثوبانيّة أصحاب الثوبان المرجيّء قالوا : الايمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسوله وبكلّ ما لا يجوز في العقل أن يعقله ، وأمّا ما جاز في العقل أن يعقله فليس الاعتقاد به من الايمان وأخبر والعمل كلّ من الايمان ، والثومنية أصحاب أبي معاذ الثومني قالوا : الايمان هو المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول وترك كلّ أو بعضه كفر ، وليس بعضه إيماناً ولا بعض إيمان ، وكلّ معصية لم يجمع على أنّه كفر فصاحبه يقال : انه فسق وعصى وانه فاسق ، ومن ترك الصلوة مستحلاً كفر لتكذيبه لما جاء به النبي ﷺ ومن تركها بنية القضاء لم يكفر ، وقالوا السجود للصنم ليس كفراً بل هو علامة الكفر ، فهذه هي المرجئة الخالصة ، ومنهم من جمع إلى الارجاء القدر ، انتهى .

قوله : كما أن الكافر ، كأنه قاس الايمان بالكفر فان من أنكر ضرورياً من ضروريات الدين ظاهراً من غير تقيّة فهو كافر وإن لم يعتقد ذلك ، فاذا أقرّ بما جاء به النبي ﷺ يجب أن يكون مؤمناً غير معذّب وإن لم يعتقد بقلبه شيئاً من ذلك ، ولم يضمّ إليه أفعال الجوارح من الطاعات وترك المعاصي فأجاب ﷺ بأنه مع بطلان القياس لا سيّما في المسائل الاصوليّة فهو قياس مع الفارق ، ثم شبه ﷺ الأمرين بالاقرار والانكار ليظهر الفرق ، فان إنكار الضروري مستلزم لترك جزء من أجزاء الايمان وهو الاقرار الظاهري فهو بمنزلة إقرار الانسان على نفسه ، فانه لا يكلف

عندنا هو الكافر عند الله فكذلك نجد المؤمن إذا أقرّ بإيمانه أنه عند الله مؤمن ، فقال - سبحانه الله - كيف يستوي هذان والكفر إقرار من العبد فلا يكلف بعد إقراره ببيئته و الايمان دعوى لا يجوز إلاّ ببيئته و يبيّنه عمله و نيّته ، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكلّ جهة من هذه الجهات الثلاث من نيّة أو قول أو عمل والأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عند الله كافر و قد أصاب من أجرى عليه أحكام

بيئته على إقراره بل يحكم بمحض الاقرار عليه و ان شهدت البيئته على خلافه ، بخلاف إظهار الايمان و التكلم به ، فانه و إن أتى بجزء من الايمان و هو الاقرار الظاهري لكن عمدة أجزائه التصديق القلبي وهو مع ذلك مدّع لا بدّله من شاهد من عمل الجوارح عند الناس و من النية و التصديق عند الله ، فإذا اتفق الشاهدان وهما التصديق و العمل ثبت ايمانه عند الله ، ولما كان التصديق القلبي أمراً لا يطلع عليه غير الله لم يكلف الناس في الحكم بإيمانه إلاّ بالاقرار الظاهري والعمل فانهما شاهدان عدلان يحكم بهما ظاهراً و إن كانا كاذبين عند الله .

و الحاصل انه عليه السلام شبه الاقرار الظاهري بالدّعوى في سائر الدّعاوى ، و كما أن الدّعوى في سائر الدّعاوى لا تقبل إلاّ ببيئته فكذا جعل الله تعالى هذه الدّعوى غير مقبولة إلاّ بشاهدين من قلبه و جوارحه فلا يثبت عنده إلاّ بهما ، وأمّا عند الناس فيكفيهم في الحكم الاقرار و العمل الظاهري كما يكفى عند الضرورة بالشاهد واليمين ، فالإيمان مر كّب من ثلاثة أجزاء ولا يثبت الايمان الواقعي إلاّ بتحقيق الجميع فهو من هذه الجهة يشبه سائر الدّعاوى للزوم ثلاثة أشياء في تحقيقها الدّعوى والشاهدين .

ويمكن أن يكون الأصل في الايمان الأمر القلبي ولما لم يكن ظهوره للناس إلاّ بالاقرار والعمل ، فجعلهما الله من أجزاء الايمان أو من شرائطه ولو ازمه .
« وقد أصاب » أي حكم بالحق والصواب .

المؤمنين بظاهر قوله و عمله .

ثمّ اعلم أنّ أكثر المتكلّمين من الخاصّة و العامّة اختلفوا في أنّ الايمان هل يقبل الزيادة و النقصان كما يدلّ عليه بعض أخبار هذا الباب أم لا و منهم من جعل هذا الخلاف فرع الخلاف في أنّ الأعمال داخلة فيه أم لا ، قال إمامهم الرازي في المحصل: الايمان عندنا لا يزيد ولا ينقص لأنّه لمّا كان إسماعاً لتصديق الرّسول في كلّ ما علم بالضرورة مجيئه به ، وهذا لا يقبل التفاوت فسمّي الايمان لا يقبل الزيادة و النقصان ، و عند المعتزله لمّا كان إسماعاً لأداء العبادات كان قابلاً لهما ، و عند السلف لمّا كان إسماعاً للاقرار و الاعتقاد و العمل فكذلك ، و البحث لغوى و لكل واحد من الفرق نصوص ، و التوفيق أن يقال : الأعمال من ثمرات التصديق ، فما دلّ على أنّ الايمان لا يقبل الزيادة و النقصان كان مصروفاً إلى أصل الايمان ، و ما دلّ على كونه قابلاً لهما فهو مصروف إلى الايمان الكامل ، انتهى .

و قال الشهيد الثاني قدس سرّه في رسالة العقائد : حقيقة الايمان بعد الانقسام بها بحيث يكون المتّصف بهاموئناً عند الله تعالى هل تقبل الزيادة أم لا ، ف قيل بالثاني لما تقدّم من أنّه التصديق القلبي الذي بلغ الجزم و الثبات ، فلا تتصور فيه الزيادة عن ذلك ، سواء أنى بالطاعات و ترك المعاصي أم لا ، و كذا لا تعرض له النقيصة و إلاّ لما كان ثابتاً و قد فرضناه كذلك هذا خلف و أيضاً حقيقة الشئ لو قبلت الزيادة و النقصان لكانت حقايق متعددة ، و قد فرضناها واحدة ، هذا خلف ، و إن قلت : حقيقة الايمان من الامور الاعتبارية للشارع و حينئذ فيجوز أن يعتبر الشارع للايمان حقايق متعدّدة متفاوتة زيادة و نقصاناً بحسب مراتب المكلفين في قوّة الادراك و ضعفه ، فإنّنا نقطع بتفاوت المكلفين في العلم و الادراك ؟ قلت : لو جاز ذلك و كان واقعاً لوجب علي الشارع بيان حقيقة ايمان كلّ فرقة يتفاوتون في قوّة الادراك ، مع أنّه لم يبيّن ما ورد من جهة الشارع فيما به يتحقّق الإيمان من حديث جبرئيل للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و غيره من الأحاديث قد مرّ ذكره ، و ليس فيه شيء يدلّ على تعدد الحقائق بحسب

تفاوت قوى المكلفين .

وَأَمَّا ما ورد في الكتاب العزيز و السنّة المطهّرة ممّا يشعر بقبوله الزيادة والنقصان كقوله تعالى : « و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ^(١) وقوله تعالى : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » ^(٢) وقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصّالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا و آمنوا و عملوا الصّالحات ثمّ اتّقوا و آمنوا ثمّ اتّقوا و أحسنوا والله يحبّ المحسنين » ^(٣) وكذا ما ورد من أمثال ذلك في القرآن العزيز فمحمول على زيادة الكمال وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة الذي هو محلّ النزاع ، و الآية الثانية صريحة في ذلك فإنّ قوله تعالى : « مع إيمانهم » يدلّ على أنّ أصل الايمان ثابت ، أو على من كان في عصر النبيّ حيث كانوا يسمعون فرضاً بعد فرض منه ﷺ فيزداد إيمانهم به لأنهم لم يكونوا مصدّقين به قبل أن يسمعوه .

وحاصله أنّ الحقيقة الشرعيّة للايمان لم تكن حصلت بتمامها في ذلك الوقت ، فكان كلّما حصل منها شيء صدقوا به ، واعترض بأنّ من كان بعد عصر النبيّ ﷺ يمكن في حقّه تجديد الاطلاّع على تفاصيل الفرائض المتوقّف عليها الايمان فأنّه يجب الاعتقاد إجمالاً فيما علم اجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، ولا ريب أنّ اعتقاد الامور المتعدّدة تفصيلاً أزيد وأظهر عند النفس من اعتقادها إجمالاً فعلم من ذلك قبول حقيقة الايمان الزيادة .

أقول : فيه بحث فإنّ الجازم بحقيقة الجملة جازم بحقيقة كلّ جزء منها وإن لم يعلمه بعينه ، ألا ترى أنّا بعد علمنا بصدق النبيّ ﷺ جازمون بصدق كلّ ما يخبر به وإن لم نعلم تفصيل ذلك جزءاً جزءاً ، حتّى لو فصل ذلك علينا واحداً واحداً لما ازداد

(١) سورة الانفال : ٢ .

(٢) سورة الفتح : ٤ .

(٣) سورة المائدة : ٩٣ .

• • • • •

ذلك الجزم ، نعم الزائد في التفصيل إنما هو إدراك الصور المتعددة من حيث التعدد والتشخيص وهو لا يوجب زيادة في التصديق الاجمالي الجازم ، فإن هذه الصور قد كانت مجزوماً بها على تقدير دخولها في الهيئة الاجمالية ، وإنما الشاذ عن النفس إدراك خصوصياتها وهو أمر خارج عن تحقق الحقيقة المجزوم بها ، نعم لا ريب في حصول الأكمليّة به وليس الكلام فيها .

وقد أجاب بعض المفسرين عن الآية الثالثة بأن تكرار الايمان فيها ليس فيه دلالة على الزيادة ، بل إما أن يكون باعتبار الأزمنة الثلاثة أو باعتبار الأحوال الثلاث ، حال المؤمن مع نفسه ، وحاله مع الناس ، وحاله مع الله تعالى ، ولذا بدّل الايمان بالاحسان كما يرشد إليه قوله ﷺ في تفسير الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فاتّه يراك ، أو باعتبار المراتب الثلاث المبدء والوسط والمنتهى ، أو باعتبار ما ينبغي فانه ينبغي ترك المحرمات حذراً عن العقاب ، وترك الشبهات تباعداً عن الوقوع في المحرمات وهو مرتبة الورع ، وترك بعض المباحات المؤذنة بالنقص حفظاً للنفس عن الخسة ، وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة ، أو يكون هذا التكرار كناية عن أنه ينبغي للمؤمن أن يجدد الايمان في كل وقت بقلبه ولسانه وأعماله الصالحة ، وعبر عنه على بقائه^(١) والثبات عليه عند الذهول ليصير الايمان ملكة للنفس فلا يزلزله عروض شبهة ، انتهى .

قيل : في بيان قبول الايمان الزيادة أن الثبات والدوام على الايمان أمر زائد عليه في كل وقت وزمان ، و حاصل ذلك يرجع إلى أن الايمان عرض لأنه من الكيفيات النفسانية والعرض لا يبقى زمانين بل بقاءه إنما يكون بتجدد الأمثال . اقول : وهذا مع بقاءه على ما لم يثبت حقيقته بل نفيه فليس من الزيادة في شيء ، إذ لا يقال للمائل الحاصل بعد إنعدام مثله أنه زائد وهذا ظاهر ، وقيل في

(١) استظهر في هامش المخطوطة أن يكون الاصل « حرصاً منه على بقائه » .

توجيه قبوله الزيادة : أنه بمعنى زيادة ثمرته من الطاعات وإشراق نوره وضيائه في القلب وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

أقول : هذا التوجيه وجيه لو كان النزاع في مطلق الزيادة لكنه ليس كذلك بل النزاع إنما هو في أصل حقيقته لاني كما لها .

واستدل بعض المحققين على أن حقيقة التصديق الجازم الثابت تقبل الزيادة والنقصان بأننا نقطع أن تصديقنا ليس كتصديق النبي ﷺ .

أقول : لا ريب في أننا قاطعون بأن تصديق النبي ﷺ أقوى من تصديقنا وأكمل ، لكن هذا لا يدل على اختلاف أصل حقيقة الايمان التي قدرها الشارع باعتقاد أمور مخصوصة على وجه الجزم والثبات ، فان تلك الحقيقة إنما هي من إعتبارات الشارع ، ولم يعهد من الشارع اختلاف حقيقة الايمان باختلاف الملكتين في قوة الإدراك ، بحيث يحكم بكفر قوى الإدراك لو كان جزمه بالمعارف الإلهية كجزم من هو أضعف إدراكا منه ، نعم الذي تفاوت فيه الملكتون إنما هو مراتب كماله بعد تحقق أصل حقيقته التي يخاطب بتحصيلها كل مكلف ويعتبر بها مؤمناً عند الله تعالى وتبته حق الثواب الدائم وبدونها العقاب الدائم ، وأما تلك الكمالات الزائدة فأنما تكون باعتبار قرب المكلف إلى الله تعالى بسبب استشعاره لعظمة الله وكبريائه وشمول قدرته وعلمه ، وذلك لاشراق نفسه وإطلاعها على مافي مصنوعات الله تعالى من الاحكام والاتقان والحكم والمصالح ، فان النفس إذا لاحظت هذه البدايع الغريبة العظيمة التي تحار في تعقلها مع علمها بأنها تشترك في الامكان والافتقار إلى صانع يبدعها ويبدئها متوحد في ذاته بذاته انكشف عليها كبرياء ذلك الصانع وعظمته وجلاله وإحاطته بكل شيء ، فيكثر خوفها وخشيتها واحترامها لذلك الصانع حتى كأنها لا تشاهد سواه ولا تخشى غيره ، فتنقطع عن غيره وإليه وتسلم أزمه أمورها إليه حيث علمت أن لا رب غيره وأن المبدء منه والمعاد إليه ، فلا تزال شاخصة منتظرة

لأمره حتى تأيتها ففقرٌ إليه من ضيق الجهالة إلى سعة معرفته ورحمته ولطفه ، و في ذلك فليتنافس المتنافسون .

وكذا ما ورد من السنّة المطهّرة ممّا يشعر بقبوله الزيادة والنقصان يمكن حمله على ما ذكرناه كحديث الجوارح ، ذكره في الكافي بإسناده عن أبي عمرو الزيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : صفه لي يعني الايمان جعلت فداك حتّى أفهمه ، فقال : الايمان حالات ودرجات ، إلى قوله : وبالنقصان دخل المفرّطون النار ، انتهى . ثم قال (ره) : أعلم أنّ سند هذا الحديث ضعيف لأنّ في طريقه بكر بن صالح الرازي وهو ضعيف جداً كثير التفرّد بالفرائب ، وأبو عمرو الزيري وهو مجهول فسقط الاستدلال به ، ولو سلّم سنده فلا دلالة فيه على اختلاف نفس حقيقة الايمان التي يترتّب عليها النجاة ، وجعل الناقص عنها يترتّب عليه دخول النار ، فلم يكن إيماناً وإلّا لم يدخل صاحبه النار بقوله تعالى : أعد الله للمؤمنين والمؤمنات جنّات .

وجعل الزيادة في الايمان ممّا يوجب التفاضل في الدرجات ، ولا ريب أنّ هذه الزيادة لو ترك واقتصر المكلف على ما يحصل به التمام لم يعاقب على ترك هذه الزيادة ، ولأنّه عليه السلام جعل التمام موجباً للجنّة فكيف يوجب العقاب ترك الزيادة مع أنّ ما دونه وهو التمام يوجب الجنّة ، وعلى هذا فتكون الزيادة غير مكلف بها فلم تكن داخلة في أصل حقيقة الايمان لأنّه مكلف به بالنص والاجماع ، فيكون من الكمال ، فظهر بذلك كون الحديث دليلاً على عدم قبول حقيقة الايمان للزيادة والنقصان ، لا دليلاً على قبولهما ، وهذا استخراج لم نسبق إليه ، وبيان لم يعثره غيرنا عليه .

على أنّ هذا الحديث لو قطعنا النظر عمّا ذكرنا وحملناه على ظاهره لكان

معارضاً بما سبق من حديث جبرئيل للنبي ﷺ حيث سئله عن الايمان فقال : أن تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر ، أي تصدق بذلك ، ولو بقي من حقيقته شيء سوى ما ذكره له لبيته له ، فدل على أن حقيقته تتم بما أجابه بالقياس إلى كل مكلف أما للنبي ﷺ فلا أنه المجاب به حين سألته ، وأما غيره فالتأسي به وطريق الجمع بينهما حينئذ حمل ما في حديث الجوارح من الزيادة عن ذلك على مرتبة الكمال بيناه سابقاً .

وههنا بحث وهو أن حقيقة الايمان لما كانت من الامور الاعتبارية للشارع كان تحديدها إنمّا هو بجعل الشارع وتقريره لها ، فلا يعلم حينئذ مقدار حقيقته إلا منه ، وحيث رأينا ما وصل إلينا من خطابه تعالى غير قاطع في الدلالة على تعيين قدر مخصوص من أنواع الاعتقاد والأعمال بحيث تشترك الكل في التكليف به من غير تفاوت بين قوى الادراك وضعيفه ، بل رأيناها متفاوتة في الدلالة على ذلك يعلم ذلك من تتبع آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة وقد سبق نبذة من ذلك ولا يجوز الاختلاف في خطابه ، ولا أن يكلف عباده بأمر لا يبين لهم مراده تعالى منه ، لاستحالة تكليف ما لا يطاق وإخلاله باللطف ورأينا الاكثر وروداً في كتابه بذلك الامر بالاعتقاد القلبي من غير تعيين مقدار مخصوص منه بقاطع يوقفنا على اعتباره أمكن حينئذ أن يكون مراده منه مطلق الاعتقاد العلمي سواء كان علم الطمأنينة أو علم اليقين أو حق اليقين أو عين اليقين فتكون حقيقة واحدة وهو الاذعان القلبي والاعتقاد العلمي ، والتفاوت بالزيادة والنقصان إنمّا هو في أفراد تلك الحقيقة ومن مشخصاتها فلا يكون داخل في الحقيقة المذكورة ، وما ورد مما ظاهره الاختلاف في الدلالة على مراد الشارع منه يمكن تنزيله على تفاوت الأفراد المذكورة كعلم الطمأنينة وعلم اليقين وغيرهما فيكون كل واحد منها مراداً وكافياً في امتثال أمر الشارع .

وهذا هو المناسب لسهولة التكليف واختلاف طبقات المكلفين في الادراك كما

• • • • •

لا يخفى ، وبذلك يسهل الخطب في الحكم بايمان أكثر العوام الذين لا يتيسر
لأنفسهم الاتصاف بالعلم الذي لا يقبل تشكيك المشكك ، فان علم الطمأنينة متيسر
لكل واحد ، وعلى هذا فيكون ما تشعر النفس به من الازدياد في التصديق والاطمينان
عند ما تشاهده من برهان أو عيان ، إنمّا هو انتقال في أفراد تلك الحقيقة وتبدل
واحد بآخر ، والحقيقة واحدة .

لا يقال : أفراد الحقيقة الواحدة لا تنافي الاجتماع في القوة العاقلة فان
أفراد الحيوان والانسان يصلح اجتماعها في القوة العاقلة وما نحن فيه ليس كذلك ،
إذ لا يمكن إتصاف الحصول بنفس علم الطمأنينة وعلم اليقين في حالة واحدة
لتضادّهما وبهذا يزول الاول بحصول الثاني فلا يكون ما ذكرت أفراد حقيقة واحدة
بل حقايق .

قلت : لا نسلم أن أفراد كل حقيقة يصح اجتماعها في الحصول عند القوة
العاقلة ، بل قد لا يصح ذلك لما بينها من التضاد كما في البياض والسواد فانها
فردان لحقيقة واحدة هي اللون مع عدم صحّة اجتماعهما في محل واحد لا خارجاً
ولا ذهنياً .

بقى ههنا شيء وهو أنّه لا ريب في تحقّق الايمان الشرعي بالتصديق الجازم
الثابت وإن أخذ المتصّف به ببعض الطاعات ، وقارّف بعض المنهيات عند من يكفي
في حصول الايمان باذعان الجنان ، وإذا كان الأمر كذلك فلامعنى للنزاع عندهؤلاء في
أن حقيقة الايمان هل تقبل الزيادة والنقصان ، إذ لو قبلت شيئاً منهما لم تكن واحدة
بل متعدّدة ، لأنّ القابل غير المقبول ، والعارض غير المعروض فان دخل الزائد في
مفهوم الحقيقة بحيث صار ذاتياً لها تعدّت وتبدّلت ، وكذا الناقص إذا خرج عنها
فلا تكون واحدة ، وقد فرضناها كذلك ، هذا خلف ، وإن لم يدخل ولم يخرج شيء
منهما كانت واحدة من غير نقصان وزيادة فيها بل هما راجعان إلى الكمال وعدمه

وحينئذٍ فيبقى محلّ النزاع هل يقبل كما لها الزيادة والنقصان ، وأنت خبير بأنّ هذا ممّا لا يختلف في صحته اثنان ، وقد ذكر بعض العلماء أنّ هذا النزاع إنّما يتمشّي على قول من جعل الطاعات من الايمان .

وأقول : الذي يقتضيه النظر أنّه لا يتمشّي على قولهم أيضاً ، وذلك أنّ ما اعتبروه في الايمان من الطاعات إمّا أن يريدوا به توقّف حصول الايمان على جميع ما اعتبروه أو عليه في الجملة ، و على الأوّل يلزم كون حقيقته واحدة ، فاذا ترك فرضاً من تلك الطاعات يخرج من الايمان و على الثاني يلزم كون ما يتحقّق به الايمان من تلك الطاعات داخلاً في حقيقته وما زاد عليه خارجاً فتكون واحدة على التقديرين ، فليس الزيادة والنقصان إلّا في الكمال على جميع الأقوال ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال شارح المقاصد : ظاهر الكتاب و السنّة و هو مذهب الأشاعرة والمعتزلة والمحكي عن الشافعي و كثير من العلماء أنّ الايمان يزيد وينقص ، وعند أبي حنيفة وأصحابه و كثير من العلماء وهو اختيار إمام الحرمين أنّه لا يزيد ولا ينقص لأنّه إسم للتصديق البالغ حدّ الجزم والإذعان ولا يتصور فيه الزيادة والنقصان ، والمصدق إناضم الطاعات إليه أو ارتكب المماصّي فتصديق بحاله لم يتغيّر أصلاً وإنّما يتفاوت إذا كان إسمّاً للطاعات المتفاوتة قلّة وكثرة ، ولهذا قال الامام الرازي وغيره : إنّ هذا الخلاف فرع تفسير الايمان ، فان قلنا : هو التصديق فلا يتفاوت ، وإن قلنا هو الأفعال فمتفاوت .

وقال إمام الحرمين : إذا حملنا الايمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقاً كما لا يفضل علم علماً ومن حمله على الطاعة سرّاً وعلناً وقد مال إليه القلانسي فلا يبعد إطلاق القول بأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية و نحن لا نؤثر هذا ، ثمّ قال : و لقائل أن يقول : لانسلم أنّ التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت قوة وضعفاً كما في التصديق

بطلوع الشمس والتصديق. بحدوث العالم لأنّه إمّا نفس الاعتقاد القابل للتفاوت أو مبنيّ عليه قلة وكثرة كما في التصديق الاجمالي والتفصيلي الملاحظ لبعض التفاصيل وأكثر، فإنّ ذلك من الايمان لكونه تصديقاً بما جاء به النبي ﷺ إجمالاً فيما علم إجمالاً ، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً .

لا يقال : الواجب تصديق يبلغ حدّ اليقين وهو لا يتفاوت ، لأنّ التفاوت لا يتصور إلاّ باحتمال النقيض .

لانا نقول : اليقين من باب العلم والمعرفة ، وقد سبق أنّه غير التصديق ، ولو سلّم أنّه التصديق وأنّ المراد به ما يبلغ حدّ الاذعان والقبول ويصدق عليه المعنى المسمّى بـ كرويدن ليكون تصديقاً قطعاً فلا نسلّم أنّه لا يقبل التفاوت ، بل لليقين مراتب من أجليّ البديهيات إلى أخفى النظريات ، وكون التفاوت راجعاً إلى مجرد الجلاء والخفاء غير مسلّم بل عند الحصول وزوال التردد التفاوت بحاله ، وكفاك قول الخليل : « ولكن ليطمئنّ قلبي » وعن عليّ عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

على أنّ القول بأنّ المعتمد في حقّ الكلّ هو اليقين وأنّ ليس للظنّ الغالب الذي لا يخطر معه النقيض بالبال حكم اليقين محلّ نظر .

احتجّ القائلون بالزيادة والنقصان بالعقل والنقل أما العقل فلا أنّه لو لم يتفاوت لكان ايمان آحاد الأمّة بل المنهمك في الفسق مساوياً لتصديق الانبياء واللازم باطل قطعاً وأمّا النقل فللكثرة النصوص الواردة في هذا المعنى ، قال الله : « وإذا تلّيت عليهم آياتنا زادتهم ايماناً »^(١) « ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم »^(٢) « ويزداد الذين آمنوا ايماناً »^(٣) « وما زادهم إلاّ ايماناً وتسليماً »^(٤) « فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً »^(٥) وعن

(١) سورة الانفال : ٢ .

(٢) سورة الفتح : ٤ .

(٣) سورة المدثر : ٣١ .

(٤) سورة الاحزاب : ٢٢ .

(٥) سورة التوبة : ٢٤ .

ابن عمر قلنا : يا رسول الله انّ الايمان يزيد و ينقص ؟ قال : نعم يزيد حتّى يدخل صاحبه الجنة و ينقص حتّى يدخل صاحبه النار .

و أجيّب بوجوه : الأوّل : أنّ المراد الزيادة بحسب الدوام و الثبات و كثرة الأزمان و الساعات و هذا ما قال إمام الحرمين : النبي ﷺ يفضل من عداه باستمرار تصديقه و عصمة الله إياه من مخامرة الشكوك ، والتصديق عرض لا يبقى ، فيقع للنبي متواليّاً و لغيره على الفترات ، فثبت للنبي ﷺ أعداد من الايمان لا يثبت لغيره إلا بعضها ، فيكون ايمانه أكثر ، و الزيادة بهذا المعنى مما لا نزاع فيه .

و ما يقال : من أنّ حصول المثل بعد إعدام الشيء لا يكون زيادة ، مدفوع بأنّ المراد زيادة أعداد حصلت و عدم البقاء لا ينافي ذلك .

الثاني : أنّ المراد الزيادة بحسب زيادة المؤمن به ، و الصحابة كانوا آمنوا في الجملة و كان يأتي فرض بعد فرض ، وكانوا يؤمنون بكلّ فرض خاصّ ، وحاصله أنّ الايمان واجب اجمالاً فيما علم إجمالاً و تفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، و الناس متفاوتون في ملاحظة التفاصيل كثرة و قلة ، فيتفاوت ايمانهم زيادة و نقصاناً و لا يختصّ ذلك بعصر النبي ﷺ على ما يتوهّم .

الثالث : أنّ المراد زيادة ثمرته و إشراف نوره في القلب فأنّه يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصي ، و هذا ممّا لا يخفاء فيه ، و هذه الوجوه جيّدة في التأويل لو ثبت لهم أنّ التصديق في نفسه لا يقبل التفاوت و الكلام فيه ، إنتهى .

و الحقّ أنّ الايمان يقبل الزيادة و النقصان ، سواء كانت الأعمال أجزاء أو شرائطه أو آثاره الدالة عليه ، فإنّ التصديق القلبي بأيّ معنى فسر لا ريب أنّه يزيد ، و كلّما ازدادت آثاره على الاعضاء و الجوارح فهي كثرة و قلة تدلّ على مراتب الايمان زيادة و نقصاناً ، و كلّ منهما يتفرّع على الآخر ، فإن كلّ مرتبة من مراتب الايمان يصير سبباً لقدّر من الأعمال يناسبها ، فإذا أتى بها قوى الايمان

﴿باب﴾

﴿السبق إلى الإيمان﴾

١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال : حدثنا أبو عمر والزُّبيري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنَّ للإيمان درجات ومنازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم ، قلت : صفه لي رحمك الله حتى أفهمه ، قال : إنَّ الله سبَّق بين المؤمنين كما سبَّق بين الخيل يوم الرِّهان ، ثمَّ فضَّلهم

القلبي ، وحصلت مرتبة أعلى تقتضي عملاً أكثر ، وهكذا و سيأتي مزيد تأييد لذلك في الأخبار إنشاء الله تعالى .

باب السبق إلى الإيمان

الحديث الاول : ضعيف ، و تتمّة من الحديث الكبير المذكور في الباب السابق .

« درجات » أي ذو درجات أو نفسه باعتبار إضافة الدرجات و قيل : الدرجات مراتب الترقّيات ، و المنازل مراتب التنزّلات ، و يحتمل أن يكون المقصود منهما واحداً أطلق عليهما اللفظان باعتبارين « إنَّ الله سبَّق » على بناء التفعيل المعلوم ، و يسبَّق على بناء التفعيل المجهول ، أي قرّر السبق وقدّره بينهم في الإيمان ، و ندبهم إليه كما يسابق بين الخيل يوم الرِّهان ، والخيل جماعة الأفراس لا واحد له ، و قيل : واحده خائل لأنّه يختال و جمعه أخيال و خيول ، و يطلق الخيل على الفرسان ، أيضاً و المراهنة و الرهان بالكسر المسابقة على الخيل ، و كأنّه عليه السلام سبّه مدّة الحياة بالمضمار و الأرواح بالفرسان ، و الأبدان بالخيول ، و العلم الذي يسبق إليه منتهى مراتب الإيمان ، و السبق الذي يراهن عليه الجنّة ، فمنهم من سبق الكلّ و بلغ الغاية و هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و منهم من تأخّر عن الكلّ ، و منهم من

على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً ، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها ولولم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق اذ للحق آخر هذه الأمة أوّلها ، نعم ولتقدم موهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على من أبطأ عنه

بقي في وسط الميدان ومنازلهم بحسب العقائد والأعمال كمّاً وكيفاً لا يتناهى . قوله عليه السلام : فجعل كل امرئ منهم ، أي أعطاه ما يستحقه من الكرامة والأجر والذكر الجميل ، قيل في الاقتصاد بنفي النقص دون الزيادة ايماء إلى جوازها من باب التفضل وإن لم يستحق .

«ولا يتقدم» أي في الفضل والثواب «سبوق» في الايمان «سابقاً» فيه ولا مفضول في الكمالات والأعمال الصالحة سابقاً فيهما «تفاضل» استيناف بياني «بذلك» أي بالسبق «أوائل هذه الأمة» أي من تقدم ايمانه من الصحابة «وأواخرها» منهم أو الأعم من الصحابة وغيرهم أو الصحابة على التابعين ، والتابعين على غيرهم ، و ظاهره السبق الزماني إشاراً بأن الفاصبين للمخالفة وإن فرض منهم تحقق إسلام وعمل صالح فلا يجوز تقديمهم على أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كان أوّلهم إيماناً وأسبقهم مع قطع النظر عن سائر الكمالات والفضائل التي استحق بها التقديم .

ويحتمل أن يكون المراد أعم من السبق الزماني والسبق بحسب الرتبة وكمال اليقين ، فالأكثريّة بحسب الكميّة لا الكيفيّة فانها تابعة للكمالات النفسانيّة والحقايق الايمانيّة التي هي من الأعمال القلبية لكنّه بعيد عن السياق ، وقوله : نعم تأكيد لقوله : للحق ، وقوله ولتقدم موهم عطف على قوله : نعم ، أو على قوله : للحق ، وقوله : إذا لم يكن إعادة للشرط السابق تأكيداً .

أو المعنى أنّه لو لم يكن للسبق الزماني مدخل في الفضل ، للزم أن يجوز لحوق المتأخرين السابقين أو تقدمهم عليهم مع عدم تحقق فضل في أصل الايمان وشرائطه

ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين وبالإبطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثر هم صلاةً وصوماً وحجاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم

ومكملاته للسابقين على اللاحقين ، فاللحوق في صورة المساواة ، والتقدّم في صورة زيادة إيمان اللاحقين على إيمان السابقين ، والحال أنه ليس كذلك فإنّ لهم بالتقدّم الزماني فضلاً عليهم ، فالمراد بالفضل ما هو غير السبق الزماني ، وقوله : ولكن إضراب عن قوله : نعم ولتقدّموهم « الخ » .

أو المراد بالدرجات ما هو باعتبار السبق الزماني من الأولين أو من بعضهم مقدّمين على الأولين أي مطلقاً ، لكن ليس كذلك بل ربما كان بعض الأولين باعتبار السبق أفضل من كثير من الآخرين وإن كانوا أقلّ منهم عملاً باعتبار تقدّمهم وسبقهم وصعوبة الإيمان في ذلك الزمان ، وبسبب أنّ لهم مدخلاً عظيماً في إيمان الآخرين .

والحاصل أنّ المسابقة تكون بحسب الرتبة والزمان ، فمن اجتمعا فيه كأمر المؤمنين صلوات الله عليه فهو الكامل حقّ الكمال ، والسابق على كلّ حال ، ومن انتفى عنه الأمران فهو الناقص المستحقّ للخذلان والوبال ، وأمّا إذا تعارض الأمران فظاهر الخبر أنّ السابق زماناً أفضل وأعلى درجة من الآخر ، وقال بعض المحققين : الغرض من هذا الحديث أن يبيّن أن تفاضل درجات الإيمان بقدر السبق والمبادرة إلى إجابة الدعوة إلى الإيمان .

وهذا يحتمل عدّة معان : أحدها : أن يكون المراد بالسبق السبق في الذرّ وعند الميثاق كما مرّ أنّه سئل رسول الله ﷺ بأيّ شيء سبقت ولد آدم ؟ قال : إنّني أوّل من أقرّ برّبّي إنّ الله أخذ ميثاق النّبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى ، فكنت أوّل من أجاب ، وعلى هذا يكون المراد بأوّل هذه الامة وأوّل غيرها أوّلها وأوّلها في الإقرار والاجابة هناك فالفضل للمتقدّم في قوله بلى ، والمبادر إلى

بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدمين على الأولين ولكن أبى الله عز وجل أن يدرك آخر درجات الايمان أولها ، ويقدم فيهما من أخر الله أو يؤخر فيها

ذلك ، ثم المتقدم والمبادر .

والمعنى الثانى أن يكون المراد بالسبق السبق في الشرف والرتبة والعلم والحكمة وزيادة العقل والبصيرة في الدين ، ووفور سهام الايمان الآتى ذكرها ، ولا سيما اليقين كما يستفاد من الأخبار الآتية ، وعلى هذا يكون المراد بأوائل هذه الامة وأواخرها أوائلها وأواخرها في مراتب الشرف والعقل والعلم ، فالفضل للأعقل والأعلم والأجمع للكلمات ، وهذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول لتلازمهما ووحدة مآلهما واتحاد محصلهما ، والوجه في أن الفضل للسابق على هذين المعنيين ظاهر لامرية فيه ، ومما يدل على إرادة هذين المعنيين الذين مرجعهما إلى واحد، قوله عَلَيْهِ السَّلَام : ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون إلى قوله : من قدم الله ، ولا سيما قوله : أبى الله أن يدرك آخر درجات الايمان أولها .

ومن تأمل في تمتة الحديث أيضاً حق التأمل يظهر له أنه المراد إنشاء الله تعالى . والمعنى الثالث أن يكون المراد بالسبق السبق الزمانى في الدنيا عند دعوة النبي ﷺ إليهم إلى الايمان ، وعلى هذا يكون المراد بأوائل هذه الامة وأواخرها في الإجابة للنبي ﷺ وقبول الاسلام والتسليم بالقلب والانقياد للتكاليف الشرعية طوعاً ، ويعرف الحكم في سائر الأزمنة بالمقايسة .

وسبب فضل السابق على هذا المعنى أن السبق في الإجابة للمحق دليل على زيادة البصيرة والعقل والشرف التى هى الفضيلة والكمال .

والمعنى الرابع أن يراد بالسبق السبق الزمانى عند بلوغ الدعوة فيعلم الأزمنة المتأخرة عن زمن النبي ﷺ .

وهذا المعنى يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون المراد بالأوائل والأواخر ما ذكرناه أخيراً ، وكذا السبب في الفضل ، والآخر : أن يكون المراد بالأوائل من

من قدّم الله . قلت : أخبرني عما ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عزّ وجلّ : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » ^(١) وقال : « السابقون

كان زمن النبي ﷺ ، وبالأواخر من كان بعد ذلك ، ويكون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الاسلام وترك ما نشأوا عليه في تلك الزمن ، وسهولته فيما بعد استقرار الأمر وظهور الاسلام وانتشاره في البلاد ، مع أن الأوائل سبب لاهتداء الأواخر إذ بهم وبنصرتهم استقرّ ما استقرّ وقوى ما قوى وبان ما استبان والله المستعان ، انتهى . قوله : أخبرني عما ندب الله ، لمّا دلّ كلامه ﷺ سابقاً على أنه تعالى طلب منهم الاستباق إلى الإيمان سئله الراوى عن الآيات الدالة عليه .

« سابقوا إلى مغفرة » كذا في سورة الحديد ، وفي سورة آل عمران : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » ^(٢) وكان مقتضى الجمع بين الآيتين أن المراد بالمسارعة المسابقة ، أي سارعوا مسابقين إلى سبب مغفرة من ربكم من الإيمان والأعمال الصالحة « وجنة » أي إلى الجنة « عرضها كعرض السماء والأرض » وفي آل عمران « عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

قال المحقق الأردبيلي قدس سرّه : كنّى بالعرض عن مطلق المقدار وهو متعارف ، ونقل على ذلك الأشعار في مجمع البيان ، أولاً أنه لمّا علم أن عرضه الذي هو أقل من الطول عرفاً في غير المساوى علم أن طوله أيضاً يكون إمّا أكثر أو مثله . وقال الفاضل : ذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لأنه دون الطول ، وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ، وظاهر الآية وجوب المسارعة أو رجحانها إلى الطاعة الموجبة للدخول في الجنة وأعظمها الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والترقى إلى مقاماتها العالية . « أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » ظاهر هذه الآية وغيرها من الآيات

السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»^(١) وقال : «السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالرَّوَايَاتِ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةُ الْآنَ وَكَذَا النَّارُ وَقَالَ بِهِ الْأَصْحَابُ ، وَصَرَّحَ بِهِ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي بَعْضِ رِسَائِلِهِ وَقَالَ : إِنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ مَسْكُونَةٌ سَكَنْتَهَا الْمَلَائِكَةُ وَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهَا فِي السَّمَاءِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّهُ يَكُونُ بَعْضُهَا فِي السَّمَاءِ وَيَكُونُ الْبَعْضُ الْآخِرُ فَوْقَهَا ، أَوْ يَكُونُ أَبْوَابُهَا فِيهَا أَوْ فَوْقَ الْكُلِّ ، وَمَا ذَكَرَهُ الْحُكَمَاءُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ شَرْعاً وَهُوَ ظَاهِرٌ كَمَا قِيلَ أَنَّ النَّارَ تَحْتَ الْأَرْضِ فَتَكُونُ الْآيَةُ دَلِيلًا عَلَى بَطْلَانِ مَا قَالُوهُ ، انْتَهَى .

وقال البيضاوى : فيه دلالة على أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ وَأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى أَنَّهُمَا غَيْرُ مَخْلُوقَتَيْنِ وَأَنَّهُمَا تَخْلُقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

« وَقَالَ » أَى فِي الْوَاقِعَةِ : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » قَالَ الْبَيْضَاوَى : أَى الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ بَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ تَلَعُّمٍ وَتَوَانٍ ، أَوْ سَبَقُوا إِلَى حِمَايَةِ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ أَوْ الْأَنْبِيَاءِ فَانْتَهَمَ مَقَدِّمُوا أَهْلَ الْأَدْيَانِ هُمُ الَّذِينَ عَرَفَتْ حَالَهُمْ وَعَرَفَتْ مَا لَهُمْ كَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ : « وَشَعْرَى شَعْرَى » أَوِ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْجَنَّةِ . « أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » « فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » أَى الَّذِينَ قَرَبَتْ دَرَجَاتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَأَعْلَيْتْ مَرَاتِبُهُمْ .

« وَقَالَ » أَى فِي التَّوْبَةِ « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ » فِي الْمَجْمَعِ أَى السَّابِقُونَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِطَاعَاتِ ، وَإِنَّمَا مَدَحُهُمْ بِالسَّبْقِ لِأَنَّ السَّابِقَ إِلَى الشَّيْءِ يَتَّبِعُهُ غَيْرُهُ فَيَكُونُ مَتَّبِعاً وَغَيْرُهُ تَابِعٌ لَهُ ، فَهُوَ إِمَامٌ فِيهِ وَدَاعٌ لَهُ إِلَى الْخَيْرِ بِسَبْقِهِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ سَبَقَ إِلَى الشَّرِّ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالاً لِهَذِهِ الْعِلَّةِ « مِنَ الْمُهَاجِرِينَ » الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِلَى الْحَبْشَةِ « وَالْأَنْصَارِ » أَى وَمَنِ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ سَبَقُوا

والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه»^(١) فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم ، ثم تنسّى بالأُنصار ثم تلك بالتابعين لهم بإحسان ، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنزلهم عنده ، ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أولياءه بعضهم على بعض ، فقال عز وجل : « تلك الرُّسُل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله

نظرائهم من أهل المدينة إلى الاسلام ، وقرأ يعقوب والأُنصار بالرفع فلم يجعلهم من السابقين ، وجعل السبق للمهاجرين خاصة » والذين اتبعوهم باحسان « أى بأفعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ، ويدخل في ذلك من بعدهم إلى يوم القيامة » رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ، قال : وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين ، فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنها مباينة المألوف من الدين ومنها نصرة الاسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ، ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه ، انتهى .

وقال بعضهم : السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلّوا إلى القبليتين وشهدوا بداراً وأسلموا قبل الهجرة ، ومن الأُنصار أهل بيعة العقبة الأولى ، وكانوا سبعة نفر ، وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين ، وقال بعض المخالفين : كلمة « من » للمتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة .

قوله ﷺ : « ثم ذكر » كلمة ثم للتراخي بحسب المرتبة ، إذ سورة البقرة نزلت قبل سورتي التوبة والحديد « فقال الله عز وجل » أى في سورة البقرة « تلك الرُّسُل » قيل : إشارة إلى انجماعة المذكورة قصصها في السورة أو المعلومة للرُّسُل أو جماعة الرُّسُل واللام للاستغراق .

« فضلنا بعضهم على بعض » بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره « منهم من كلم الله » تفصيل له وهو موسى ، وقيل موسى وتجد صلى الله عليهما وآله ، كلم موسى ليلة

ورفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الآية - «^(١) وقال : « ولقد فضلنا بعض

الخير في انطور، وتبدأ ليلة المعراج، حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما
بون بعيد، وفي المصاحف : ورفع بعضهم درجات، وليس فيهما فوق بعض، فالزيادة إما
من الرِّوَاة أو النِّسَاح أو منه عليه السلام زاده للبيان والتفسير، وهذه الزيادة مذكورة في سورة
الزخرف حيث قال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات »^(٢) فيحتمل أن يكون الزيادة للإشارة إلى الآيتين، قيل : ورفع بعضهم
درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو عليه السلام فإنه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المترتبة
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفاتنة للحصر والابهام لتفخيم شأنه
كأنه العلم المتعين لهذا الوصف، المستغنى عن التعيين، وقيل : إبراهيم خصه بالخلقة
التي هي أعلى المراتب، وقيل : إدريس لقوله تعالى : « ورفعناه مكاناً علياً » وقيل :
أولوا العزم من الرسل، وبعد ذلك « فأتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم
من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » .
« وقال « أي في سورة الأخرى : « ولقد فضلناه » إلخ .

قال البيضاوي : أي بالفضائل النفسانية والتبرّي عن العلائق الجسمانية
لابكثرة الأموال والأتباع حتى داود فإن شرفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أوتي
من الملك، وقيل : هو إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله : « وآتيناه داود زبوراً »
تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمه خير الأمم المدلول عليه بما كتب
في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .

« وقال « أي في الأخرى أيضاً قيل : هو عطف على ثم ذكر، لا على قوله : فقال،

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

النبيين على بعض»^(١) وقال : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً »^(٢) وقال : « هم درجات عند الله »^(٣) وقال : « ويؤت كل ذي فضل فضله »^(٤) وقال : « الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ

لعدم اختصاص ما يذكرون بعده بالأولياء بل هو في مطلق المؤمنين « كيف فضلنا » قيل : أى في الرزق ، وفي المجمع بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم عبيداً وبعضهم أوصياءً وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح « وللاخرة أكبر درجات » أى درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل ، فينبغي أن يكون رغبتهم فيها وسعيهم لها أكثر . « وقال » أى في آل عمران « هم درجات عند الله » قيل : شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب ، أو هم ذوو درجات فقال : « والله بصير بما يعملون » .

« وقال » أى في هود « ويؤت كل ذي فضل » أى في دينه « فضله » أى جزاء فضله في الدنيا والآخرة ، ويند على عدم تفضيل المفضل .

« وقال » أى في التوبة « وهاجروا » أى إلى الرسول وفارقوا الأوطان وتركوا الأقارب والجيران ، وطلبوا مرضاة الرحمن « وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم » بصرفها « وأنفسهم » ببذلها « أعظم درجة عند الله » أى أعلى رتبة وأكثر كرامة ، ممن لم يستجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ، إذ قبلها « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين » .

« وقال » أى في سورة النساء ، وقبل الآية : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً »

(١) سورة الاسراء : ٥٥ .

(٢) سورة الاسراء : ٢١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦٣ .

(٤) سورة هود : ٣ .

درجة عند الله»^(١) وقال : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة »^(٢) وقال : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا »^(٣) وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »^(٤) وقال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل

وعدا الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » قال البيضاوى : نصب على المصدر لأنَّ فضل بمعنى أجر ، أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الإيعاء كأنه قال : وأعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة ، كل واحد منها بدل من أجراً ، ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطاً وأجراً على الحال عنها ، تقدمت عليها لأنَّها نكرة « ومغفرة ورحمة » على المصدر باضمار فعلهما ، وتتممة الآية « وكان الله غفوراً رحيماً » .

« وقال » أى في سورة الحديد : « لا يستوى منكم » قال البيضاوى : بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثاً على تحري الأفضل منها بعد الحث على الانفاق ، وذكر القتال للاستطراد ، وقسم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه ، والفتح فتح مكة إذ أعز الإسلام به وكثر أهله وقأت الحاجة إلى المقاتلة والانفاق .

« من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » أى من بعد الفتح ، والتتمة « وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

« وقال » أى في سورة المجادلة والآية هكذا : « يأيتها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله » والتفسح التوسع « وإذا قيل انشزوا » أى انهضوا للتوسعة أولما أمرتم به كصلوة أو

(١) سورة التوبة : ٢٠ .

(٢) سورة النساء : ٩٦ .

(٣) سورة الحديد : ١٠ .

(٤) سورة المجادلة : ١١ .

الله ولا يبطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً^(١) إلا كتب لهم به عمل صالح^(٢) وقال : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله »^(٣) وقال : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره »^(٤) فهذا ذكر درجات الإيمان

جهاد أدارتفعوا في المجلس « يرفع الله الذين آمنوا منكم » بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإبوائهم غرف الجنان في الآخرة « والذين أتوا العلم » ويرفع العلماء منهم خاصّة « درجات » بما جمعوا من العلم ، وقدمت تفسيرهم بالأئمة عليهم السلام .

« وقال » أى في سورة التوبة حيث قال : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » ذلك ، قيل : إشارة إلى ما دلّ عليه قوله : ما كان ، من النهي عن التخلف أو وجوب المتابعة لأنّهم بسبب أنّهم « لا يصيبهم ظمأ » أى شيء من العطش « ولا نصب » أى تعب « ولا مخرصة » أى مجاعة « في سبيل الله ولا يبطؤون » أى لا يدرسون « موطئاً » أى مكاناً « يغيظ الكفار » أى يغيضهم وطيّه « ولا ينالون من عدوٍ نيلاً » كالقتل والأسر والنهب « إلا كتب لهم به عمل صالح » أى إلا استوجبوا الثواب وذلك ممّا يوجب المسابقة « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

« وقال » أى في المزمّل : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » يمكن أن يكون عدم ذكر تتمّة الكلام للاختصار ، فإن التتمّة « هو خيراً وأعظم أجراً » أى من الذى تؤخّر عنه إلى الوصيّة عند الموت ، وخيراً ثانياً مفعولى « تجدوه » وهوتا كيد أفضل أو هو مبنى على قراءة هو خير بالرفع كما قرء في الشواذ ، فالكلام إلى قوله : عند الله ، تمام وقوله : هو ، مبتدأ وخير خبره وهى جملة أخرى مؤكدة لا دولى .

« ومن يعمل مثقال ذرّة » الذرّة هى النملة الصّغيرة ، أو الهباء المنبثّ في الجو

(١) سورة التوبة : ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة : ١١٠ . والمزمّل : ٢٠ .

(٣) سورة الزلزلة : ٧-٨ .

ومنازله عند الله عز وجل .

﴿ باب ﴾

﴿ درجات الايمان ﴾

١ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ الْإِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَهْصَامٍ عَلَى الْبِرِّ وَالصَّدْقِ وَالْيَقِينِ وَالرِّضَا وَالْوَفَاءَ وَالْعِلْمَ وَالْحِلْمَ ، ثُمَّ قَسَمَ ذَلِكَ بَيْنَ

وَبِالْجُمْلَةِ هَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الثَّوَابِ وَالدرجاتِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا لَا يَخْفَى .

باب درجات الايمان

الحديث الاول : مجهول بعماد

والبرّ الاحسان إلى نفسه وإلى غيره ويطلق غالباً على الاحسان بالوالدين والأقربين والإخوان من المؤمنين كما ورد من خالص الايمان البرّ بالاخوان .
والصدق هو القول المطابق للواقع و يطلق أيضاً على مطابقة العمل للقول والاعتقاد ، وعلى فعل القلب والجوارح المطابقين للقوانين الشرعية والموازين العقلية ومنه الصديق وهو من حصل له ملكة الصدق في جميع هذه الامور ، ولا يصدر منه خلاف المطلوب عقلاً ونقلاً كما صرح به المحقق الطوسي (ره) في أوصاف الاشراف .
واليقين الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، وفي عرف الأخبار هو مرتبة من اليقين يصير سبباً لظهور آثاره على الجوارح ويطلق غالباً على ما يتعلق بأمور الآخرة ، وبالقضاء والقدر كما ستعرف ، وله مراتب أشير إليها في القرآن العزيز وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين كما قال تعالى : « لَتَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » ^(١) وقال سبحانه : « وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » ^(٢) .

(١) سورة التكاثر : ٥ - ٧ .

(٢) سورة الواقعة : ٩٥ .

الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل ، محتمل ؛ وقسم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى [ال] سبعة ، ثم قال : لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فقبهضوهم ثم قال :

وقالوا : الاول مرتبة أرباب الاستدلال كمن لم ير النار واستدل بالدخان ، والثاني مرتبة أصحاب المشاهدة والعيان كمن رأى النار بعينه بعينه ، والثالث مرتبة أرباب اليقين كمن كان في وسط النار واتصف بصفاتهما وإن لم يصر عينها كالحديدة المحمأة في النار فافك تظنّها ناراً وليست بنار ، وهذا هي التي رأت فيها الأقدام وضلت العقول والاحلام وليس محلّ تحقيقها هذا المقام .

والرضا هو إطمئنان النفس بقضاء الله تعالى عند البلاء والرخاء وعدم الاعتراض عليه سبحانه قولاً وفعلاً في شيء من الأشياء .

والوفاء هو العمل بعهود الله تعالى من التكليف الشرعيّة وما عاهد الله تعالى عليه وألزم على نفسه من الطاعات والوفاء ببيعة النبي والأئمة صلوات الله عليهم ، والوفاء بعهود الخلق ما لم تكن في معصية ، والعلم هو معرفة الله ورسوله وحججه وما أمر به ونهى عنه ، وعلم الشرايع والأحكام والحلال والحرام ، والاخلاق ومقدّماتها . والحلم هو ملكة حاصلّة للنفس مانعة لها عن المبادرة إلى الانتقام وطلب التسلّط والترفع والغلبة .

« فهو كامل » أي في الايمان محتمل لشرائطه وأركانه ، قابل لها كما ينبغي ولا تحملوا على صاحب السهم سهمين « أي لما كانت القابليّات والاستعدادات متفاوتة ولم يكلف الله كلّ امرئ إلاّ على قدر قابليّته فلا تحملوا في العلوم والأعمال والأخلاق على كلّ امرئ إلاّ بحسب طاقته ووسعه كما مرّ : إنّما يداق الله العباد في الحساب على قدر ما أتاهم من العقول في الدنيا .

نعم للأعلى أن ينقل الأدنى إلى درجته بالتعليم والتدريج والرفق حتى يصل إلى درجته إن كان قابلاً لذلك كما سيأتي إن شاء الله ، وعلى الأدنى أن يسعى ويتضرّع

كذلك حتى ينتهي إلى [ال] سبعة .

٢ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان ، عن يعقوب بن الضحاك ، عن رجل من أصحابنا سرّاج وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال : بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتممين قال : وكان فراشي في الحائر الذي كنّا فيه نزلوا ، فبحثت وأنا بحال فرميت بنفسي فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل قال : فقال : قد

إلى الله تعالى لأن يوفّقه للصعود إلى درجة العليا « فتهضوهم » في بعض النسخ بالضاد وفي بعضها بالطاء وهما معجمتان متقاربان معنى ، قال في القاموس : بهضنى الأمر كمنع وأبهضنى أى فدحنى وبالطاء أكثر ، وقال : بهظه الأمر كمنع غلبه ونقل عليه وبلغ به مشقة ، والراحلة أوقرها فأتعبها .
الحديث الثانى مجهول .

والحيرة بالكسر بلد كان قرب الكوفة ، وأنا تأكيد للضمير المنصوب في بعثني ، وأنا تأكيد المنصوب والمجرور بالمرفوع جائز و « جماعة » عطف على الضمير أو الواو بمعنى مع « معتمين » الظاهر أنه بالعين المهملة على بناء الافعال أو التفعيل ، في القاموس : العتمة - محرّكة - ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة ، واعتم وعم سارفيها أو أورد وأصدر فيها ، وظلمة الليل ورجوع الابل من المرعى بعد ما تمسى ، انتهى .

أى رجعنا داخلين في وقت العتمة ، وفي أكثر النسخ بالعين المعجمة من الغم^(١) وكأنه نصحيح^(٢) ، وربما يقرء مغتممين من الغنيمة وهو تحريف ، والحائر المكان المطمئن

(١) الظاهر ان ذهابه (ع) من المدينة الى الحيرة كان بأمر الخليفة أعنى المنصور وهو عليه اللعة يحال فى قتله (ع) وكانت مواليه مغتمين لذلك ، و يترصدون حاله ومآل أمره مع المنصور و ينتظرون رجوعه ، وقوله « أنا بحال » أى بحال^(٣) من الغم كما فسره فى الوافى ، وعليه فما فى أكثر النسخ هو الأصح .

أتيناك أوقال : جئناك ، فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له فأخبرته . فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إننا تبرأ منهم ، إنهم لا يقولون ما نقول . قال : فقال : يتولّونا ولا يقولون ما نقولون تبرؤون منهم ؟ قال : قلت : نعم قال : فهوذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن تبرأ منهم ؟ قال : قلت : لا - جعلت فداك - قال : وهوذا عند الله ما ليس عندنا أفترأه أطرحنا ؟ قال : قلت : لا والله جعلت فداك ما نفع ؟ قال : فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم ، إن من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان ومنهم من له ثلاثة أسهم ؛ ومنهم من له أربعة أسهم ؛ ومنهم من له خمسة أسهم ، ومنهم من له ستة أسهم ، ومنهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة ، وسأضرب لك مثلاً إن رجلاً كان له جارٌ

والبستان « وأنا بحال » أى بحال سوء من الضعف والكلام « أنهم لا يقولون ما نقول » أى من مراتب فضائل الأئمة عليهم السلام وكمالاتهم ومراتب معرفة الله ودقائق مسائل القضاء والقدر وأمثال ذلك ممّا تختلف تكاليف العباد فيها بحسب أفهامهم واستعداداتهم لافى أصل المسائل الأصولية ، أو المراد إختلافهم فى المسائل الفرعية والأول أظهر ، وأما حمله على أدعية الصلاة وغيرها من المستحبات كما قيل فهو فى غاية البعد وإن كان يوافقه التمثيل المذكور فى آخر الخبر « يتولّونا ولا يقولون » الخ ، إستفهام على الإنكار .

« فهو ذاعندنا » أى من المعارف والعلوم والاخلاق والأعمال « ما ليس عندكم فينبغي لنا » على الاستفهام « أطرحنا » أى عن الايمان والثواب أو عن درجة الاعتبار . قوله : ما نفع ؟ لمّا فهم من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ نفى التبرّئ تردّد فى آتته هل يلزمه التولّى أو عدم ارتكاب شيء من الأمرين فإن نفى أحدهما لا يستلزم ثبوت الآخر « أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين » أى يقاس حاله بحاله ويتوقع

وكان نصرانياً فدعاه إلى الإسلام وزينه له فأجابه فأناه سحيراً فقرع عليه الباب فقال له : من هذا ؟ قال : أنا فلان قال : وما حاجتك ؟ فقال : توضاً و البس ثوبيك و مرّ بنا إلى الصلاة قال : فتوضاً و لبس ثوبيه و خرج معه ، قال : فصلياً ما شاء الله ثم صلّى الفجر ثم مكثنا حتى أصبحنا ، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله فقال له الرجل : أين تذهب ؟ النهار قصير والذي بينك و بين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ، ثم قال : وما بين الظهر و العصر قليل ؟ فاحتبسه حتى صلّى العصر ، قال : ثم قام وأراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إن هذا آخر النهار وأقل من أوله فاحتبسه حتى صلّى المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلّى العشاء الآخرة ثم نفرّقا فلما كان سحيراً غدا عليه ضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وما حاجتك ؟ قال : توضاً و البس ثوبيك و اخرج بنا فصل ، قال : اطلب لهذا الدين من هو أفرغ منّي و أنا إنسان مسكين و عليّ عيال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال : أدخله من مثل ذه و أخرجه من مثل هذا - .

منه ما يتوقع من الثاني من الفهم والمعرفة والعمل « وزينه له » أي حسن الاسلام في نظره « فأناه سحيراً » هو تصغير السحر وهو سدس آخر الليل أو ساعة آخر الليل وقيل : قبيل الصبح ، والتصغير لبيان أنه كان قريباً من الصبح أو بعيداً منه « و مرّ بنا » أي معنا « و خرج معه » أي إلى المسجد « ما شاء الله » أي كثيراً « حتى أصبحنا » أي دخلاً في الصباح ، والمراد الإسفار وإنتشار ضوء النهار وظهور الحمرة في الأفق . قال في المفردات : الصبح والصبح أول النهار وهو وقت ما احمرّ الأفق بحاجب الشمس .

قوله : وأقل من أوله ، أي ممّا انتظرت بعد الفجر لصلوة الظهر « أدخله في شيء » أي من الاسلام صار سبباً لخروجه من الاسلام رأساً أو المراد بالشئ الكفر أي أدخله بجهله في الكفر الذي أخرجه منه « أو قال أدخله في مثل هذا » أي العمل الشديد « وأخرجه من مثل هذا » أي هذا الدين القويم .

﴿ باب آخر منه ﴾

١ - أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أبان ، عن شهاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟ فقال : إن الله تبارك و تعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً . ثم جعل الأجزاء

باب آخر منه

أى هذا باب آخر يمكن عدّه من الباب الأول وإنّما جعله باباً آخر لأنّ الباب الأول كان مبنياً على قسمة الايمان بسبعة أسهم ، وأخبار هذا الباب مبنية على أكثر أو أقل أو عبّر في أخبار الباب السابق بالسّهام ، وفي أخبار هذا الباب بالأجزاء والدّرجات والمنازل ، وعلى التقديرين لا تنافى بينهما لأنّه لما كان تعدّد درجات الايمان ومنازله متفاوتة تارة بحسب الاخلاق الحسنة كثرة وقلة وشدة وضعفاً ، وتارة بحسب الاعتقادات الحقّة قوّة وضعفاً كلاً ، وبعضاً ، وتارة بحسب الأعمال الصّالحة كثرة وقلة ، خالصة ومشوبة ، ولا يدخل شيء من ذلك تحت الحصر والعدّ يمكن اعتبار تقسيمها بوجوه مختلفة ، بادخال بعضها تحت بعض و عدمه ، وقسمتها إلى الاجناس وإلى الأنواع وإلى الأصناف .

الحديث الاول : مجهول .

« لم يلم أحد أحداً » اي في عدم فهم الدقائق والقصور عن بعض المعارف أو في عدم اكتساب الفضائل والأخلاق الحسنة ، وترك الاتيان بالنوافل والمستحبات وإلاّ فكيف يستقيم عدم الملامة على ترك الفرائض والواجبات وفعل الكبائر والمحرمات وقد مرّ أنّ الله تعالى لا يكلف الناس إلاّ بقدر وسعهم وليسوا بمجبورين في فعل المعاصي ولا في ترك الواجبات لكن يمكن أن لا يكون في وسع بعضهم معرفة دقایق الأمور

أعشاراً ف يجعل الجزء عشرة أعشار ، ثم قسّمه بين الخلق فجعل في رجل عشر جزء و في آخر عشري جزء حتّى بلغ به جزءاً تامّاً و في آخر جزءاً و عشر جزء و آخر جزءاً و عشر جزء حتّى بلغ به جزئين تامين ، ثمّ بحساب ذلك حتّى بلغ بأرفعهم تسعة وأربعين جزءاً ، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العشرين و كذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تمّ له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين و لو علم الناس أن الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحدٌ أحداً .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن عليّ

وغوامض الأسرار فلم يكلفوا بها ، وكذا عن تحصيل بعض مراتب الاخلاص واليقين وغيرها من المكام ، فليسوا بملومين بتركها ، فالتكاليف بالنسبة إلى العباد مختلفة بحسب اختلاف قابليّاتهم واستعداداتهم ، ولا يستحقّ من لم يكن قابلاً لمرتبة من المراتب المذكورة أن يلام لم لا تفهم هذا المعنى ولم تفعل الصلوة كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل مثلاً ، وهكذا قوله عليه السلام : بلغ بها ، كأنّه جعل كلّ جزء من السّهام السبعة المتقدّمة سبعة .

قوله عليه السلام : ف يجعل الجزء عشرة أعشار ، كأنّ هذا للتأكيد والتوضيح ، ورفع توهم أن المراد جعل كلّ جزء عشرّاً من مرتبة فوقه ، فيصير المجموع أربعمئة وتسعين عشرّاً « حتّى بلغ به » الباء للتعدية والضمير راجع إلى الإيمان ، أو إلى الرجل المطلق المفهوم من رجل لا إلى الرجل المذكور ولا إلى آخر لاختلال المعنى وهذا أظهر لقوله : حتّى بلغ بأرفعهم إلا عشر جزء ، أي من القابلية أو قابلية عشر جزء من الإيمان وهكذا في البواقي .

الحديث الثاني ضعيف

والقراطيسي بايع القراطيس « عشر درجات » كأنّه عليه السلام عدّ كلّ تسعة

ابن أبي عثمان ، عن محمد بن عثمان ، عن محمد بن حماد الخزّاز ، عن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز إنّ الايمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتّى ينتهي إلى العاشر ، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو

وأربعين جزءاً من السابق درجة ، وهذه الدرجات لبعض مراتب الايمان لالكلّها ، وقيل : يجوز أن يراد بالايان هنا التصديق أو الكامل المر كُتب منه ومن العمل «ليصعد» على بناء المجهول «ومنه» نايب مناب المفاعل ، وقيل «من» بمعنى في ، والضمير راجع إلى السلم ، والمرقاة بالفتح والكسر إسم مكان ، أو آلة وهي الدرجة ، وفي المصباح المرفقي والمرقي موضع الرقي ، والمرقاة مثله ، ويجوز فيها فتح الميم على أنّه موضع الارتفاع ، ويجوز الكسر تشبيهاً باسم الآلة كالملطهرة ، وأنكر أبو عبيد الكسر ، انتهى «هو» منصوبة على الظرفية للمكان «لست على شيء» أي من الايمان أو الكمال «فلا تسقط» أي من الايمان أو من درجة الاعتبار «من هو دونك» أي أسفل منك بدرجة أو أكثر فارفعه إليك .

فان قلت: كيف يرفعه إليه مع أنّه لا يطيقه كما مرّ في الخبر السابق؟ قلت: يمكن أن تكون الدرجات المذكورة في الخبر السابق درجات القابليّات والاستعدادات ولذا نسبها إلى أصل الخلق ، والدرجات المذكورة في هذا الخبر درجات الفعلية والتحقيق فيمكن أن يكون رجالان في درجة واحدة من القابلية فسمى أحدهما وحصل ما كان قابلاً له والآخر لم يسع ، وبقي في درجة أسفل منه فلو كلفه أن يفهم دفعة ما فهمه في أزمّة متطاولة يعسر الامر عليه بل يصير سبباً لاضلالته وحيرته ، بل ينبغي أن يرفق به ويكلمه تدريجاً حتّى يبلغ إلى تلك الدرجة ، كما أن الكاتب الجيد الخط إذا كلف أمياً لم يكتب قطّ أن يكتب مثله في يوم أو شهر أو سنة لكان تكليفاً لما لا يطاق . بل يجب أن يرفقه تدريجاً حتّى يصل إلى مرتبته ، وكذا في المراتب العقلية من

فوفك ، و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملنَّ عليه مالا يطبق فتكسره ، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن سدير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : « إنَّ المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو ، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو ، وعلى صاحب

لم يحصل شيئاً منها لا يمكن إفهامه دفعة جميع المسائل الغامضة ، ولو أُلقيت إليه لتحير ، بل لم يطق فهمها وضلَّ عن السبيل والمعلم الأديب الكامل يرقبه أو لا من البديهيَّات إلى أوایل النظريَّات ومنها إلى أواسطها ، ومنها إلى غوامضها فلا ينكسر ولا يتحير .

و يمكن أن تحمل القدرة المذكورة في الخبر السابق على الوسع أى الامكان بسهولة فلا ينافي المذكور في هذا الخبر ولكن الأول أظهر .

و ربما يجاب بأنَّه لما لم يكن معلوماً لصاحب الدرجة العليا عدم قابليَّة صاحب الدرجة السفلى بل ربما يظنَّ أنَّه قابل للمترقى فهو مأمور بهذا رجاءً لتحقيق مظهره ولا يخفى ما فيه « فتكسره » أى تكسر ايمانه وتضلَّ لأنَّه يرفع يده عما هو فيه ، ولا يصل إلى الدرجة الأخرى فيتحير في دينه أو يكلفه من الطاعات مالا يطيقها فيسوء ظنُّه بما كان يعمل فتركهما جميعاً كما مرَّ في الباب السابق .

« فعليه جبره » أى يجب عليه جبره وربما لا ينجبر ويلزمه إصلاح ما أفسد من ايمانه وربما لم ينصلح .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور والمراد بالمنازل الدرجات .

الأربع خمساً لم يقو ، و علي صاحب الخمس ستاً لم يقو ، وعلي صاحب الست سابعاً لم يقو ، و علي هذه الدرجات .

٤ - عنه ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن سنان ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : ما أنتم والبراءة ، ببرء بعضكم من بعض ، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض و بعضهم أكثر صلاة من بعض و بعضهم أنفذ بصرأ من بعض و هي الدرجات .

قوله عليه السلام : وعلي هذه الدرجات ، كأن المعنى وعلي هذا القياس الدرجات التي تنقسم هذه المنازل إليها فإن كلاً منها ينقسم إلى سبعين درجة كما مر في الخبر الأول ، وقيل : أي بقيّة الدرجات إلى العشر المذكور في الخبر الثاني ، أو المراد بالدرجات المنازل أي على هذا الوجه الذي ذكرنا تنقسم الدرجات فيكون تأكيذاً والأول أظهر .

الحديث الرابع : كالسابق .

«أنفذ بصرأ» أي بصيرة كما في بعض النسخ يعني فهماً و فطنة «وهي الدرجات» أي درجات الايمان فكلّ منهم على درجة منه فلا تبرأوا منهم ولا تخرجوهم عن الايمان ، وهي الدرجات التي ذكرها الله في قوله : «هم درجات عند الله» ^(١) وغيره .

﴿ باب ﴾

﴿ نسبة الاسلام ﴾

١ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ
 قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تُنْسَبُ الْإِسْلَامُ نِسْبَةً لَا يُنْسَبُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يُنْسَبُ
 أَحَدٌ بَعْدِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينُ هُوَ
 التَّصَدِيقُ وَ التَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ ، وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْعَمَلُ ، وَ الْعَمَلُ هُوَ الْأَدَاءُ ، إِنَّ

باب نسبة الاسلام

الحديث الاول : مرفوع .

«لَا تُنْسَبُ الْإِسْلَامُ نِسْبَةً» يُقَالُ نُسِبْتُ الرَّجُلَ كُنُسَرْتُ ، وَ قِيلَ : وَ كَضَرْتُ أَيْ
 ذَكَرْتُ نِسْبَتَهُ ، وَ الْمُرَادُ بَيَانُ الْإِسْلَامِ وَ الْكَشْفُ النَّامُ عَنْ مَعْنَاهُ قِيلَ : لَمَّا كَانَ نِسْبَةُ
 شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ يَوْضَحُ أَمْرُهُ وَ حَالُهُ وَ مَا يُوَوِّدُ هُوَ إِلَيْهِ أُطْلِقَ هُنَا عَلَى الْإِيضَاحِ مِنْ بَابِ
 ذِكْرِ الْمَلْزُومِ وَ إِرَادَةِ الْإِلَازِمِ .

وَ أَقُولُ : كَانَ الْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا الْمَعْنَى الْأَخْصُ مِنْهُ الْمُرَادُ لِلْإِيْمَانِ كَمَا
 يُؤْمَى إِلَيْهِ قَوْلُهُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَقَوْلُهُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى بَقِيَّتَهُ
 فِي عَمَلِهِ ، وَ حَاصِلُ الْخَبَرِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ الْإِتْقَادُ ، وَ الْإِتْقَادُ النَّامُ لَا يَكُونُ
 إِلَّا بِالْيَقِينِ ، وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ وَ الْإِذْعَانُ الْكَامِلُ بِالْأَصُولِ الْخَمْسَةِ أَوْ تَصَدِيقُ اللَّهِ
 وَ رَسُولِهِ وَ الْإِنَّمَا الْهَدَاةُ ، وَ التَّصَدِيقُ لَا يَظْهَرُ أَوْ لَا يَفِيدُ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ الظَّاهِرِيِّ ،
 وَ الْإِقْرَارُ النَّامُ لَا يَكُونُ أَوْ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ فَانَّ الْأَعْمَالَ شُهُودُ
 الْإِيْمَانِ كَمَا مَرَّ ، وَ الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ شَاهِدُ الْإِيْمَانِ هُوَ أَدَاءُ مَا كَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لَا
 إِخْتِرَاعُ الْأَعْمَالِ وَ إِبْدَاعُهَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْمُبْتَدِعَةُ .

وَ الْأَدَاءُ اسْمُ الْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ التَّأْدِيَةُ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَدَاءِ تَأْدِيَتُهُ

المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه ، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبروا إنكار

و ايصاله إلى غيره ، فيدل على أن التعليم ينبغي أن يكون بعد العمل وأنه من لوازم الايمان ، فظهر أن الحمل في بعضها حقيقي وفي بعضها مجازي .

وقيل : أشار ﷺ إلى أن الاسلام وهو دين الله الذي أشار إليه جل شأنه بقوله : « إن الدين عند الله الاسلام »^(١) يتوقف حصوله على ستة أمور ، والعبارة لا تخلو من لطف وهو أنه جعل التصديق الذي هو الايمان الخالص الحقيقي بين ثلاثة وثلاثة ، و اشترك الثلاثة التي قبله في أنها من مقتضياته و أسباب حصوله ، و اشترك الثلاثة التي بعده في أنها من لوازمه و آثاره و ثمراته ، وبالجمله جعل التصديق الذي هو الايمان وسطاً و جعل أول مراتبه الاسلام ثم التسليم ثم اليقين ، و جعل أول مراتبه من جهة المسببات الاقرار بما يجب الاقرار به ، ثم العمل بالجوارح ، ثم أداء ما افترض الله به ، انتهى .

« إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه » كأنه بيان لما بين سابقاً و قرره من أن الاسلام لا يكون إلا بالتسليم لأئمة الهدى و الانقياد لهم فيما أمروا به ونهوا عنه وأنه لا يكون ذلك إلا بتصديق النبي و الأئمة عليهم السلام و الاقرار بما صدر عنهم و أداء الأعمال على نهج ما يسنوه لأن الايمان ليس أمراً يمكن إختراعه بالرأى و النظر ، بل لابد من الأخذ بمن يؤدّي عن الله .

« فالمؤمن يرى » على بناء المجهول أو المعلوم من باب الافعال « يقينه » بالرفع أو بالنصب « في عمله » بأن يكون موافقاً لما صدر عنهم ولم يكن مأخوذاً من الآراء و المقاييس الباطلة ، و الكافر بعكس ذلك « ما عرفوا » أي المخالفون أو المنافقون « أمرهم » أي أمور دينهم فروعاً و أصولاً فضلاً و أضلوا لعدم اتباعهم أئمة

الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثة .

الهدى و أخذهم العلم منهم « فاعتبروا إنكار الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثة »
المخالفة لمحكّمات الكتاب والسنة المبتنية على آرائهم الفاسدة ، والمخالفون داخلون
في الأوّل أو في الثاني بل فيهما حقيقة .

و أقول : روى السيّد الرضى رضى الله عنه في نهج البلاغة جزءاً من هذا
الخبر هكذا ، و قال عنه : لا نسبنا الاسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلى ، الاسلام
هو التسليم ، و التسليم هو اليقين ، و اليقين هو التصديق ، و التصديق هو الاقرار ،
و الاقرار هو الاداء و الأداء هو العمل .

وقال ابن أبي الحديد : خلاصة هذا الفصل يقتضى صحّة مذهب أصحابنا المعترلة
في أنّ الاسلام و الايمان عبارتان عن معنى واحد ، و أنّ العمل داخل في مفهوم
هذه اللفظة ، ألا ترى جعل كل واحدة من اللفظات قائمة مقام الأخرى في إفادة
المفهوم ، كما يقال : اللّيث هو الأسد و الأسد هو السبع ، و السبع هو أبو الحارث
فلا شبهة أنّ اللّيث يكون أباً الحارث أى أنّ الاسماء مترادفة ، فإذا كان أوّل
اللفظات الاسلام ، و آخرها العمل دلّ على أنّ العمل هو الاسلام ، و هكذا
يقول أصحابنا أنّ تارك العمل أى تارك الواجب لا يسمّى مسلماً ، فإن قلت : كيف
يدلّ على أنّ الاسلام هو الايمان ؟ قلت : لأنّ كل من قال أنّ العمل داخل في
مسمى الاسلام قال انّ الاسلام هو الايمان ، فإن قلت : لم يدلّ عنه كما تقوله
المعترلة لأنّهم يقولون الاسلام إسم واقع على العمل و غيره من الاعتقاد و النطق
باللسان و هو عنه جعل الاسلام هو العمل ؟ قلت : لا يجوز أن يريد غيره لأنّ
لفظ العمل يشمل الاعتقاد و النطق باللسان و حركات الأركان بالعبادات إذ كلّ
ذلك عمل و فعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب و بعضه من أفعال الجوارح ، و القول
بأنّ الاسلام هو العمل بالأركان خاصّة لم يقل به أحد ، انتهى .

و قال ابن ميثم : هذا قياس مفصول مرّك من قياسات طويت نتائجها و ينتج

القياس الأول أن الاسلام هو اليقين ، والثاني أنه التصديق ، والثالث أنه الاقرار ، والرابع أنه الاداء ، والخامس أنه العمل .

أما المقدمة الاولى فلأن الاسلام هو الدخول في الطاعة و يلزمه التسليم لله و صدق اللازم على ملزومه ظاهر ، و أما الثانية فلأن التسليم الحق إنما يكون ممن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فاليقين من لوازم التسليم لله ، و أما الثالثة فلأن اليقين بذلك مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسوله من وجوب طاعته ، فصدق على اليقين به أنه تصديق له ، و أما الرابعة فلأن التصديق لله في وجوب طاعته إقرار بصدق الله ، و أما الخامسة فلأن الاقرار والاعتراف بوجوب أمر يستلزم أداء المقر للمعترف لما أقر به ، وكان إقراره أداء لازماً ، والسادسة أن أداء ما اعترف به الله من الطاعة الواجبة لا يكون إلا عملاً ، ويؤول حاصل هذا الترتيب إلى إنتاج أن الاسلام هو العمل لله بمقتضى أو امره ، وهو تفسير الخاصة كما سبق بيانه ، انتهى .

و كأن ما ذكرنا أنسب وأوفق .

و قال الكيدري (ره) : الاسلام هو التسليم يعنى الدين هو الانقياد للحق و الاذعان له ، و التسليم هو اليقين أى صادر عنه و لازم له فكأنه هو من فرط تعلقه به ، والتصديق هو الاقرار أى إقرار الذهن وحكمه ، و الاقرار هو الاداء أى مستلزم للاداء و شديد الشبه بالعلّة له ، لأن من تيقن حقيقة الشيء وأن مصالحه منوط بفعله ومفسده مترتبة على تركه ، كان ذلك داعياً مقوياً لداعيه على فعله غاية التقوية ، يعنى من حق المسلم الكامل في إسلامه أن يجمع بين علم اليقين والعمل الخالص ليحيط رحله في المحل الأرفع ، و يجاور الرفيق الأعلى .

و قال الشهيد الثاني رفع الله درجته في رسالة حقايق الايمان بعد ايراد هذا الكلام من أمير المؤمنين (عليه السلام) ما هذا لفظه : البحث عن هذا الكلام يتعلق بأمرين : الأول : ما المراد من هذه النسبة ؟ الثاني : ما المراد من هذا المنسوب .

أما الأول فقد ذكر بعض الشارحين أن هذه النسبة بالتعريف أشبه منها بالقياس فعرف الاسلام بأنه التسليم لله والدخول في طاعته ، وهو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه ، والتسليم بأنه اليقين وهو تعريف بالازم مساو إذا التسليم الحق إنما يكون ممن يثق صدق من سلم له واستحقاقه التسليم واليقين بأنه التصديق أى التصديق الجازم المطابق البرهاني ، فذكر جنسه ونبه بذلك على حده أو رسمه ، والتصديق بأنه الاقرار بالله ورساله وما جاء من البينات وهو تعريف لفظ بلفظ أعرف ، والاقرار بأنه الأداء ، أى أداء ما أقر به من الطاعات وهو تعريف بخاصة له ، والأداء بأنه العمل وهو تعريف له ببعض خواصه ، انتهى .

أقول : هذا بناءً على أن المراد من الاسلام المعروف في كلامه تعالى ما هو الاسلام حقيقة عند الله تعالى في نفس الأمر ، أو الاسلام الكامل عند الله تعالى أيضاً ، وإلا فلا يخفى أن الاسلام يكفى في تحققه في ظاهر الشرع الاقرار بالشهادتين ، سواء علم من المقر التصديق بالله تعالى والدخول في طاعته أم لا ، كما صرحوا به في تعريف الاسلام في كتب الفروع وغيرها ، فعلم أن الحكم بكون تعريف الاسلام بالتسليم لله «النخ» تعريفاً لفظياً إنما يتم على المعنى الأول وهو الاسلام في نفس الأمر أو الكامل ، ويمكن أن يقال أن التعريف حقيقى وذلك لأن الاسلام لغة هو مطلق الانقياد والتسليم ، فاذا قيد التسليم بكونه لله تعالى والدخول في طاعته كان بياناً للماهية التي اعتبرها الشارع إسلاماً ، فهو من قبيل ما ذكر جنسه ونبه على حده أو رسمه .

وأقول أيضاً : في جعله الاقرار بالله تعالى «النخ» تعريف لفظ بلفظ أعرف للتصديق بحث لا يخفى ، لأن المراد من التصديق المذكور هنا القلبى لا اللسانى حيث فسره بأنه الجازم المطابق «النخ» والاقرار المراد منه الاعتراف باللسان إذ هو المتبادر منه ، ولذا جعله بعضهم قسيماً للتصديق في تعريف الايمان حيث قال : هو

التصديق مع الاقرار وحينئذ فيكون بين معنى اللفظين غاية المباشرة ، فكيف يكون تعريف لفظ بلفظ ، اللهم إلا أن يراد من الاقرار بالله ورسله مطلق الانقياد والتسليم بالقلب و اللسان على طريق عموم المجاز ، ولا يخفى ما فيه .

والذي يظهر لي أنه تعريف بلازم عرفي " وذلك لأن من أذعن بالله ورسله وبينانهم لا يكاد ينفك عن إظهار ذلك بلسانه فان الطبيعية جبلت على إظهار مضمورات القلوب كما دل عليه قوله ﷺ : ما أضمر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وفلمات لسانه ، وطأ كان هذا الاقرار هنا مطلوباً للشارع مع كونه في حكم ما هو من مقتضيات الطبيعة ، بنسبه ﷺ على أن التصديق هو الاقرار مع تأكيد طلبه حتى كأن التصديق غير مقبول إلا به أو غير معلوم للناس إلا به .

وكذا أقول في جعله الأداء خاصة للاقرار فان خاصة الشيء لا ينفك عنه ، والأداء قد ينفك عن الاقرار فان المراد من الأداء هنا عمل الطاعات والاقرار لا يستلزمه .

ويمكن الجواب بأنه ﷺ أراد من الاقرار الكامل فكأنه لا يصير كاملاً حتى يردفه بالأداء الذي هو العمل ، وأما الثاني فقد علم من هذه النسبة الشارحة المنسوب أي المشروح هو الاسلام الكامل أو ما هو اسلام عند الله تعالى ، بحيث لا يتحقق بدون الاسلام في الظاهر ، وعلم أيضاً أن هذا الاسلام هو الايمان ، إما الكامل أو ما لا يتحقق حقيقة المطلوبة للشارع في نفس الأمر إلا به ، لكن الثاني لا ينطبق إلا على مذهب من قال بأن حقيقة الايمان هو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وقد عرفت تزييف ذلك فيما تقدم وأن الحق عدم اعتبار جميع ذلك في أصل حقيقة الايمان ، نعم هو معتبر في كما له .

وعلى هذا فالمنسوب إن كان هو الاسلام الكامل كان الايمان والاسلام الكاملان واحداً وأما الاصليان فالظاهر اتحادهما أيضاً ، مع احتمال التفاوت بينهما ، وإن كان

٢ - عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبدالرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الإسلام عريان ، فلباسه الحياء وزينته

هذا المنسوب ما اعتبره الشارع في نفس الامر إسلاماً لا غيره لزم كون الإيمان أعم من الإسلام ، ولزم ما تقدم من الاستهجان فيحصل من ذلك أن الإسلام إمامساو للإيمان أو أخص ، وأمّا عمومه فلم يظهر له من ذلك احتمال إلا على وجه بعيد ، فلي تأمل .

الحديث الثانی : ضعيف بسنده .

«الإسلام عريان» شبهه عليه السلام الإسلام برجل ، والحياء بلباسه ، فكما أن اللباس يستر العورات والقبائح الظاهرة ، فكذلك الحياء يستر القبائح والمساوى الباطنة ، ولا يبعد أن يكون المراد بالإسلام المسلم من حيث أنه مسلم أو يكون اسناد العري واللباس إليه على المجاز ، أي لباس صاحبه ، وكذا الفقرات الآتية تحتملها فتفتن . «وزينته الوفاء» أي بعهد الله ورسوله وحججه وعهود الخلق ووعدهم ، وقيل إيفاء كل ذي حق حقه وإيفاء ، «ومروءته العمل الصالح» المروءة بالضم مهموزاً وقد يخفف الهمزة فليشد الواو الإنسانية ، أي العمل بمقتضاها ، قال في القاموس : مرؤ ككرم مروءة فهو مريء أي ذو مروءة وإنسانية ، وفي المصباح المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات يقال : مروءة الإنسان فهو مريء مثل قرب فهو قريب ، أي صار ذا مروءة ، وقال الجوهري : وقد يشدد فيقال : مروءة ، انتهى .

والحاصل أن العمل الصالح من لوازم الإسلام ومما يجعل الإسلام حقيقة بأن يسمى إسلاماً كما أن المروءة من لوازم الإنسان ومما يصير به الإنسان حقيقة بأن يسمى إنساناً أو المسلم من حيث أنه مسلم مروءته العمل الصالح فلا يسمى مريء حقيقة أو مسلماً إلا به .

الوقار و مروءته العمل الصالح وعماده الورع . و لكل شيء أساس ؛ و أساس الإسلام حبنا أهل البيت .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن مدرك بن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

٣ - عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه صلوات الله عليهم قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً فأما عرصته فالقرآن ، وأما نوره فالحكمة ،

« وعماده الورع » العمد بالكسر ما يسند به وعماد الخيمة والسقف ما يقام به والحاصل أن ثبات الاسلام وبقاؤه واستقراره بالورع أي ترك المحرمات بل الشبهات أيضاً كما أن بالمعاصي يتزلزل بل يزول ، والانس بالضم والاساس بالفتح : أصل البناء وأصل كل شيء ، والاساس بالكسر جمع أس ، والحاصل أنه كما يستقر البناء ولا يستقيم بغير أساس فكذا الاسلام لا يتحقق ولا يستقر إلا بحبهم الملزوم للقول بولايتهم وإمامتهم ، فإن من أنكر حقهم فهو أعدى عدوهم .

وقوله ﷺ : حبنا أي حبسي وحب أهل بيتي ، ويحتمل كون الفقرة الأخيرة كلام الصادق عليه السلام ، لكنه بعيد .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح بل صحيح عندي ، فإن عبد العظيم رضي الله عنه أجل من أن يحتاج إلى توثيق .

« فجعل له عرصة » العرصة كل بقعة بين الدّور واسعة ليس فيها بناء ، والظاهر أنه عليه السلام شبه الاسلام برجل لا بداز كما زعم ، وشبه القرآن بعروة يجول الاسلام فيه ، وشبه الحكمة والعلوم الحقّة بسراج ونور يستنير به الاسلام أو يبصر به صاحبه فان بالعلم يظهر حقائق الاسلام وأوامره ونواهيه وأحكامه .

و أمّا حصنه فالمعروف ، و أمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ، فأحبّوا أهل بيتي و شيعتهم و أنصارهم فإنّه لما أُسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبّي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة ، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عزّ وجلّ حبّي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا أمّتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو أنّ الرّجل من أمّتي عبدالله عزّ وجلّ عمره أيام الدنيا ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لأهل بيتي و شيعتي ما فرّج الله صدره إلّا عن النفاق .

« و أمّا حصنه فالمعروف » أي الاحسان أو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ، كما هو المراد في الأمر بالمعروف ، فإنّه بكلّ من المعنيين يكون سبباً لحفظ الاسلام وبقائه وعدم تطرّق شياطين الانس والجنّ للخلل فيه ، أو المراد به الأمر بالمعروف فالتشبيه أظهر ، و أمّا كونهم عليهم السلام و شيعتهم أنصار الاسلام فهو ظاهر و غيرهم يخربون الاسلام و يضيّعونه .

« فنسبني » أي ذكر نسبي أو وصفني و ذكر نبوّتي و مناقبي ، و أمّا ذكر نسبه لأهل الأرض فبالآيات التي أنزلها فيه و في أهل بيته و يقرؤها الناس إلى يوم القيامة أو ذكر فضله و نأدي به بحيث سمع من في أصلاب الرّجال و أرحام النساء كنداء إبراهيم عليه السلام بالحجّ ، و قيل : لما وجبت الصلوات الخمس في المعراج ، فلمّا هبط عليه السلام علمها الناس و كان من أفعالها الصلوة على محمد و آله في التشهد فدلّهم بذلك على أنّهم أفضل الخلق لأنّه لو كان غيرهم أفضل لكانت الصلوة عليه أوجب ، و الأوّل أظهر .

« ثمّ لقي الله » أي عند الموت أو في القيامة ، و تفريج الصدر كناية عن إظهار ما كان كامناً فيه على الناس في القيامة أو عن علمه تعالى به ، و الأوّل أظهر .

﴿ باب ﴾

[خصال المؤمن (١)]

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن جميل ابن صالح، عن عبد الملك بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمانية خصال : وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء،

باب

لما كانت أخبار هذا الباب متقاربة المضمون مع الباب السابق لم يعنونه ، والفرق بينهما أن المذكور في الباب السابق نسبة الاسلام ، وفي هذا الباب نسبة الايمان .

الحديث الاول : مجهول لكن سيأتي هذا الخبر بعينه في باب المؤمن وعلاماته وصفاته عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن جميل بن صالح عن عبد الله ابن غالب وهو أظهر ، لأن عبد الملك غير مذكور في كتب الرجال ، وعبد الله بن غالب الأسدي الشاعر ثقة معروف ، فالخبر صحيح ههنا وفيما سيأتي حسن كالتصحيح .

والوقور فعول من الوفار بالفتح وهو الحلم والرزاة ، والهزاهز التحريك ، والهزاهز الفتن التي يفتن الناس بها ، أي لا يعرض له شك عند الفتن التي تصير سبباً لشك الناس وكفرهم .

« صبور عند البلاء » البلاء اسم ما يمتحن به من خير أو شر ، وكثر استعماله في الشر وهو المراد هنا ، والصبر حبس النفس على الأمور الشاقة عليها ، وترك الاعتراض على المقدّر لها وعدم الشكاية والجزع ، وهو من أعظم خصال الايمان « شكوراً عند الرخاء » الرخاء النعمة والخصب وسعة العيش ، والشكر الاعتراف

قانعاً بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء ، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة ، إن العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل أمير جنوده ، والرفق

بالنعمة ظاهراً وباطناً ، ومعرفة المنعم وصرفها فيما أمر به ، والشكر مبالغة فيه « قانعاً بما رزقه الله » أي لا يبعثه الحرص على طلب الحرام والشبهة ، وتضييع العمر في جمع ما لا يحتاج إليه « لا يظلم الأعداء » الغرض نفي الظلم مطلقاً ، وإنما خص الأعداء بالذكر لأنهم مورد الظلم غالباً ، ولأنه يستلزم ترك ظلم غيرهم بالطريق الأولى .

« ولا يتحامل للأصدقاء » في القاموس : تحامل في الأمر وبه تكلفه على مشقة . وعليه كلفه ما لا يطيق ، فالكلام يحتمل وجوهاً :

الاول : أنه لا يظلم الناس لأجل الأصدقاء .

الثاني : أنه لا يتحمل الوزر لأجلهم كأن يشهد لهم بالزور أو يكتم الشهادة لرعايتهم أو يسعى لهم في حرام .

الثالث : أن يراد به أنه لا يحمل على نفسه للأصدقاء ما لا يمكنه الخروج عنه .

« بدنه منه في تعب » لاشتغاله وإعراضه عن الرسوم والعادات ، وسعيه في إعانة المؤمنين « والناس منه في راحة » لعدم تعريضه وإعانتهم إيّاهم « إن العلم خليل المؤمن » الخلّة الصداقة والمحبة التي تخللت القلب ، فصارت خلاله أي في باطنه ، والخليل الصديق ، فعيل بمعنى فاعل ، وإنما كان العلم خليل المؤمن لأنه لا ينتفع بخليل انتفاعه بالعلم في الدنيا والآخرة .

« والحلم وزيره » فانه يعاونه في أمور دينه وآخرته ، كمعاونة الوزير الناصح الملك « والعقل أمير جنوده » إذ جنوده في دفع وساوس الشياطين وصولاتهم الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وكلها تابعة للعقل كما مرّ بيانه في باب جنود العقل « والرفق أخوه » أي اللين واللطف والمداواة مع الصديق والعدو ، وتمشية الأمور

أخوه ، و البرّ والدّه .

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الإيمان له أركان أربعة : التوكّل على الله ، و تفويض الأمر إلى الله ، و الرضا بقضاء الله ، و التسليم لأمر الله

بتدبير و تأمّل بمنزلة الأخ له في أنّه يصاحبه ولا يفارقه ، أو في إعانته وإيصال النفع إليه « والبرّ » أي الاحسان إلى الوالدين أو إلى جميع من يستحق البرّ « والدّه » أي بمنزلة والدّه في رعايته وإختياره على جميع الأمور أو في الانتفاع منه ، و كونه سبباً لحياته المعنويّة .

الحديث الثّاني : ضعيف على المشهور .

« له أركان أربعة » إنّما جعلها بمنزلة الأركان لعدم استقرار الإيمان وثباته إلّا بها « التوكّل على الله » أي الاعتماد عليه في جميع الأمور والمهمّات ، وقطع النظر عن الأسباب الظاهرة وإن كان يجب التوسّل بها ظاهراً ، لكن من كمل يقينه بالله وأنّه القادر على كلّ شيء وأنّه المسبّب للأسباب لا يعتمد عليها بل على مسبّبها « و تفويض الأمر إلى الله » أي في دفع الأعداء الظاهرة والباطنة ، كما فوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فوفاه الله سيئات ما مكروا .

ولا ريب أنّ هذا وما قبله متفرّعان على قوة الإيمان بالله ، ويصيران سبباً أشدّة اليقين أيضاً « والرضا بقضاء الله » في الشدّة والرخاء والعافية والبلاء ، وهذا أيضاً يحصل من الإيمان بكونه سبحانه مالكا لنفع العباد وضرّهم ، ولا يفعل بهم إلّا ما هو الأصلح لهم ويصير أيضاً سبباً لكمال اليقين .

« والتسليم لأمر الله » أي الانقياد له في كلّ ما أمر به ونهى عنه ولنبيّه وأوصيائه فيما صدر عنهم من الأقوال والأفعال كما قال سبحانه : « فلا وربك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت

عزّ وجلّ .

٣ - عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه عمن ذكره ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنكم لا تكونون صالحين حتّى تعرفوا ولا تعرفون حتّى تصدّقوا ولا تصدّقون حتّى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح أوّلها إلّا بآخرها ، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا نهباً بعيداً ، إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلّا العمل الصالح ، ولا يتقبل الله إلّا بالوفاء بالشروط والعهود ، ومن وفى الله بشروطه واستكمل ما وصف في عهده نال ما عنده

وسلموا تسليماً^(١) ومدخلية هذه الخصلة في الايمان وكما له أظهر من أن يحتاج إلى البيان والله المستعان .

الحديث الثالث : ضعيف وقد مضى بهذا السند بتغيير يسير في باب معرفة الامام والردّ إليه من كتاب الحجّة وشرحناء هناك ونوضح هنا بعض التوضيح .
« حتّى تعرفوا » قيل : أى إمام الزمان « حتّى تصدّقوا » أى الامام ، وعدّة صادقاً فيما يقول « حتّى تسلموا أبواباً أربعة » قد مضى الكلام في الأبواب مفصلاً .
وقال المحدث الاسترآبادى (ره) : إشارة إلى الاقرار بالله والاقرار برسوله والاقرار بما جاء به الرسول ﷺ والاقرار بترجمة ما جاء به الرسول ﷺ ، والتهيه : التحيّر والذهاب عن الطريق الملقصد ، يقال : تاه في الارض إذا ذهب متحيّراً كما في القاموس . « إن الله أخبر العباد » تفصيل لما أجمل عليه سابقاً ، وبيان للأبواب والشروط والعهود المذكورة ، والمنار جمع منارة على غير قياس ، يعنى موضع النور ومحلّه ، وقيل : كنّى بالمنار عن الأئمّة فاتّها صيغة جمع على ما صرح به ابن الاثير في نهايته ، ويتقوى الله فيما أمره عن الاهتداء إلى الامام والافتداء به وباتيان أبوابها عن الدخول في المعرفة من جهة الامام عليه السلام ، انتهى .

واستكمل وعده ، إن الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى ، وشرع لهم فيها المنار ، وأخبرهم كيف يسلكون ، فقال : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » ^(١) وقال : « إنما يتقبل الله من المتقين » ^(٢) فمن اتقى الله عز وجل فبدأ أمره لقي الله عز وجل مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ هيهات هيهات فات قوم وما تواب قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشر كوا من حيث لا يعلمون إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ﷺ وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله وهو الإقرار بما نزل من عند الله : خذوا زينتكم عند كل مسجد و التمسوا البيوت التي

« واستكمل وعده » أي استحق وعده كاملاً كما قال تعالى : « اوفوا بعهدكم » ^(٣) .

« مات قوم » فيما مضى : فات قوم ، وهو أظهر أي فاتوا عنا ولم يبايعونا أو ماتوا ، فالثاني تأكيد « من أتى البيوت » أي بيوت الايمان والعلم والحكمة « من أبوابها » وهم الأئمة ﷺ ، إشارة إلى تأويل قوله تعالى : « وأتوا البيوت من أبوابها » ^(٤) وصل الله إشارة إلى قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ^(٥) وقوله : « أطيعوا الله ورسوله » ^(٦) وقوله : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ^(٧) .

« خذوا زينتكم » إما بيان لما نزل أو إستيناف ، وأول ﷺ الزينة بمعرفة الامام ، والمسجد بمطلق العبادة ، والبيوت ببيوت أهل العصمة سلام الله عليهم ، والرجال بهم ﷺ ، والمراد بعدم إلهائهم التجارة والبيع عن ذكر الله أنهم يجمعون بين ذين

(٢) سورة المائدة : ٢٧ .

(١) سورة طه : ٨٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٣) سورة البقرة : ٤٠ .

(٦) سورة الانعام : ٤٦ .

(٥) سورة النساء : ٥٩ .

(٧) سورة النساء : ٨٠ .

أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فإِنَّه قد خَبَّرَ كم أَنَّهُم رجال لانلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكر الله عزَّ وجلَّ وإِقام الصلاة وإِيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، إِنَّ الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثمَّ استخلصهم مصدِّقين لذلك في نَذْرِهِ ، فقال : « وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ »^(١) تاء من جهل واهتدى من أبصر وعقل ، إِنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »^(٢) وكيف يهتدي من لم يبصر ؟ وكيف يبصر من لم ينذر ؟ اتبعوا رسول الله ﷺ وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى ، فَإِنَّهُمْ علامات الأمانة

وذا ، لا أَنَّهُم يتركونهما رأساً كما ورد النصُّ عليه في خبر آخر .

قوله ﷺ : ثمَّ استخلصهم الضمير راجع إلى ولاية الأمر ، وذلك إشارة إلى الأمر ، اى استخلص واصطفى الأوصياء حال كونهم مصدِّقين لأمر الرسالة في النذر وهم الرسل فقوله : في نذره متعلق بقوله : مصدِّقين ، ويحتمل أن يكون في نذره أيضاً حالاً أى حال كونهم مندرجين في النذر ، ويمكن أن يكون ضمير استخلصهم راجعاً إلى الرسل أى ثمَّ بعد إرسال الرسل استخلصهم وأمرهم بأن يصدِّقوا أمر الخلافة في النذر بعدهم وهم الأوصياء ﷺ ، وقيل : ثمَّ للتراخي في الرتبة دون الزمان ، يعنى وقع ذلك الاستخلاص لهم حال كونهم مصدِّقين لذلك الاستخلاص في سائر نذره أيضاً بمعنى تصديق كلٍّ منهم لذلك في الباقي .

واستشهد على استمرارهم فى الإنذار بقوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » ثمَّ يبيِّن وجوب النذير وجوب معرفته بتوقف الاهتداء على الابصار ، وتوقف الابصار على الإنذار ، وتوقف الإنذار على وجود النذير ومعرفته ، وأشار بأنار الهدى إلى الأئمة ﷺ ، وفي بعض النسخ ابتعوا آثار الهدى بتقديم المؤنحة

(١) سورة الفاطر : ٢٤ .

(٢) سورة الحج : ٢٦ .

والتقى ، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن ، اقتصوا الطريق بالتماس المنار ، والتمسوا من وراء الحجب الآثار ، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم .

٣ - عنه ، عن أبيه ، عن سليمان الجعفرى ، عن أبي الحسن الرضا ، عن أبيه عليه السلام قال : رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم في بعض غزواته فقال : من القوم ؟ فقالوا : مؤمنون يا رسول الله ، قال : وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر

على المنية والغنى المعجزة .

وبنه بقوله : لو أنكر رجل عيسى عليه السلام ، على وجوب الإيمان بهم جميعاً من غير تخلف عن أحد منهم ، ثم كرر الوصية بالافتداء بهم معللاً بأنهم منار طريق الله وأمر بالتماس آثارهم إن لم يتيسر الوصول إليهم .

الحديث الرابع : صحيح .

« رفع إلى رسول الله » كمنع على البناء المعلوم أى أسرعوا إليه أو على بناء المجهول أى ظهروا ، فإن الرفع ملزوم للظهور ، وقال فى المصباح : رفعته أذعته ، ومنه رفعت على العامل ربيعة ، ورفع البعير فى سيره أسرع ، ورفعته أسرع به يتعدى ولا يتعدى ، انتهى .

وقال الكرماني فى شرح البخارى : فيه رفعت لناصرة ، أى ظهرت لأبصارنا ، وفيه : فرفع لى البيت المعمور ، أى قرب وكشف ، انتهى .

ويمكن أن يقرأ بالدال ، ولكن قد عرفت أنه لا حاجة إليه ، قال فى المصباح : دفعت إلى كذا بالبناء للمفعول : انتهت إليه .

« من القوم » أى من أى صنف من الناس أنتم ؟ « فقالوا . مؤمنون » أى نحن مؤمنون « وما بلغ من إيمانكم » ؟ من تبعيضية أى بأى حد بلغ ، أو زائدة أو سببية أى ما بلغكم ووصل إليكم بسبب إيمانكم ، أو البلوغ بمعنى الكمال و من للتبعيض أى ما كمل من صفات إيمانكم « حلما » أى هم حلما من الحلم بالكسر بمعنى العقل ،

عند الرِّخاء ، والرِّضا بالقضاء ، فقال رسول الله ﷺ حلماءُ علماءُ كادوا من فقد أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تصفون ، فلا تبنوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

﴿باب﴾

١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ؛ وعنه عن أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد مختلفة ، عن الأصبع بن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره - أو قال : في القصر - ونحن مجتمعون ، ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب وقرئ على الناس . وروى غيره أن ابن

أو عدم المبادرة عند الغضب « مالا تسكنون » أى ما يزيد على ما اضطررتم إليه من المال ، وكذا « لا تجمعوا » مالم تدعكم الضرورة للأكل إليه ويمكن تعميم الأكل بحيث يشمل سائر ما يحتاجون إليه كقوله تعالى : « ولا تاكلوا أموالكم بينكم » ^(١) أو خصهما بالذكور لأنهما عمدة مطالب الراغبين في الدنيا .
« واتقوا الله » الخ ، لما كانت تلك الصفات يقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى حثهم فى تلك الفقرات عليهما .

باب

إنما لم يعنون لأنهم من تمة السابقين ، وإنما أفرد له لأن فيه نسبة الأيمان والإسلام معاً أو لأن فيه مدح الإسلام وفضله لصفاته .

الحديث الأول : صحيح بل ثلاثة أحاديث حسن وصحيحان ، بل ادعى استفاضته بل تواتره لقوله بأسانيد مختلفة عن الأصبع .

وقوله : وروى غيره أى غير الأصبع ، وعبدالله بن الكواء كان من الخوارج « فكتب » فى كتاب « وقرئ » فى المجالس كلا الفعلين مجهول ، وإنما أمر للتشهير

الكوآء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والايمان والكفر والنفاق ، فقال :
أما بعد فإن الله تبارك وتعالى شرع الاسلام وسهّل شرائعه لمن ورده ، وأعزّ أركانه
لمن حاربه وجعله عزّاً لمن تولّاه ، وسلاماً لمن دخله وهدى لمن ائتمّ به وزينة لمن

والمبالغة على الضبط ، لكثرة فوائده والاهتمام بأخذه .

« أما بعد » اى بعد الحمد والصلوة « فإن الله تبارك وتعالى » وفي نهج البلاغة
ومن خطبة له عليه السلام : « الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهّل شرايعه لمن ورده » الشرع
والشريعة بفتحهما ما شرع الله لعباده من الدين ، أى سنّنه وافترضه عليهم ، وشرع الله
لنا كذا أى أظهره وأوضحه ، والشريعة مورد الابل على الماء الجارى ، وكذلك
المشرعة ، قال الازهرى : وتسميها العرب مشرعة إلا إذا كان الماء غير منقطع كماء
الأنهار ، ويكون ظاهراً معيناً ولا يستقى منه برشاء فإن كان من ماء الأمطار فهو
الكرع بفتحتين ، ووردت الماء كوعدت إذا أحضرته لتشرب ، وقيل : الشريعة مورد
الشاربة ، ويقال : لما شرع الله تعالى لعباده إذ به حياة الأبدان .

« وأعزّ أركانه لمن حاربه » وركن الشىء جانبه أو الجانب الأقوى منه ،
والعزّ والمنعة ، وما يتقوى به من ملك وجند وغيره كما يستند إلى الركن من الحائط
عند الضعف ، والعزّ القوّة والشدّة والغلبة ، وأعزّه أى جعله عزيزاً أى جعل أصوله
وقواعده أو دلائله وبراهينه قاهرة غالبية منيعة قويّة لمن أراد محاربته اى هدمه
وتضييعه ، وقيل : محاربته كناية عن محاربة أهله ، وفي بعض النسخ جأربه كسئل بالجمع
والهمز اى استغاث به ولجأ إليه ، وفي النهج على من غالبه ، أى حاول أن يغلبه ولعله
أظهر ، وفي تحف العقول : على من جانبه .

« وجعله عزّاً لمن تولّاه » اى جعله سبباً للعزّة والرفعة والغلبة لمن أحبه
وجعله وليّه فى الدّنيا من القتل والأسر والنهب والذلّ ، وفي الآخرة من العذاب
والخزى ، وفي مجالس الشيخ : لمن والا ، وفي النهج مكانه : فجعله أمناً لمن علّقه اى
نشب واستمسك به « وسلاماً لمن دخله » والسلم بالكسر كما فى النهج وبالفتح أيضاً

تجلّله و عذراً لمن انتحلّه و عروّة لمن اعتصم به و حبلاً لمن استمسك به و برهاناً لمن

الصالح ، و يطلق على المسالم أيضاً وبالتحريك الاستسلام إذ من دخله يؤمن من المحاربة والقتل والأسر « لمن تجلّله » كأنّه على الحذف والايصال أى تجلّل به أو علاه الاسلام وظهر عليه ، أو أخذ جلاله وعمدته ، قال الجوهرى : تجليل الفرس أن تلبسه الجبل وتجلّله اى علاه وتجلّله أى أخذ جلاله ، انتهى .

وربما يقرء بالحاء المهملة ويفسر بأن جعله حلّة على نفسه ، ولا يخفى ما فيه ، وفي المجالس والتحف لمن تحلّى به وهو أظهر .

« وعذراً لمن انتحلّه » الانتحال أخذه نحلة ودينياً ويطلق غالباً على ادعاء أمر لم يتصف به ، فسلى الثانى المراد أنه عذر ظاهراً فى الدنيا ويجرى عليه أحكام المسلمين وإن لم ينفعه فى الآخرة ، وفي التحف : ودينياً لمن انتحلّه ، والعروّة من الدلو والكوز المطبّض ، وكلّ ما يتمسك به شبه الاسلام تارة بالعروّة التى فى الجبل يتمسك بها فى الارتقاء إلى مدارج الكمال والنجاة من مهاوى الحيرة والضلال كما قال تعالى : « فقد استمسك بالعروّة الوثقى لا انفصام لها » ^(١) وتارة بالجبل المتين يصعد بالتمسك به إلى درجات المقرّبين والجبل يطلق على الرسن وعلى العهد وعلى الذمة وعلى الامان والكلّ مناسب ، وقيل : شبهه بالعروّة لأنّ من أخذ بعروّة الشئ كالكوز مثلاً ملك كلّهُ ، وكذلك من تمسك بالاسلام استولى على جمع الخيرات ، وفي المجالس والتحف « وعصمة لمن اعتصم به و برهان لمن تكلم به » البرهان الحجّة والدليل أى الاسلام إذا أحاط الانسان بأصوله وفروعه يحصل معه براهين ساطعة على من أنكرها إذ لا تحصل الاحاطة التامة إلاّ بالعلم بالكتاب والسنة وفيهما برهان كلّ شئ ، وفي النهج قبل هذه الفقرة قوله : و سلماً لمن دخله ، و ليست فيه الفقرات المتوسّطة وقوله : شاهداً « الخ » قبل قوله : ونوراً لمن استضاء به ، شبهه بالنور للاهتمام به إلى طريق النجاة ، و رشحه بذكر الاستضاءة .

تكلّم به ونوراً لمن استضاء به وعوناً لمن استغاث به و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاجّ به و علماً لمن وعاه و حديثاً لمن روى و حكماً لمن قضى ، و حلماً لمن جرّب و لباساً

« و شاهداً لمن خاصم به » إذ باشماله على البراهين الحقّة يشهد بحقيّة من خاصم به « و فلجاً لمن حاجّ به » الفلج بالفتح الظّفَر و الفوز كالأكلاج ، و الاسم بالضمّ و الحاجة المغالبة بالحجّة « و علماً لمن وعاه » أى سبباً لحصول العلم و إن كان مسبباً عنه أيضاً في الجملة ، إذ العلم به يزداد و يتكامل « و حديثاً لمن روى » أى يتضمّن الاحاطة بالاسلام أحاديث و أخباراً لمن أراد روايتها . ففي الفقرة السابقة حتّ على الدّراية ، و في هذه الفقرة حتّ على الرّواية « و حكماً لمن قضى » أى يتضمّن ما به يحكم بين المتخاصمين لمن قضى بينهما « و حلماً لمن جرّب » الحلم بمعنى العقل أو بمعنى الأناة و ترك السّفه و كلاهما يحصلان باختيار الاسلام و تجربة ما ورد فيه من المواعظ و الأحكام ، واختصاص التجربة بالاسلام لأنّ من سفه و بادر بسبب غضب عرض له يلزمه في دين الاسلام أحكام من الحدّ و التعزير و القصاص من جرّبها و اعتبر بها تحمله التجربة على العفو و الصّفح و عدم الانتقام لا سيّما مع تذكّر العقوبات الأخروية على فعلها ، و المثوبات الجايلة على تركها و كلّ ذلك يظهر من دين الاسلام .

« و لباساً لمن تدبّر » أى لباس عافية لمن تدبّر في العواقب أو في أوامره و نواهيد بتقريب ماهر أو لباس زينة ، و الأوّل أظهر وقد يقرّ تدبّر بالشاء المثلثة أى لبس و جعله مشتملاً على نفسه كالذئار و هو تصحيف لطيف ، و في النهج و الكتابين و لباساً لمن تدبّر و اللبّ بالضمّ العقل و هو أصوب « و فهماً لمن تفتّن » الفهم العلم و جودة تهيهّو الذهن بقبول ما يرد عليه ، و الفطنة الحذق و التفتّن طلب الفطنة أو إعماله ، و ظاهر أنّ الاسلام و الإتياد للرّسول و الأئمّة عليهم السلام يصير سبباً للعلم و جودة الذهن لمن أعمل الفطنة فيما يصدر عنهم من المعارف و الحكم ، و في المجالس لمن فطن . « و يقيناً لمن عقل » أى يصير سبباً لحصول اليقين لمن تفكّر و تدبّر يقال :

لمن تدبّر وفهماً لمن تنطقن ويقيناً لمن عقل وبصيرة لمن عزم وآية لمن توسّم وعبرة لمن اتّعظ ونجاة لمن صدّق وتؤدة لمن أصلح وزلفى لمن اقترب وثقة لمن توكل ورخاء لمن

عقلت الشيء عقلاً كضربت اى تدبّرتّه ، و عقل كعلم لغة فيه ويمكن أن يراد بمن عقل من كان من أهل العقل وهو قوّة بها يكون التميز بين الحسن والقيح ، وقيل: غريزة يتهيأ بها الانسان لفهم الخطاب ، وفي النهج مكان الفقرتين : وفهماً لمن عقل. «و بصيرة لمن عزم» وقال الراغب : يقال : لقوّة القلب المدركة بصيرة وبصر ، ومنه : «أدعوا إلى الله على بصيرة» ^(١) اى على معرفة وتحقق ، وقوله : تبصرة ، أى تبصيراً وتبييناً يقال : بصرته تبصيراً أو تبصرة ، كما يقال: ذكرته تذكيراً أو تذكرة ، وقال: العزم والعزيمة عقد القلب على إضفاء الأمر يقال: عزمته الأمر وعزمت عليه واعتزمت ، انتهى . اى تبصرة لمن عزم على الطاعة كيف يؤدّبها أو في جميع الأمور ، فإنّ في الدين كيفية المخرج في جميع أمور الدّين والدّنيا ، وأيضاً من كان زادين لا يعزم على أمر إلاّ على وجه البصيرة .

«و آية لمن توسّم» أى الاسلام مشتمل على علامات لمن تفرّس ونظر بنور العلم واليقين إشارة إلى قوله تعالى : «إنّ في ذلك لآيات للممتوسّمين» ^(٢) قال الراغب: الوسم التأثير والسمة الأثر ، قال تعالى : «سماهم في وجوههم من أثر السجود» ^(٣) وقال : «تعرفهم بسماهم» ^(٤) وقوله تعالى . «إنّ في ذلك لآيات للممتوسّمين» أى للمعتبرين العارفين المتفطّنين وهذا التوسّم هو الذى سماه قوم الذكاء ، وقوم الفطنة وقوم الفراسة ، وقال عليه السلام : اتقوا فراسة المؤمن ، وقال: المؤمن ينظر بنور الله ، وتوسّمت تعرّفت السّمة .

« وعبرة لمن اتّعظ » العبرة بالكسر ما يتعظّ به الانسان ويعتبره ليستدلّ به على غيره ، والاتّعاظ قبول الوعظ « ونجاة لمن صدّق » بالتشديد ويحتمل التخفيف كما ورد في الخبر من صدق نجا ، والأوّل هو المضبوط في نسخ النهج « وتؤدة »

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٢) سورة الحجر : ٥٧ .

(٣) سورة الفتح : ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢٧٣ .

كهزمة بالهمز «لمن أصلح» في القاموس: التؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزانة والثأني وقدا تادّ و توادّ ، وفي المصباح : اتدّ في مشيه على افتعل اتئاداً ترفق ولم يعجل ، وهو يمشى على تؤدة وزان رطبة وفيه تؤدة أى تثبت ، وأصل التاء فيها واو ، انتهى .
 أى يصير الاسلام سبب وقار و رزانة لمن أصلح نفسه بشرايعه وقوانينه ، أو أصلح أموره بالثأني أو يتأني في الإصلاح بين الناس أو بينه وبين الناس ، وفي بعض النسخ و مودة وهو بالأخير أنسب ، وفي المجالس و مودة من الله لمن أصلح ، وفي التحف و مودة من الله لمن صلح ، أى يودة الله أو يلقي حبه في قلوب العباد كما قال سبحانه : «إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً» (١) .

« وزلفى لمن اقرب » الزلفى كحلبى القرب والمنزلة والخطوة ، والاقتراب الدنو و طلب القرب ، و كأنّ المعنى: الاسلام سبب قرب من الله تعالى لمن طلب ذلك بالأعمال الصالحة التى دلّ عليها دين الاسلام و شرايعه ، وفي بعض النسخ لمن إقترن أى معه ولم يفارقه و كأنّه تصحيف ، وفي المجالس والتحف : لمن ارتقب أى انتظر الموت أو رحمة الله أو حفظ شرايع الدين ، و ترصد مواقيتها ، في القاموس : الرقيب : الحافظ والمنتظر والمارس ، ورقبه انتظره كترقبه و ارتقبه ، و الشيء حرسه كراقبه مراقبة و ارتقب أشرف و علا .

« وثقة لمن توكل » الثقة من يؤمن ويعتمد عليه ، يقال : وثقت به أثق بكسرهما ثقة و وثوقاً أى ائتمنته و وثق الشيء بالضم وثاقة فهو وثيق ، أى ثابت محكم وتوكل عليه أى الاسلام ثقة مأمون لمن وكتل أموره إليه أى راعى في جميع الأمور قوانينه فلا يخدعه أو يصير الاسلام سبباً لوثوق المرء على الله إذا توكل عليه ويعلم به أن الله حسبه و نعم الوكيل .

« و رجاء لمن فوّض » أى الاسلام سبب رجاء لمن فوّض أموره إليه أو إلى الله

فَوْضٌ وَسَبْقَةٌ لِمَنْ أَحْسَنَ وَخَيْرًا لِمَنْ سَارَعَ وَجَنَّةٌ لِمَنْ صَبَرَ وَلِبَاسًا لِمَنْ اتَّقَى وَظَهيراً

على الوجهين السَّابِقِينَ ، و في بعض النسخ بالخاء المعجمة اى سعة عيش ، و في النهج و الكتابين و راحة و هو أظهر « و سَبْقَةٌ لِمَنْ أَحْسَنَ » في القاموس سَبْقُهُ يسبقه تقدّم ، و الفرس في الحلبه جَلَى و السَّبْقُ محرّكة و السَّبْقَةُ بالضمّ الخطر يوضع بين أهل السباق، و هما سبقان بالكسر اى يستبقان ، انتهى .

و الظاهر هنا سَبْقَةٌ بالضمّ اى الاسلام متضمن بسبقته لمن أحسن المسابقة أو لمن أحسن إلى الناس فإنّه من الأمور التي تحسن المسابقة فيه أو لمن أحسن صحبته أو لمن أتى بأمر حسن، فبمثل جميع الفئات، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى قوله تعالى : « و السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ »^(١) بأن يكون المعنى اتبعوهم في الاحسان « و خيراً لمن سارع » على الوجوه المتقدمة إشارة إلى قوله ، سبحانه في مواضع : « يسارعون في الخيرات »^(٢) .

« و جنّة لمن صبر » الجنّة بالضمّ التّرس و كلّ ما وقى من سلاح وغيره فالاسلام يحثّ على الصّبر و هو جنّة لمخاوف الدّنيا و الآخرة ، و قيل : استعمار لفظ الجنّة للاسلام لأنّه يحفظ من صبر على العمل بقواعده و أركانه من العقوبة الدنيوية و الآخروية ، و قيل : جنّة لمن صبر في المناظرة مع أعادي الدّين .

« و لباساً لمن اتقى » كأنّه إشارة إلى قوله تعالى : « و لباس التقوى ذاك خير »^(٣) بناء على أنّ المراد بلباس التقوى خشية الله أو الايمان أو العمل الصّالح، أو الحياء الذي يكسب التقوى ، أو السّمت الحسن ، وقد قيل كلّ ذلك ، أو اللباس الذي هو التقوى فإنّه يستر الفضائح و القبايح و يذهبها ، لالباس الحرب كالدرع و المغفر و الآلات التي يتقى بها عن العدو كما قيل ، فالاسلام سبب للباس لباس الايمان و التقوى و الأعمال الصّالحة و الحياء و هيئة أهل الخير لمن اتقى و عمل بشرايعه .

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١١٤ .

(٣) سورة الاعراف : ٢٦ .

لن رشد و كهفاً لمن آمن و أمانة لمن أسلم و رجاء لمن صدق و غنى لمن قنع ، فذلك

« و ظهيراً لمن رشد » أي معيناً لمن اختار الرشد والصّلاح ، في القاموس: رشد كنعصر و فرح رشداً و رشداً و رشاداً اهتدى ، و الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصائب فيه ، و في التحف : و تطهيراً لمن رشد ، « و كهفاً لمن آمن » الكهف : كالغار في الجبل والملاجئ أي محل آمن من مخاوف الدنيا والعقبى لمن آمن بقلبه ، لا لمن أظهر بلسانه و نافق بقلبه ، « و أمانة لمن أسلم » الأمانة بالتحريك الأمان ، و قيل في الآية جمع كالكتبة ، و الظاهر أن المراد بالاسلام هنا الانقياد التام لله و لرسوله و لأئمة المؤمنين ، فإن من كان كذلك فهو آمن في الدنيا و الآخرة من مضارهما « و رجاء لمن صدق » أي الاسلام باعتبار إشماله على الوعد بالمشوبات الأخروية و الدرجات العالية سبب لرجاء من صدق به ، و يمكن أن يقرء بالتخفيف و يؤيده أن في التحف و روحاً للصادقين ، و في بعض نسخ الكتاب أيضاً روحاً ، و منهم من فسر الفقرتين بأن الاسلام أمانة في الدنيا لمن أسلم ظاهراً ، و روح في الآخرة لمن صدق باطناً .

أقول : و كأنه يؤيده قوله تعالى : « و أما إن كان من المقربين فروح و ريحان و جنة نعيم » ^(١) .

« و غنى لمن قنع » أي الاسلام لاشتماله على مدح القناعة و فوائدها فهو يصير سبباً لرضا من قنع بالقليل و غناه عن الناس ، و قيل : لأن التمسك بقواعده يوجب وصول ذلك القدر إليه كما قال عز شانه : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب » ^(٢) و يحتمل أن يراد به أن الاسلام باعتبار إشماله على ما لابد للإنسان منه من العلوم الحقة و المعارف الإلهية و الأحكام الدينية يغني من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكيمية و القوانين الكلامية و الاستحسانات

(١) سورة الواقعة : ٨٩ .

(٢) سورة الطلاق . ٣ .

الحق، سبيله الهدى ومآثرته المجد وصفته الحسنى فهو أبلغ المنهاج مشرق المنار،

العقلية والقياسات الفقهية، وإن كان بعيداً.

« فذلك الحق » أى ما وصفت لك من صفة الاسلام حق، أو ذلك إشارة إلى الاسلام، أى فلما كان الاسلام متصفاً بتلك الصفات فهو الحق الثابت الذى لا يتغير أو لا يشوبه باطل، أو ذلك هو الحق الذى قال الله تعالى: « أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الالباب »^(١) وقوله: سبيله الهدى، إستيناف يائى أو الحق صفة لاسم الاشارة، و سبيله الهدى خبره أى هذا الدين الحق الذى عرفت فوائده و صفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله سبحانه: « أولئك على هدى من ربهم »^(٢) وكأنه إشارة إليه أيضاً، والمراد بالهدى الهداية الربانية الموصلة إلى المطلوب.

« ومآثرته المجد » المآثرة بفتح الميم و سكون الهمزة و ضم التاء و فتحها واحدة المآثر، و هى المكارم من الأثر و هو النقل و الرواية لأنها تؤثر و تروى، و فى القاموس: المكرمة المتوارثة، و المجد نيل الكرم و الشرف، و رجل ماخذ أى كريم شريف، و يطلق غالباً على ما يكون بالآباء فكان المعنى أنه يصير سبباً لمجد صاحبه حتى يسرى فى أعقابه أيضاً « وصفته الحسنى » أى موصوف بأنه أحسن الأخلاق و الأحوال و الأعمال، و فى المجالس بعد قوله: و جنة لمن صبر: الحق سبيله و الهدى صفته، و الحسنى مآثرته، و فى التحف فالإيمان اصل الحق و سبيله الهدى.

« فهو أبلغ المنهاج » و فى المنهج: المناهج، فى القاموس: بليج الصبح أضاء و أشرق كابتليج و تبلج و أبلغ، و كل متضح أبلغ، و النهج و المنهج و المنهاج: الطريق الواضح، و أفهج وضح و أوضح، و فى النهج بعده: واضح الولايج، أى

(١) سورة الرعد: ١٩.

(٢) سورة البقرة: ٥.

ذاكي المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار ، جامع الحيلة ، سريع السبقة ، أليم

المداخل .

« مشرق المنار » المنار جمع منارة وهي العلامة توضع في الطريق و كأنها سميت بذلك لأنهم كانوا يضعون عليها النار لاهتداء الضال في الليل ، وفي القاموس : المنارة و الأصل المنورة موضع النور كالمنار ، والمسرجة و المأذنة والجمع مناور و منائر ، و المنار العلم ، انتهى .

و في النهج مشرف بالفاء ، أى العالى وبعده مشرق الجواد جمع الجادة « ذاكى المصباح » و في النهج والكتابين مضى المصباح ، وفي القاموس : ذكت النار واستذكت اشتد لها ، و هي ذكية و أذكاه و ذكاهها أو قدما « رفيع الغاية » الغاية منتهى السباق أو الراية المنصوبة في آخر المسافة ، و هي خرقة تجعل على قصبه و تنصب في آخر المدى يأخذ بها السابق من الفرسان ، و كأن الرفعة كناية عن الظهور كما ستعرف ، و قيل : هو من قولهم رفع البعير في سيره : بالغ أى يرفع إليها .

« يسير المضمار » في النهاية تضمير الخيل هو أن تضامر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلق إلا قوتاً لتخف ، و قيل : تشد عليها سر وجهها و تجلل بالأجلة حتى تعرق فيذهب رهلها ^(١) و يشتد لحمها ، و في حديث حذيفة : اليوم مضمار و غداً السباق أى اليوم العمل في الدنيا للاستباق في الجنة ، و المضمار الموضع الذى تضمير فيه الخيل ويكون وقتاً للأيام التى تضمير فيها و في القاموس : المضمار الموضع الذى يضمير فيه الخيل ، و غاية الفرس في السباق ، انتهى .

و الحاصل أن المضمار يطلق على موضع تضمير الفرس للسباق وزمانه ، وعلى الميدان الذى يسابق فيه ، و شبهه عَلَيْهِ السَّلَامُ أهل الاسلام بالخيل التى تجمع للسباق ومدّة عمر الدنيا بالميدان الذى يسابق فيه ، و الموت بالعلم المنسوب في نهاية الميدان ،

• • • • •

فإن ما يتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنما هو قبل الموت والقيامة بوضع تجمع فيه الخيل بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه و يظهر خسران من تأخر، و الجنة بالسبقة، و النار بما يلحق المتأخر من الحرمان و الخسران .
أو شبه ﷺ الدنيا بزمان تضمير الخيل أو مكانه و القيامة بميدان المسابقة فمن كان تضييره في الدنيا أحسن كانت سبقة في الآخرة أكثر كما ورد التشبيه كذلك في قوله ﷺ في خطبة أخرى : ألا وإن اليوم المضمار وعدا السباق ، و السبقة الجنة و الغاية النار ، لكن ينفيه ظاهراً قوله : و الموت غايته ، إلا أن يقال : المراد بالموت ما يلزمه من دخول الجنة أو النار إشارة إلى أن آثار السعادة و الشقاوة الأخروية تظهر عند الموت، كما ورد ليس بين أحدكم و بين الجنة و النار إلا الموت .

وعلى التقديرين المراد بقوله : يسير المضمار ، قلة مدته و سرعة ظهور السبق وعدمه ، أو سهولة قطعه وعدم وعورته ، أو سهولة التضمير فيه و عدم صعوبته لقصر المدة و تهتئ الأسباب من الله تعالى ، وفي النهج كريم المضمار ، فكان كرمه لكونه جامعاً لجهات المصلحة التي خلق لأجله وهي اختبار العباد بالطاعات وفوز الفائزين بأرفع الدرجات ، ولا ينافي ذلك ما ورد في ذم الدنيا لأنه يرجع إلى ذم من ركن إليها وقصر النظر عليها ، كما بين ﷺ ذلك في خطبة أوردناها في كتاب الروضة .
« جامع الحلبة » الحلبة بالفتح خيل تجمع للسباق من كل أوب أى ناحية لا تخرج من إصطبل واحد ، ويقال : للقوم إذا جاءوا من كل أوب للنصرة قد أحلبوا ، و كون الحلبة جامعة عدم خروج أحد منها ، أو المراد بالحلبة محلها و هو القيامة كما سيأتي ، فالمراد أنه يجمع الجميع للحساب كما قال تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس »^(١) .

النقمة ، كامل العدة ، كريم الفرسان ، فالإيمان منهاجه ، و الصالحات مناره و الفقه

«سريع السبقة» السبقة بالفتح كما في النهج أى يحصل سبق سريعاً في الدنيا للماملين أو في القيامة إلى الجنة ، أو بالضم أى يصل إلى السابقين عوض السباق وهو الجنة سريعاً لأن مدة الدنيا قليلة وهو أظهر .

وفي النهج والمجالس والتحف : متنافس السبقة فالضم أصوب و إنكان المضبوط في نسخ النهج بالفتح ، والتنافس الرغبة في الشيء النفيس الجيد في نوعه .

« ألبم النقمة » أى مولم إنتقام من تأخر في المضمار لانه النار «كامل العدة» بالضم والشدة ما أعدته وهيأته من مال أو سلاح أو غير ذلك مما ينفعك يوماً ما ، و المراد هنا التقوى و كما له ظاهر «كريم الفرسان» و في النهج شريف الفرسان ، والفرسان بالضم جمع فارس كالفوارس .

ثم قدّر صلوات الله عليهم ما بهم من الأمور المذكورة فقال : فالإيمان منهاجه ، هذا ناظر إلى قوله : وأبلغ المنهاج ، أى المنهاج الواضح للإسلام هو التصديق القلبى بالله وبرسوله وبما جاء به والبراهين القاطعة الدالة عليه ، وفي النهج وغيره : فالتصديق منهاجه وهو أظهر « والصالحات مناره » ناظر إلى قوله : مشرق المنار ، شبه الأعمال الصالحة و العبادات الموظفة بالأعلام و المنائر التى تنصب على طريق السالكين لئلا يضلوا ، فمن اتبع الشريعة النبوية وأتى بالفرائض والنوافل يهديه الله للسلوك إليه ، وبالعمل يقوى إيمانه و بقوة الإيمان يزداد عمله ، وكلما وصل إلى علم يظهر له علم آخر ، و يزداد يقينه بحقيقة الطريق إلى أن يقطع عمره ، و يصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليته التى جعلها الله له ، أو شبه الإيمان بالطريق والأعمال بالأعلام ، فكما أن بسلوك الطريق تظهر الأعلام فكذلك بالتصديق بالله و رسله وحججه ﷺ تعرف الأعمال الصالحة ، وقيل : الأعمال الصالحة علامات لإسلام المسلم ، وبها يستدل على إيمانه ولا يتم حينئذ التشبيه .

مصاييحه والدنيا مضماره والموت غايته والقيامة حلبيته والجنة سبقته والنار نقمته

« والفقه مصاييحه » الفقه العلم بالمسائل الشرعية أو الأعم ، وبه يرى طريق السلوك إلى الله وأعلامه ، وهو ناظر إلى قوله : ذا كنى المصباح ، إذ علوم الدين و شرايعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وبما أفاضوا عليهم من العلوم الربانية .

« و الدنيا مضماره » قال ابن أبي الحديد : كان الانسان يجرى في الدنيا إلى غاية الموت وإنما جعلها مضمار الاسلام لأن المسلم يقطع دنياه لالدنيا بل لا آخرته ، فالدنيا له كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة « و الموت غايته » قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية ، و قال ابن أبي الحديد : اى ان الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخاض من ذلك السجن .

وقال ابن ميثم : إنما جعل الموت غاية اى الغاية القريبة التى هى باب الوصول إلى الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فانها غاية قريبة للإسلام أيضاً ، وهذا ناظر إلى قوله : رفيع الغاية ، وفي سائر الكتب هذه الفقرة مقدّمة على السابقة ، فالنشر على ترتيب اللّف ، وعلى ما في الكتاب يمكن أن يقال : لعل التأخير هنا لأجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع و التقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف ، وإنها الفائدة المقصودة فأشير إلى الجهتين الواقعتين بتغيير الترتيب « والقيامة حلبيته » اى محل اجتماع الحلقة إما للسباق أو لحيازة السبقة كما مرّ ، و إطلاق الحلقة عليها من قبيل تسمية المحل باسم الحال و قال ابن أبي الحديد : حلبيته أى ذات حلبيته ، فحذف المضاف كقوله تعالى : « هم درجات عند الله »^(١) اى زووا درجات .

« والجنة سبقته » في أكثر نسخ النهج سبقته بالفتح فلذا قال الشراح : أى جزاء سبقته فحذف المضاف والظاهر سبقته بالضم فلا حاجة إلى تقدير كما عرفت

والتقوى عدته والمحسنون فرسانه ، فبالإيمان يستدل على الصالحات و بالصالحات يعمر الفقه وبالفقه يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تجوز القيامة وبالقيامة

« و النار نعمته » اى نصيب من تأخر ولم يحصل له إستحقاق للسبقة أصلاً النار ، زائداً عن الحسرة والحرمان « والتقوى عدته » ناظر إلى قوله : كامل العدة ، لأن التقوى تنفع في أشد الأحوال وأعظمها وهو القيامة كما أن العدة من المال وغيره تنفع صاحبها عند الحاجة إليها .

« والمحسنون فرسانه » لأنهم بالاحسان والطاعات يتسابقون في هذا المضمار ، فبالإيمان يستدل على الصالحات إذ تصديق الله ورسوله وحججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة وكيفيةها من واجبها وندبها ، وقيل : لأن الإيمان منهج الاسلام وطريقه ولا بد للطريق من زاد يناسبه ، وزاد طريق الاسلام هو الاخلاق والأعمال الصالحة ، فيدل الإيمان عليها كدلالة السبب على المسبب وقيل : اى يستدل بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها ، انتهى .

و كآفته حمل الكلام على القلب وإلا فلا معنى للاستدلال بالأمر المخفي في القلب على الأمر الظاهر ، نعم يمكن أن يكون المعنى أن بالإيمان يستدل على صحة الأعمال وقبولها فاته لا تقبل أعمال غير المؤمن ، وهذا معنى حسن لكن الأول أحسن « وبالصالحات يعمر الفقه » لأن العمل يصير سبباً لزيادة العلم كما أن من بيده سراجاً إذا وقف لا يرى إلا ما حوله وكلما مشى ينتفع بالضوء ويرى ما لم يره كما ورد : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، وقد مر أن العلم يهتف بالعمل فان أجاب وإلا ارتحل عنه ، وقيل : الفقرتان مبنيتان على أن المراد بالعمل الصالح ولاية أهل البيت عليهم السلام كما ورد في تأويل كثير من الآيات ، وظاهر أن بالإيمان يستدل على الولاية ربها يعمر الفقه لأخذه عنهم .

« وبالفقه يرهب الموت » أى كثرة العلم واليقين سبب لزيادة الخشية كما قال

تزلف الجنة والجنة حسرة أهل النار والنار موعظة للمتقين والتقوى سنخ الايمان .

تعالى . « إنَّما يخشى الله من عباده العلماء » ^(١) فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له ولما بعده ، فقوله : وبالموت تختتم الدنيا كالتعليل لذلك لأنَّ الدنيا التي هي مضمار العمل تختتم بالموت فلذا يرهبه لحيلولته بينه وبين العمل والاستعداد للقاء الله لا لحب الحياة واللذات الدنيوية والمألوفات الفانية « وبالدنيا تجوز القيامة » هذه الفقرة أيضاً كالتعليل لما سبق أى إنَّما ترهب الموت لأنَّ بالدنيا والأعمال الصالحة المكتسبة فيها تجوز من أهوال القيامة وتخرج عنها إلى نعيم الأبد بأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز ، وفي بعض النسخ بصيغة الغيبة أى يجوز المؤمن أو الانسان ، وفي بعضها يجاز على بناء المجهول وهو أظهر ، وفي بعضها يحاز بالحاء المهملة من الحيازة أى تحاز مثوبات القيامة وعلى التقادير فالوجه فيه أن كل ما يلقاه العبد في القيامة فانما هو نتایج عقائده وأعماله وأخلاقه المكتسبة في الدنيا ، فبالدنيا تجاز القيامة أو تحاز .

و منهم من قرء تحوز بالحاء المهملة أى بسبب الدنيا وأعمالها تجمع القيامة الناس للحساب والجزاء فإن القيامة جامع الحلبة كامر ، وفي التحف تحذر القيامة وكأنه أظهر .

« وبالقيامة تزلف الجنة » أى تقرب للمتقين كما قال تعالى : « وأزلفت الجنة للمتقين » ^(٢) وفي المجالس : وتزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين ، وقال البيضاوى : وأزلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون ^(٣) بأنهم المنحشورون إليها « وبرزت الجحيم للغاوين » فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها ، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ، انتهى .

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

(٢) سورة ق : ٣١ .

(٣) تبجح به : فرح .

﴿باب﴾

﴿صفة الايمان﴾

١ - بالاسناد الاول ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان ، فقال : « إن الله عز وجل »

« والجنة حسرة أهل النار » في القيامة حيث لا تنفع الحسرة والندامة ، و تلك علاوة لعذابهم العظيم « والنار موعظة للمتقين » في الدنيا حيث ينفعهم فيتركون ما يوجبها ويأتون بما يوجب البعد عنها « والتقوى سنخ الايمان » اى أصله وأساسه ، في القاموس : السنخ بالكسر الأصل .

باب صفة الايمان

الحديث الاول : صحيح وهو من تمة الخبر السابق ، وهو مروي في الكتب الثلاثة بتغيير نشير إلى بعضه .

قال في النهج : سئل عليه السلام عن الايمان ؟ فقال : الايمان على أربع دعائم ، الدعامة بالكسر عماد البيت ، ودعائم الايمان ما يستقر عليه ويوجب ثباته واستمراره وقوته « على الصبر واليقين والعدل والجهاد » قال ابن ميثم : فاعلم أنه عليه السلام أراد الايمان الكامل ، وذلك له أصل وله كمالات بها يتم أصله ، فأصله هو التصديق بوجود الصانع ، و ماله من صفات الكمال و نعوت الجلال ، و بما تنزلت به كتبه و بلغته رسله ، و كمالاته المتتممة هي الأقوال المطابقة ومكارم الأخلاق والعبادات .

ثم إن هذا الأصل ومتمماته هو كمال النفس الانسانية لأنها ذات قوتين علمية وعملية ، و كمالها بكمال هاتين القوتين ، فأصل الايمان هو كمال القوة العلمية منها ، ومتمماته وهي مكارم الاخلاق و العبادات هي كمال القوة العملية . إذ عرفت هذا فنقول : لما كانت أصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الايمان

جعل الايمان علي أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهد ، فالصبر من ذلك
على أربع شعب : على الشوق والاشفاق والزهد والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا

أربعاً هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل أشار إليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار
أنّ الايمان الكامل لا يقوم في الوجود إلّا بها ، كدعائم البيت فعبّر عن الحكمة
باليقين ، والحكمة منها علميّة وهي استكمال القوة النظرية بتصور الأمور والتصديق
بالحقائق النظرية ، العملية بقدر الطاقة البشرية ، ولا تسمى حكمة حتى يصير
هذا الكمال حاصلاً لها باليقين والبرهان ، ومنها علميّة وهي استكمال النفس بملكة
العلم بوجوه الفضائل النفسانيّة الخلقية ، وكيفية إكتسابها ووجوه الرذائل
النفسانيّة وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها ، وظاهر أنّ العلم الذي صار ملكة هو
البقيين وعبر عن العفة بالصبر .

و العفة هي الامساك عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة و عدم الانقياد
للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي الصّحيح ، ومقتضى الحكمة المذكورة ، وإنّما
عبر عنها بالصبر لأنّها لازم من لوازمه ، إذ رسمه أنّه ضبط النفس وقهرها عن
الانقياد لقبايح اللذات .

وقيل : هو ضبط النفس عن أن يقهرها إلى مكرره ينزل بها ، ويلزم في العقل
احتماله أو يلزمها حبّ مشتهى يتشوق الإنسان إليه ، ويلزمه في حكم العقل إجتنابه
حتى لا يتناوله على غير وجهه ، وظاهر أنّ ذلك يلزم العفة وكذلك عبّر عن الشجاعة
بالجهد لاستلزامه إيّاها إطلاقاً لا اسم الملزوم على لازمه .

والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الأمور التي يحتاج الإنسان أن يعرض
نفسه لاحتمال المكروه والآلام الواصلة إليه منها ، وأمّا العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ
عن الفضائل الثلاث المشهورة وتلزمها ، إذ كلّ واحدة من هذه الفضائل محتوشة
برذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط منها ، ومقابلة برذيلة هي ضدّها ، انتهى .

فالصبر من ذلك « وفي النهج منها « على أربع شعب « الشعبة من الشجرة

عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه

بالضمّ الغصن المتفرّع منها ، وقيل : الشعبة ما بين الغصنين والقرنين ، والطائفة من الشيء و طرف الغصن ، والمراد هنا فروع الصّبر و أنواعه أو أسباب حصوله « على الشوق والإشفاق » وفي سائر الكتب والشفق والزهد ، وفي المجالس والزهادة والتّرقّب ، الشوق إلى الشيء نزوع النفس إليه و حركة الهوى ، والشفق بالتحريك : الحذر والخوف كالاشفاق ، والزهد ضدّ الرغبة « و التّرقّب » الانتظار أى إنتظار الموت و مداومة ذكره وعدم الغفلة عنه ، ولما كان الصّبر أنواع ثلاثة كما سيأتى في باب الصبر عند البليّة والصّبر على مشقّة الطّاعة ، والصّبر على ترك الشهوات المحرّمة ، وكان ترك الشهوات قد يكون للشوق إلى اللذات الأخرويّة ، وقد يكون للخوف من عقوباتها جعل بناء الصّبر على أربع ، على الشوق إلى الجنّة ، ثم بيّن ذلك بقوله : فمن اشتاق إلى الجنّة سلاعن الشهوات أى نسيها وصبر على تركها ، يقال : سلاعن الشيء أى نسيه ، وسلوت عنه سلواً كفعدت فعوداً أى صبرت ، وعلى الاشفاق عن النار ، وبيّنها بقوله : ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات ، وفي المجالس والتحف عن الحرّمات ، وفي النهج اجتنب المحرّمات ، ويمكن أن تكون الشهوات المذكورة سابقاً شاملة للمكرّهات أيضاً .

وعلى الزهد وعدم الرغبة في الدنيا وما فيها من الأموال والأزواج والأولاد وغيرها من ملذّتها وما ألوفاتها ، وبيّنها بقوله : ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، وفي بعض النسخ والكتابين : المصيبات . وفي النهج : استهان بالمصيبات أى عدّها سهلاً حينئذ واستخفّ بها ، لأنّ المصيبة حينئذ يفقد شيء من الأمور التى زهد عنها ولم يستقرّ في قلبه حبّها وعلى ارتقاب الموت وكثرة تذكره وبيّنها بقوله : ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات ، وفي الكتابين ومن ارتقب ، وفي النهج : في الخيرات .

ثم أنّ تخصيص الشوق إلى الجنّة والإشفاق من النار بترك المشتهيات والمحرّمات مع أنّهما يصيران سببين لفعل الطّاعات أيضاً إمّا لشدة الاهتمام بترك المحرّمات

المصيبات و من راقب الموت سارع إلى الخيرات ؛ و اليقين على أربع شعب : نبصرة
الفتنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة وسنة التأولين . فمن أبصر الفتنة عرف الحكمة

وكون الصبر عليها أشقّ و أفضل كما سيأتي في الخبر، أو لأنّ فعل الطاعات أيضاً
داخلة فيهما فإنّ المانع عن الطاعات غالباً الاشتغال بالشهوات النفسانية ، فالسلو
عنهما يستلزم فعلها ، بل لا يبعد أن يكون الغرض الأصليّ من الفقرة الأولى ذلك
بل يمكن إدخال فعل الواجبات في الفقرة الثانية ، لأنّ ترك كلّ واجب محرّم
ويدخل ترك المكروهات وفعل المندوبات في الفقرة الأولى .

«واليقين على أربع شعب تبصرة الفتنة» وفي النهج والتحف على تبصرة ، والتبصرة
مصدر باب التفعيل ، والفتنة الحذق وجودة الفهم ، وقال ابن ميثم : هي سرعة هجوم
النفس على حقايق ما تورده الحواس عليها وقال : تبصرة الفتنة أعمالها .

أقول : يمكن أن تكون الاضافة إلى الفاعل ، أي جعل الفتنة الانسان بصيراً
أو إلى المفعول أي جعل الانسان الفتنة بصيرة ، ويحتمل أن تكون التبصرة بمعنى
الابصار والرؤية فرؤيتها كناية عن التوجّه والتأمل فيها وفي مقتضاها ، فالاضافة إلى
المفعول وحمله على الاضافة إلى الفاعل محوج إلى تكلف في قوله : فمن أبصر الفتنة .
« وتأول الحكمة » التأول والتأويل تفسير ما يؤل إليه الشيء ، وقيل : أوّل

الكلام وتأوله أي دبّره وقدّره وفسّره ، والحكمة العلم بالأشياء على ما هي عليه ،
فتأول الحكمة التأول الناشئ من العلم والمعرفة ، وهو الاستدلال على الأشياء
بالبراهين الحقّة وقال ابن ميثم : هو تفسير الحكمة واكتساب الحقايق ببراهينها ،
واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الأخلاق من مظانّها ككلام يؤثر أو غيره يعتبر ،
وقال الكيديرى : تأول الحكمة هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا ، وأولى الحكمة
بأن يعلم قول الله ورسوله قال تعالى : « ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ^(١) .

« ومعرفة العبرة » وفي سائر الكتب : وموعظة العبرة ، والعبرة ما يتعظ به

و من تأوّل الحكمة عرف العبرة و من عرف العبرة عرف السنّة و من عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين و اهتدى إلى التي هي أقوم و نظر إلى من نجى بما نجى و من

الانسان و يعتبره ليستدلّ به على غيره ، و الموعظة تذكير ما يلين القلب ، و موعظة العبرة أن تعظ العبرة الانسان فيتعظ بها « و سنّة الأوّلين » السنّة السيرة محمودة كانت أو مذمومة ، أى معرفة سنّة الماضين و ما آل أمرهم إليه من سعادة أو شقاوة فيتبع أعمال السعداء و يجتنب قبائح الأشقياء .

ثمّ بيّن عليه السلام فوائد هذه الشعب و كيفية ترتّب اليقين عليها فقال : فمن أبصر الفطنة أى جعلها بصيرة أو نظر إليها وأعملها ، كأنّ من لم يعملها ولم يعمل بمقتضاها لم يبصرها ، و في سائر الكتب تبصّر في الفطنة وهو أظهر « عرف الحكمة » و في النهج تبيّنت له الحكمة ، و في التحف تأوّل الحكمة ، و في المجالس تبيّن الحكمة و الكلّ حسن ، وقال الكيدري : تبصّر أى نظر وتفكّر ، وصار ذابصيرة وقال : الحكمة العلم الذى يدفع الانسان عن فعل القبيح ، مستعار من حكمة الأجرام ، و من تأوّل الحكمة وعرفها كما هي ، عرف العبرة بأحوال السّماء والأرض والدنيا وأهلها ، فتحصل له الحكمة النظرية والعملية ، و في النهج : و من تبيّنت له الكحة ، و في المجالس : و من تبيّن الحكمة .

« و من عرف العبرة عرف السنّة » أى سنّة الأوّلين و سنّة الله فيهم ، فإنّها من أعظم العبر و من عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين ، و في حياتهم أو بعد موتهم أيضاً فإنّ المعرفة الكاملة تفيد فائدة المعاينة لأهلها ، و في التحف فكأنّما عاش في الأوّلين و في النهج : و من عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين « و اهتدى » أى بذلك « إلى التي هي أقوم » أى الطريقة التي هي أقوم الطرائق .

ثمّ بيّن عليه السلام كيفية العبرة فقال : « و نظر إلى من نجا » أى من الأوّلين « بما نجا » من متابعة الأنبياء والمرسلين والأوصياء المرضيين والاقتداء بهم علماً

هلك بما هلك وإِنَّمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِكَ بِمَعْصِيَتِهِ وَأَنْجَى مِنْ أَنْجَى بِطَاعَتِهِ ؛ وَالْعَدْلُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : غَامُضُ الْفَهْمِ وَغَمْرُ الْعِلْمِ وَزَهْرَةُ الْحَكْمِ وَدُرُوسَةُ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهَمَ فَسْتَرَّ وَعَمَلًا « وَمَنْ هَلَكَ بِمَا هَلَكَ » مِنْ مَخَالَفَةِ أَثَمَةِ الدِّينِ وَمَتَابَعَةِ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُزِلَّةِ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْفَقَرَاتُ مِنْ قَوْلِهِ : وَاهْتَدَى إِلَى قَوْلِهِ : بِطَاعَتِهِ ، فِي سَائِرِ الْكُتُبِ .

« وَالْعَدْلُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ » وَفِي النُّهْجِ وَالْعَدْلُ مِنْهَا ، وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْعَدْلِ هُنَا تَرْكُ الظُّلْمِ وَالْحَكْمُ بِالْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ ، لَا مَا هُوَ مُصْطَلَحُ الْحُكَمَاءِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى سَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ « غَامُضُ الْفَهْمِ » الْغَامُضُ خِلَافُ الْوَاضِحِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَنُسِبَتْ إِلَى الْفَهْمِ مُجَازًا ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى فَهْمُ الْغَوَامِضِ ، أَوْ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَغْمَضَ حَدَّ السَّيْفِ أَيْ رَفَقَهُ ، وَفِي النُّهْجِ وَالتَّحْفِ : غَايِبٌ مِنَ الْغُيُوبِ وَهُوَ الدَّخُولُ تَحْتَ الْمَاءِ لِإِخْرَاجِ اللَّوْلُؤِ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ الْكَيْدَرِيُّ : هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ لِلتَّأْكِيدِ وَالْفَهْمُ الْغَايِبُ مَا يَهْجُمُ عَلَى الشَّيْءِ فَيُطْلَعُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كَمَنْ يَفُوصُ عَلَى الدَّرِّ وَاللَّوْلُؤِ .

« وَغَمْرُ الْعِلْمِ » أَيْ كَثْرَتُهُ فِي الْقَامُوسِ : الْغَمْرُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ وَغَمْرُ الْمَاءِ غَمَارَةٌ وَغَمُورَةٌ كَثْرٌ ، وَغَمْرُهُ الْمَاءُ غَمْرًا وَاغْتَمَرَهُ غَطَاءٌ ، وَفِي التَّحْفِ وَالْخِصَالِ : وَغَمْرَةُ الْعِلْمِ ، وَفِي النُّهْجِ وَغَمُورُ الْعِلْمِ وَغَمُورٌ كُلُّ شَيْءٍ قَعْرُهُ ، وَالْغَمُورُ الدَّخُولُ فِي الشَّيْءِ وَتَدْقِيقُ النَّظَرِ فِي الْأَمْرِ .

« وَزَهْرَةُ الْحَكْمِ » الزَّهْرَةُ بِالْفَتْحِ الْبَهْجَةُ وَالتَّنَاضُرُ وَالْحَسَنُ وَالْبَيَاضُ ، وَنُورُ النَّبَاتِ ، وَالْحَكْمُ بِالضَّمِّ الْقَضَاءُ وَالْعِلْمُ وَالْفَقْهُ وَدُرُوسَةُ الْحِلْمِ « الْإِضَافَةُ فِيهَا فِي الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبِيلِ لَجِينِ الْمَاءِ ، وَفِيهِمَا مَكْنِيَّةٌ وَتَخْيِيلِيَّةٌ حَيْثُ شَبَّهَ الْحَكْمُ الْوَاقِعِي بِالزَّهْرَةِ لِكُونِهِ مَعْجِبًا ، وَمَثَرُ الْأَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ الدِّيُونِيَّةِ وَالْأَخْرِيَّةِ ، وَالْحِلْمُ بِالرُّوْضَةِ لِكُونِهِ رَاقِعًا وَنَافِعًا فِي الدَّارَيْنِ ، وَفِي النُّهْجِ وَرِسَاخَةُ الْحِلْمِ يُقَالُ : رَسَخَ كَمَنْعٍ رَسُوخًا بِالضَّمِّ وَرِسَاخَةُ بِالْفَتْحِ أَيْ ثَبَتَ ، وَالْحِلْمُ الْأَثَاءُ وَالتَّثَبُّتُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ

جميع العلم ومن علم عرف شرايع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً ؛ والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق

المبادرة إلى قضاء وطر الغضب ورساخة الحلم قوته وكما له « فمن فهم فسر جميع العلم ومن علم عرف شرايع الحكم » أي من فهم غوامض العلوم فسر ما اشتبه على الناس منها ، ومن كان كذلك عرف شرايع الحكم بين الناس فلا يشتبه عليه الأمر ولا يظلم ولا ييجور ، و بعده في المجالس : ومن عرف شرايع الحكم لم يضل « ومن حلم لم يفرط في أمره » ، ولم يغضب على الناس وثبتت في الأمر ، وفي النهج فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرايع الحكم ومن حلم « الخ » .

والصدور الرجوع عن الماء ، والشرعية مورد الناس للاستقاء ، والصدور عن شرايع الحكم كناية عن الإصابة فيه وعدم الوقوع في الخطاء ، ولم يفرط على بناء التفعيل أي لم يقصر فيما يتعلق به من أمور القضاء والحكم ، أو مطلقاً ، وفي بعض نسخ النهج على بناء الأفعال ، أي لم يجاوز الحد .

« وعاش في الناس حميداً » وفي التحف وعاش به والعيش الحياة والحميد المحمود المرضي .

« والجهاد على أربع شعب » تلك الشعب إما أسباب الجهاد أو أنواعه الخفية ذكرها لئلا يتوهم أنه منحصر في الجهاد بالسيف مع أنه أحد أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل الجهاد است فراغ الوسع في إعلاء كلمة الله واتباع مرضاته ، وترويح شرايعه باليد واللسان والقلب ، قال الرأغب : الجهاد والمجاهدة است فراغ الوسع في مدافعة العدو ، والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله : « وجاهدوا في الله حق جهاده ^(١) » « وجاهدوا بأموالكم وأنفسهم في الله سبيل » ^(٢) « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

(١) سورة الحج : ٧٨ .

(٢) سورة التوبة : ٣٦ .

في المواطن وشنآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله» ^(١) وقال ﷺ : جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعدائكم، والمجاهدة تكون باليد واللسان قال ﷺ : جاهدوا الكفار بأيديكم و ألسنتكم .

« على الأمر بالمعروف » وهو الذي عرفه الشارع وعدّه حسناً ، فإن كان واجباً فالأمر واجب ، وإن كان مندوباً فالأمر مندوب « و النهي عن المنكر » أي ما أنكره الشارع وعدّه قبيحاً وهما مشروطان بالعلم بكونه معروفاً أو منكراً و تجويز التأثير و عدم المفسدة وهما يجبان باليد واللسان والقلب .

« والصدق في المواطن » أي ترك الكذب على كل حال إلا مع خوف الضرر فيوري ^(٢) فلا يكون كذباً ، والمواطن مواضع جهاد النفس ، وجهاد العدو ، وجهاد الفاسق بالأمر والنهي ، ومواطن الرضا والسخط والضر والنفع مالم يصل إلى حد تجويز التقيّة ، وأصل الصدق والكذب أن يكونا في القول ثم في الخبر من أصناف الكلام كما قال تعالى : «ومن أصدق من الله قيلاً» ^(٣) «ومن أصدق من الله حديثاً» ^(٤) وقد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام كقول القائل : أزيد في الدار؟ لتضمنه كونه جاهلاً بحال زيد ، وكما إذا قال : واسنى لتضمنه أنّه محتاج إلى الموااسات ويستعملان في أفعال الجوارح فيقال : صدق في القتال إذا وفي حقّه ، وصدق في الايمان إذا فعل ما يقتضيه من الطاعة ، فالصادق الكامل من يكون لسانه موافقاً لضميره ، وفعله مطابقاً لقوله ، ومنه الصديق حيث يطلق على المعصوم ، فيحتمل أن يكون الصدق هنا شاملاً لجميع ذلك .

« وشنآن الفاسقين » الشنآن بالتحريك و السكون وقد صحّ بهما في النهج :

(١) سورة الانفال : ٧٢ .

(٢) من التورية .

(٣) سورة النساء : ١٣٢ و ٨٧ .

أرغم أنفس المنافق وأمن كيده ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شنىء الفاسقين

البغض ، يقال : شئته كسمعه ومنعه شئاً مثلاً وشئاً و شئاً وأولى مراتب النهي عن المنكر ، وقيل : هو مقتضى الايمان ويجب على كل حال ، وليس داخلا في النهي عن المنكر .

« شدّ ظهر المؤمن » وفي النهج ظهور المؤمنين وشدّ الظهر كناية عن التقوية كما أن قصم الظهر كناية عن ضدها ، والأمر بالمعروف يقوى المؤمن لأنه يريد ترويض شرايع الايمان وعسى أن لا يتمكن منه « أرغم أنفس المنافقين » وفي النهج أنوف المنافقين وإرغام الأنف كناية عن الإذلال ، وأصله إصاق الأنف بالرغام وهو التراب ، ويطلق على الإكراه على الأمر ويقال : فعلته على رغم أنفه أى على كره منه ، والرغم مثله الكره ، والمنكر مطلوب للمنافقين والفساق الذين هم صنف منهم حقيقة ، والنهي عن المنكر يرغم أنوفهم « ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه » وفي سائر الكتب سوى الخصال : قضى ما عليه أى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يقدر على أكثر من ذلك أو من جميع التكليف فإن الصدق في الايمان والعقائد يقتضى العمل بجميع التكليف فعلاً وتركاً أو لأنه يأتى بها لئلا يكون كاذباً إذا سئل عنها « ومن شنىء الفاسقين » المضبوط في النهج بكسر النون ، وفيه بعده : وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة ، ثم ذكر دعائم الكفر كما سيأتى في أبواب الكفر ، والكلينى فرق الخبر على الأبواب .

ولتتم كلام المحقق البحراني وإن لم يكن فيه كثير فائدة بعد ما ذكرنا ، قال بعد ما مرّ : وأمّا شعب هذه الدعائم فاعلم أنه جعل لكلّ دعامة منها أربع شعب من الفضائل بل تشعب منها ، وتفرّع عليها فهي كالفرع لها والأغصان .

أمّا شعب الصبر الذى هو عبادة عن ملكة العفة فأحدها : الشوق إلى الجنة ومحبّة الخيرات الباقية ، الثانى : الشفق وهو الخوف من النار وما يؤدّى إليها ، الثالث : الزهد في الدنيا وهو الإعراض بالقلب عن متاعها و طيباتها ، الرابع :

غضب لله ومن غضب لله غضب الله له ، فذلك الايمان ودعائمه وشعبه .

ترقب الموت ، وهذه الأربع فضائل منبعثة عن ملكة العفة لأنّ كلاً منها يستلزمها .
وأما شعب اليقين فأحدها تبصرة الفطنة وإعمالها ، الثاني : تأويل الحكمة وهو تفسيرها ، الثالث : موعظة العبرة ، الرابع : أن يلاحظ سنة الأولين حتى يصير كأنّه فيهم ، وهذه الأربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض .

وأما شعب العدل فأحدها غوص الفهم أى الفهم الغائص ، فأضاف الصفة إلى الموصوف وقدّمها للاهتمام بها ورسم هذه الفضيلة أنّها قوة إدراك المعنى المشار إليه بلفظ أو كتابة أو إشارة ونحوها ، الثاني : غور العلم وأقصاه وهو العلم بالشيء كما هو بحقيقته وكنهه ، الثالث : نور الحكم أى تكون الأحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة ، الرابع : ملكة الحلم وعبر عنها بالرّسوخ لأنّ شأن الملكة ذلك ، والحلم هو الامساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه .

واعلم أنّ فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وإن كانتا داخليتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلية تحت ملكة الشجاعة إلا أنّ العدل لما كان فضيلة موجودة في الأصول الثلاثة كانت في الحقيقة هي وفردعها شعباً للعدل ، بيانه أنّ الفضائل كلّها ملكات متوسطة بين طرف إفراط وتفریط ، وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلاً فهي بأسرها شعب له وجزئيات تحته .

وأما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فأحدها الأمر بالمعروف ، والثاني : النّهي عن المنكر ، والثالث : الصدق في المواطن المنكروية ، ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلاث ظاهر ، والرابع : شأن الفاسقين ، وظاهر أنّ بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله ، وثوران القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة .
وأما ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للترغيب في ثمراتها ، فثمرات شعب

العفة أربع : أحدها : ثمرة الشوق إلى الجنة وهو السلو عن الشهوات ، و ظاهر كونه ثمرة له إذ السالك إلى الله مالم يشفق إلى ما وعد المتقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي إليها ، فلم يسلب عنها ، الثانية : ثمرة الخوف من النار و هو اجتناب المحرمات ، الثالثة : ثمرة الزهد و هي الاستهانة بالمصيبات لأن غالبها وعامتها إنما يلحق بسبب فقد المحبوب من الأمور الدنيوية فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هيئته عنده ، الرابعة : ثمرة ترقيب الموت و هي المسارعة في الخيرات و العمل له و لما بعده .

و أمّا ثمرات اليقين فإن بعض شعبه ثمرة لبعض فإن تبين الحكمة و تعلمها ثمرات لأعمال الفطنة و الفكرة و معرفة العبر و مواقع الاعتبار بالماضي ، والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكمة و كيفية الاعتبار .

و أمّا ثمرات العدل فبعضها كذلك أيضاً و ذلك أن جودة الفهم و غوصه مستلزم للوقوف على غور العلم و غامضه ، والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرايع الحكم العادل ، و الصدور عنها بين الخلق من القضاء الحق .

و أمّا ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط و التقصير عن هذه الفضيلة و هي رذيلة الجبن ، و أن يعيش في الناس محموداً بفضيلته .

و أمّا ثمرات الجهاد فأحدها ثمرة الأمر بالمعروف وهو شدّ ظهور المؤمنين و معاونتهم على إقامة الفضيلة ، الثانية : ثمرة النهي عن المنكر و هي إرغام أنوف المنافقين و إذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات ، و إظهار الرذيلة ، الثالثة : ثمرة الصدق في المواطن المكروهة و هي قضاء الواجب من أمر الله تعالى في دفع أعدائه و الذب عن الحريم ، و الرابعة : ثمرة بغض الفاسقين و الغضب لله و هي غضب الله لمن أبغضهم و إرضاءه يوم القيامة في دار كرامته .

﴿باب﴾

﴿ فضل الايمان على الاسلام و اليقين على الايمان ﴾

١ - أبو عليّ "الأشعري" ، عن محمد بن سالم ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا أخا جعف إنّ الايمان أفضل من الاسلام وإنّ اليقين أفضل من الايمان وما من شيء أعزّ من اليقين .

باب فضل الايمان على الاسلام و اليقين على الايمان

الحديث الاول : ضعيف .

« يا أخا جعف » أي ياجعفي " وهم قبيلة من اليمن ، وفي المصباح هو أخوتيم أي واحد منهم ، وفضل الايمان على الاسلام إمّا باعتبار الولاية في الأول أو الإذعان القلبي فيه مع الأعمال أو بدونها كما مرّ جميع ذلك ، وعلى أيّ معنى أخذت يعتبر في الايمان مالا يعتبر في الاسلام فهو أخصّ وأفضل ، وكذا اليقين يعتبر فيه أعلى مراتب الجزم بحيث يترتب عليه الآثار ، ويوجب فعل الطاعات وترك المناهي ، ولا يعتبر ذلك في الايمان أي في حقيقته حتّى يكون في جميع أفراد فهو أخصّ وأفضل أفراد الايمان ، أو يعتبر في اليقين عدم احتمال النقيض ، ولا يعتبر ذلك في الايمان مطلقاً كما مرّ ، والأظهر أنّ التصديق الذي لا يحتمل النقيض تختلف مراتبه حتّى يصل إلى مرتبة اليقين كما أو ما نا إليه سابقاً .

« وما شيء أعزّ من اليقين » أي أقلّ وجوداً في الناس منه أو أشرف منه ، والأوّل أظهر ، إذ اليقين لا يجتمع مع المعصية لا سيّما مع الاصرار عليها ، وتارك ذلك نادر قليل ، بل يمكن أن يدعى أنّ ايمان أكثر الخلق ليس إلّا تقليداً وظناً يزول بآدنى وسوسة من النفس والشيطان ، ألا ترى أنّ الطيّب إذا أخبر أحدهم بأنّ الطعام الفلاني يضرّه أو يوجب زيادة مرضه أو بطؤه برثه يحتمى الطعام بمحض

٢ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ والحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد جميعاً ، عن الوشاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم في

قول هذا الطبيب حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف المتوهم ، ولا يترك المعصية الكبيرة مع إخبار الله ورسوله وأئمة الهدى عليهم السلام بأنهم مهلكة وموجبة للعذاب الشديد وليس ذلك إلا لضعف الايمان وعدم اليقين :

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور معتبر .

وبدل على أن التقوى أفضل من الايمان ، والتقوى من الوقاية وهي اللمعة فرط الصيانة ، وفي العرف صيانة النفس عما يضرها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ، ولها ثلاث مراتب الأولى : وقاية النفس عن العذاب المخلد ، بتصحيح العقائد الايمانية ، والثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وهو المعروف عند أهل الشرع ، والثالثة : التوقى عن كل ما يشغل القلب عن الحق ، وهذه درجة الخواص ، بن خاص الخاص .

والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين ، وكونه فوق الايمان بالمعنى الثالث ظاهر على أكثر معاني الايمان التي سبق ذكرها ، وإن أريد المعنى الثاني فالمراد بالايمان إما بعض العقائد الحقّة أو مع فعل الفرائض وترك الكبائر بأن يعتبر ترك الصغائر أيضاً في المعنى الثاني ، وقيل : باعتبار أن الملكة معتبرة فيها لافيه ، ولا يخفى ما فيه . وكون اليقين فوق التقوى كأنه يعين حملها على المعنى الثاني وإلا فيشكل الفرق ، لكن درجات المرتبة الأخيرة أيضاً كثيرة فيمكن حمل اليقين على أعالي درجاتها ، وما قيل في الفرق : أن التقوى قد يوجد بدون اليقين كما في بعض المقلدين فهو ظاهر الفساد ، إذ لا توجد هذه الدرجة الكاملة من التقوى لمن كان بناء إيمانه على الظن والتخمين .

وقوله عليه السلام : وما قسم للناس ، يدل على أن الاستعدادات الذاتية والعنايات

الناس شيء أقل من اليقين .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمران بن أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله فضل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام .

٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمر بن أبان الكلبي ، عن عبد الحميد الواسطي ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد الإسلام درجة؟ قال : قلت : نعم قال : والإيمان على الإسلام درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الإيمان درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقل

الالهية مدخلا في مراتب الإيمان واليقين كما مرّت الإشارة إليه .

الحديث الثالث : حسن .

وقد مرّ وجه هذا التشبيه في الفرق بين الإسلام والإيمان .

الحديث الرابع : مجهول .

« الإسلام درجة » أى درجة من الدرجات أو أول درجة وهو استفهام أو خبر « و نعم » يقع في جوابهما « على الإسلام » أى مشرفاً أو زائداً عليه « ما أوتي الناس أقل من اليقين » أى الإيمان أقل من سائر ما أعطى الناس من الكمالات أو هو عزيز نادر فيهم كما مرّ ، وقيل : المعنى ما أعطى الناس شيئاً قليلاً من اليقين ولا يخفى بعده ، وكأنّه حمل على ذلك ما سيأتى .

قوله عليه السلام : بأدنى الإسلام ، كأن المراد بالإسلام هنا مجموع العقائد الحقّة بل مع قدر من الأعمال كما مرّ من اختلاف معانى الإسلام ، ويحتمل أن يكون المراد بالمخاطب غير المخاطب من ضعفاء الشيعة ، وقيل : المراد بأدنى الإسلام أدنى الدرجات إلى الإسلام وهو الإيمان من قبيل يوسف أحسن إخوته .

من اليقين ، وإنما تمسكتكم بأدنى الإسلام فأيّاكم أن ينفلت من أيديكم .
 ٥ - عليُّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سألت أبا الحسن
 الرضا عليه السلام عن الايمان والايمان فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما هو الإسلام ،
 والايمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة ولم
 يقسم بين الناس شيء أقلّ من اليقين ، قال : قلت : فأيّ شيء اليقين ؟ قال : التوكل

« أن ينفلت من أيديكم » أى يخرج من قلوبكم فجأة فيدلّ على أن من
 لم يكن في درجة كاملة من الايمان فهو على خطر من زواله فلا يغترّ من لم يتق
 المعاصي بحصول العقائد له ، فانه يمكن زواله عنه بحيث لم يعلم ، فانّ الأعمال
 الصالحة والأخلاق الحسنة حصون للإيمان تحفظه من سرّاق شياطين الانس والجان ،
 قال الجوهري : يقال كان ذلك الأمر فلتة أى فجأة إذا لم يكن عن تدبّر ولا تردد ،
 وأفلت الشيء وفلّت بمعنى ، وأفلته غيره .

الحديث الخامس : صحيح .

« إنّما هو الاسلام » كأنّ الضمير راجع إلى الدين لقوله تعالى : « إنّ الدين
 عند الله الاسلام » ^(١) أو ليس أوّل الدخول في الدين إلّا درجة الاسلام .

قوله عليه السلام : التوكل على الله ، تفسير اليقين بما ذكر من باب تعريف الشيء
 بملوازمه وآثاره ، فانه إذا حصل اليقين في النفس بالله سبحانه و وحدانيّته و علمه
 و قدرته و حكمته و تقديره للأشياء و تدبيره فيها و رأفته بالعباد و رحمته ، يلزم
 التوكل عليه في أموره و الاعتماد عليه و الوثوق به ، و إن توسّل بالأسباب تعسّداً
 و التسليم له في جميع أحكامه ، و لخلقائه فيما يصدر عنهم ، و الرضا بكلّ ما يقضى
 عليه على حسب المصالح من النعمة و البلاء و الفقر و الغناء ، و العزّ و الذلّ و غيرها ،
 و تفويض الأمر إليه في دفع شرّ الأعداء الظاهرة و الباطنة ، أورد الأمر بالكلية
 إليه في جميع الأمور بحيث يرى قدرته مضمحلّة في جنب قدرته ، و إرادته معدومة

على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله . قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال :
هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ،
عن الرضا عليه السلام قال : الإيمان فوق الإسلام بدرجة ، والتقوى فوق الإيمان بدرجة ،
واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين .

عند إرادته كما قال الله تعالى : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » ^(١) و يعبر عن هذه
المرتبة بالفناء في الله .

قوله عليه السلام : هكذا «الخ» لما كان السائل قاصراً عن فهم حقايق هذه الصفات
لم يجبه عليه السلام بالتفسير بل أكد حقيقته بالرواية عن والده عليه السلام ، وقيل : استبعد
الراوى كون هذه الأمور تفسيراً لليقين ، فأجاب عليه السلام بأن الباقر عليه السلام كذا فسره
الحديث السادس : صحيح و مطابق لحديث الوشاء .

قال بعض المحققين : إعلم أن العلم و العبادة جوهران لأجلهما كان كلما
نرى و نسمع من تصنيف المصنفين و تعليم المعلمين و وعظ الواعظين و نظر الناظرين ،
بل لأجلهما أنزلت الكتب وأرسلت الرسل ، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض
وما فيهما من الخلق ، و ناهيك لشرف العلم قول الله عز وجل : « الله الذى خلق سبع
سماوات و من الأرض مثلهن يتزّل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء
قدير ، و أن الله قد أحاط بكل شيء علماً » ^(٢) و لشرف العبادة قوله سبحانه :
« و ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ^(٣) فحق للعبد أن لا يشتغل إلا بهما ،
ولا يتعب إلا لهما ، و أشرف الجوهرين العلم كما ورد : فضل العالم على العابد
كفضلى على أدناكم .

(١) سورة الانسان : ٣٠ .

(٢) سورة الطلاق : ١٢ .

(٣) سورة الزاريات : ٥٦

والمراد بالعلم الدين أعنى معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قال الله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله » ^(١) و قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذى أنزل على رسوله و الكتاب الذى أنزل من قبل و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » ^(٢) و مرجع الايمان إلى العلم ، و ذلك لأنّ الايمان هو التصديق بالشئ على ما هو عليه ، و لا محالة هو مستلزم لتصور ذلك الشئ كذلك بحسب الطاقة ، و هما معنى العلم ، و الكفر ما يقابله و هو بمعنى السر و الغطاء ، و مرجعه إلى الجهل ، و قد خصّ الايمان في الشرع بالتصديق بهذه الخمسة ولو إجمالاً ، فالعلم بها لا بد منه ، و إليه الإشارة بقوله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة ، و لكن لكل إنسان بحسب طاقته و وسعه ، لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها ، فانّ للعلم و الايمان درجات مترتبة في القوة و الضعف و الزيادة و النقصان ، بعضها فوق بعض ، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة .

و ذلك لأنّ الايمان إنّما يكون بقدر العلم الذى به حياة القلب و هو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه و بين الله جلّ جلاله . « الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » « أفمن كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » و ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه ، و هذا النور قابل للقوة و الضعف و الاشتداد و النقص كسائر الأنوار . « و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » « و قل ربّ زدنى علماً » كلّما ارتفع حجاب إزداد نور فيقوى الايمان

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٢) سورة النساء : ١٣٦ .

و يتكامل إلى أن ينبسط نور فينشرح صدره و يطلع على خلق الأشياء و تجلّى له
الغيوب و يعرف كل شيء في موضعه ، فيظهر له صدق الأنبياء ﷺ في جميع ما
أخبروا عنه إجمالاً و تفصيلاً على حسب نوره ، و بمقدار إنشراح صدره ، و ينبعث
من قلبه داعية العمل بكل مأمور ، و الاجتناب عن كل محظور فيضاف إلى نور
معرفة أنوار الأخلاق الفاضلة و الملكات الحميدة « نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ،
» نور على نور » و كل عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاء يجعله مستعداً
لحصول نور فيه و انشراح و معرفة و يقين ، ثم ذلك النور و المعرفة و اليقين تحمله
على عبادة أخرى و إخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر و إنشراحاً أتم و معرفة
أخرى و يقيناً أقوى ، و هكذا إلى ما شاء الله جلّ جلاله ، و على كل من ذلك
شواهد من الكتاب و السنة .

ثم أعلم أن أوائل درجات الايمان تصديقات مشوبة بالشكوك و الشبه على
اختلاف مراتبها ، و يمكن معها الشرك « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »
و عنها يعبر بالاسلام في الأكثر « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم » و أواسطها تصديقات لا يشوبها شك و لا شبهة
« الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا » و أكثر إطلاق الايمان عليها خاصة
« إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيماناً و على ربهم يتوكلون » و أواخرها تصديقات كذلك مع كشف و شهود
و ذوق و عيان ، و محبة كاملة لله سبحانه ، و شوق تام إلى حضرة المقدسة يحببهم
و يحبونه ، أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، لا يخافون لومة لائم ، ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء ، و عنها العبادة تارة بالاحسان ، الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، و أخرى بالايقان « و بالآخرة هم يوقنون » و إلى المراتب الثلاث الإشارة
بقوله عز وجل : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا

﴿باب﴾

﴿ حقيقة الايمان واليقين ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن محمد بن عذافر ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله ﷺ

ما اتقوا و آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و أحسنوا والله بحب المحسنين ^(١) وإلى مقابلاته التي هي مراتب الكفر الإشارة بقوله جل وعز : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » ^(٢) فنسبة الاحسان واليقين إلى الايمان كنسبة الايمان إلى الاسلام ، ولليقين ثلاث مراتب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين « كالألو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين » أن هذا هو حق اليقين .

والفرق بينها إثمها ينكشف بمثال فعلم اليقين بالنار مثلاً هو مشاهدة المرئيات بتوسط نورها ، وعين اليقين بها هو معاينة جرمها ، و حق اليقين بها الاحتراق فيها ، و انمحاء الهوية بها والصيرورة ناراً صرفاً وليس وراء هذا غاية ، ولا هو قابل للزيادة ، لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً .

باب حقيقة الايمان واليقين

الحديث الاول : مجهول وقد مرّ مضمونه بسند صحيح قبل ذلك بورقة .
« بينا رسول الله ﷺ بينا هي بين الظرفية أشبعت ففتحها فصارت ألفاً ويقع بعدها حينئذ إن الفجائية غالباً ، وعاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد إذ عند بعض ،

(١) سورة المائدة : ٩٣ .

(٢) سورة النساء : ١٣٧ .

في بعض أسفاره إذ لقيه ركب ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله ﷺ : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، فإن كنتم صادقين فلا تبثوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ؛ وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي محمد الوابسي وإبراهيم بن مهزم ، عن إسحاق بن عمار

و بعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل ، أى بين أوقات سفره لقاء الركب ، و الركب جمع راكب كصاحب و صاحب .

« فقال ما أنتم ، أى أى صنف أنتم من الناس ؟ قيل : كما أن ما تكون سؤالاً عن حقيقة الشيء يكون سؤالاً عن خواصه و آثاره المترتبة عليه ، و هو المراد هنا فلذلك أجابوا بها » فقالوا نحن مؤمنون ، انتهى .

و قال الراغب في معانى « ما » الثالث : الاستفهام ، و يسئل به عن جنس ذات الشيء و نوعه ، و عن جنس صفات الشيء و نوعها ، و قد يسئل به عن الأشخاص و الأعيان فى غير الناطقين ، انتهى .

« فما حقيقة إيمانكم ، لما كانت للإيمان حقايق مختلفة و درجات متفاوتة سئلهم ﷺ عن حقيقة الايمان الذى يدعونه فأجابوا بلوازمه و آثاره ليظهر حقيقة ما ادعوه ، أو المراد بالحقيقة ما يحقّه و يشته أى الايمان أمر قلبى إنما يثبت بآثاره ، فما ظهر من آثار إيمانكم ليدل على ثبوته فى قلوبكم ، و المعنى الاول أنسب بما مر من مضمون هذا الخبر ، حيث قال : و ما بلغ من إيمانكم ، فإن الظاهر إتحاد الواقعة ، و التفويض إلى الله هنا التوكّل عليه فى جميع الأمور .

الحديث الثانى : موثق .

قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه ، مصفر آ لونه ، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت يا فلان ، قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال : « إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : « إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ

« فنظر إلى شاب » كأنه الحارثة الآتى في الخبر الثانى « وهو يخفق ويهوى برأسه » للنعاس بكثرة العبادة فى الليل فى القاموس : خفقت الراية ينخفق وتخفق وخفقا وخفقا محركة اضطربت وتحركت ، وفلان حر ك رأسه إذا نعس كأخفق وقال : هوى هوى سقط من علو إلى سفلى ، انتهى .

فقوله : ويهوى برأسه كالتفسير لقوله : يخفق ، أو مبالغة فى الخفق إن يكفي فيه الحركة القليلة ونحف كتعب وقرب نحافة : هزل « كيف أصبحت » أى على أى حال دخلت فى الصباح ، أو كيف صرت « فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم » كتعب أى تعجب منه لندرة مثل ذلك ، أو أعجبه و سر به قال الراغب : العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء : العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل : لا يصح على الله التعجب إن هو علام الغيوب ، ويقال : لما لا يعهد مثله عجب ، قال تعالى : « أكان للناس عجباً أن أوحينا » ^(١) « كانوا من آياتنا عجباً » ^(٢) « إننا سمعنا قرآناً عجباً » ^(٣) أى لم نعهد مثله ولم نعرف سببه ، ويستعار تارة للموثق فيقال أعجبني كذا أى راقنى ، وقال تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله » ^(٤) .

« إن لكل يقين » أى فرد من أفراد أو صنف من أصنافه « حقيقة فما حقيقة يقينك » من أى نوع أو صنف ، أو لكل يقين علامة تدل عليه فما علامة يقينك كما مر « هو الذى أحزننى » أى فى أمر الآخرة « وأسهر ليلي » لحزن الآخرة أو

(١) سورة يونس : ٢ .
(٢) سورة الكهف : ٩ .
(٣) سورة الجن : ١ .
(٤) سورة البقرة : ٢٠٤ .

هو اجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معدّبون مصطرون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول

للاستعداد لها، أو لحبّ عبادة الله ومناجاته: عجباً للمحبّ كيف ينام، والاسناد مجازي أي اسهرني في ليلي وكذا في قوله: «واظماً هو اجري» مجاز عقلي أي أظمأني عند الهاجرة وشدة الحرّ للصوم في الصيف، وإنما خصّه لأنّه أشقّ وأفضل، في القاموس: الهاجرة نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأنّ الناس يستكئون في بيوتهم كأنّهم قد تهاجروا، وشدّة الحرّ.

و قال: عزفت نفسي عنه تعزف عزوفاً زهدت فيه وانصرفت عنه، أو ملّته. «حتى كأني أنظر» أي شدة اليقين بأحوال الآخرة صيرني إلى حالة المشاهدة، والاصطراخ الاستغاثة وزفير النار صوت توقدها، في القاموس: زفر يزفر زفراً وزفيراً أخرج نفسه بعد مدّة إياه، والنار سمع لتوقدها صوت.

و قال: المسمع كمنبر الأذن كالسماعة والجمع مسامع، انتهى. وقيل: المسامع جمع على غير قياس كمشابه وملاح جمع شبه وطحة، وقال بعض المحقّقين: هذا التنوير الذي أشير به في الحديث إنّما يحصل بزيادة الايمان وشدة اليقين فانّهما ينتهيان بصاحبهما إلى أن يطلّع على حقايق الأشياء، محسوساتها ومعقولاتها فتتكشف له حجبها وأستارها، فيعرفها بعين اليقين على ما هي عليه من غير وصمة ريب أو شائبة شكّ فيطمئنّ لها قلبه ويستريح بها روحه، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

و إليه أشار أمير المؤمنين بقوله: هجم بهم العلم على حقايق الأمور، وباشروا رواح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون،

الله ﷻ لأصحابه : هذا عبدٌ نوَّاهُ قلبه بالايمان ، ثمَّ قال له : الزم ماأنت عليه ، فقال الشابُّ : ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر .

٣- محمد بن يحيى ؛ عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن عبد الله بن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك ابن النعمان الأنصاري فقال له : كيف أنت يا حارثة بن مالك ؟ فقال : يا رسول الله مؤمن حقاً ، فقال له رسول الله ﷺ : لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال :

و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملاء الأعلى .

أراد عليه السلام بما استوعره المترفون يعنى المتنعّمون رفض الشهوات البدنيّة و قطع التعلّقات الدنيويّة و ملازمة الصّمت والسّهر والجوع و المراقبة ، و الاحتراز عمّا لا يعنى و نحو ذلك ، و إنّما يتيسّر ذلك بالتجافى عن دار الغرور ، و الترقى إلى عالم النور ، و الانس بالله و الوحشة عمّا سواه ، و صيرورة الهموم جميعاً همّاً واحداً ، و ذلك لأنّ القلب مستعدّ لأن يتجلّى فيه حقيقة الحقّ في الاشياء كلّها من اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة و إنّما حيل بينه و بينها حجب كنقصان فى جوهره أو كدورة تراكمت عليه من كثرة الشهوات أو عدول به عن جهة الحقيقة المطلوبة ، أو اعتقاد سبق إليه و رسوخ فيه على سبيل التقليد و القبول بحسن الظنّ ، أو جهل بالجهة الّتى منها يقع العثور على المطلوب ، و إلى بعض هذه الحجب أشير فى الحديث النبوى : لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور لا يقصر عن الصّحيح عندى .

« مؤمن حقّاً » قوله : حقّاً مؤكّد كقولهم : هذا عبد الله حقّاً ، والحاصل أنّى مؤمن حقّ الايمان ، و كما ينبغى أن يكون المؤمن « فأسهرت ليلي » على صيغة

يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربّي [و] قد وضع للحساب وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار ، فقال له رسول الله ﷺ : عبدُ نُوّر الله قلبه ، أبصرت فائت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللهم أرزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ﷺ سرية فبعثه فيها ، فقاتل فقتل تسعة - أو ثمانية - ثم قُتل .

الغيبة بارجاع الضمير إلى النفس أو على صيغة التكلم ، وكذا الفقرة التالية تحتمل الوجهين ، ويقال : تزاوروا أي زار بعضهم بعضاً ، وقال في النهاية في حديث حارثة : كأني أسمع عواء أهل النار ، أي صياحهم والعواء صوت السباع وكأنه بالذئب والكلب أخص ، وفي القاموس : عوى يعوى عيًّا وعواءً بالضم لوى خطمه ثم صوت أومدّ صوته ولم يفصح .

وقال : السرية من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة ، وفي الصحاح : السرية قطعة من الجيش .

قوله : وفي رواية القاسم بن يزيد ، يحتمل الإرسال أو يكون الراوى عنه ابن سنان ، فيكون بحكم السند السابق .

ثم أعلم أن هاتين الروايتين تدلان على أن حارثة استشهد في زمن الرسول ﷺ وقال بعضهم : وينافيه ما ذكر الشيخ في رجاله حيث قال : حارثة بن نعمان الأنصاري كنيته أبو عبد الله شهد بدرًا وأحدًا وما بعدهما من المشاهد ، وذكره هو أنه رأى جبرئيل عليه السلام دفعته على صورة دحية الكلبي أو لهما حين خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة ، والثاني حين رجع من حنين ، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام القتال ، وتوفي في زمن معاوية ، انتهى .

وهو خطأ لأن المذكور في الخبر حارثة بن مالك وجدّه نعمان ، وما ذكره الشيخ حارثة بن نعمان وهو غيره ، والعجب أن هذا الحديث مذكور في

وفي رواية القاسم بن بريد ، عن أبي بصير قال : استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر :

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إن علي كل حق حقيقة وعلى كل

كتب العامة أيضاً كما يظهر من النهاية ، وهذا الرجل غير مذکور في رجالهم و كأنه لعدم الرواية عنه كما أن أصحابنا أيضاً لم يذكروه لذلك .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

و يمكن أن يكون المراد بالحقيقة الدليل العقلي و بالنور الدليل النقلی من الكتاب و السنة ، أو يكون المراد بالحقيقة العلامة الدالة على وجوده كامر ، و بالنور الدلائل الدالة على المسائل الأصولية و الفرعية ، عقلية كانت أو نقلية ، و يحتمل أن يكون المراد بالنور الآيات القرآنية فالمراد بالحقيقة السنة أو الأعم منها و من الدلائل العقلية لأنه قد مضى هذا الخبر بهذا السند في باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب ، وله تتمّة و هي قوله : فما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه .

و قيل : المراد بالحق ظاهر الشريعة و بالحقيقة باطنه و غايته و مآله و ما به كماله ، كما قيل : ينقسم ما جاء به الشارع إلى شريعة و حقيقة فالشريعة ظاهر ما ورد به النقل ، و الحقيقة باطنه و هو بين العبد و بين الله ، فحكم الشريعة على الظاهر و حكم الحقيقة على الباطن كما روى عن النبي ﷺ نحن نحكم بالظاهر ، و الله يتولّى السرائر ، فكل عبادة ظاهرة إن لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين و المرائين فهي باطلة ، و كاللقوى فإن أوّله حق يشمل عوام المؤمنين ، و له حقيقة و غاية يبلغها خواص الأولياء و كذلك الايمان فإن أوّله حق و به يخرج عن الكفر و له حقيقة و غاية هي كماله يبلغها خواص المؤمنين .

صواب نوراً .

﴿ باب التفكير ﴾

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبّه بالتفكير قلبك ؛ و جاف عن الليل

و بالجملة الحق في كل شيء بمنزلة القشر و الحقيقة بمنزلة اللب ، و إنما قال : علي كل حق ، ولم يقل لكل حق للتنبيه بالاستعلاء علي أن حقيقة كل شيء مرتفع علي حقه و مستول عليه إذ هو المقصود منه و لمجانسة قوله : و علي كل صواب نوراً ، و الصواب ضدّ الخطأ أي علي كل صواب من قول أو فعل أو عقد برهان يحقّقه ، و دليل يصدّقه ، و إنما سمى نوراً لأنّه سبب ظهوره .

باب التفكير

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

و التنبيه الايقاظ عن النوم و عن الغفلة ، و في القاموس النبّه بالضمّ الفطنة و القيام من النوم ، و أنبهه و نبّهه فتنبهه و انتبه و هذا منبهة علي كذا يشعر به ، و لفلان مشعر بقدره و معل له ، و ما نبّه له كفرح : ما فطن و الاسم النبّه بالضمّ ، و نبّهه باسمه تنبيهاً نوّه ، انتهى .

و التفكير إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوة الايمان و اليقين ، و الزّهد في الدّنيا و الرغبة في الآخرة ، قال الغزالي : حقيقة التفكير طلب علم غير بديهي من مقدّمات موصلة إليه كما إذا تفكّر أن الآخرة باقية و الدنيا فانية ، فأنه يحصل له العلم بأن الآخرة خير من الدنيا ، وهو يبعثه علي العمل للآخرة فالتفكير سبب لهذا العلم ، و هذا العلم حالة نفسانية و هو التوجّه إلى الآخرة و هذه الحالة تقتضي العمل لها ، و قس علي هذا فالتفكير موجب لتنوير القلب و خروجه من الغفلة ،

جنبك ، واثق الله ربك .

و أصل لجميع الخيرات .

وقال المحقق الطوسي قدس سره : التفكير سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتقى أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير ومبادئه الآفاق والأفانيس بأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته وفي الأجرام العلوية من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها وإختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها وتغييراتها وفي الأجرام السفلية وترتيبها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها ، وفي أجزاء الانسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة ، ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته ، وعدم ثبات ما سواه .

وبالجملة التفكير فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته وحكمته ، ومن حيث تغييره وانقلابه وفنائته بعد وجوده أثره الانقطاع منه والتوجه بالكليّة إلى الخالق الحق ، ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وإنقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ، ورجوعهم إلى دار الآخرة فإنه يوجب قطع المصيبة عن غير الله والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة ، ولذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكير ، ويمكن تعميم التفكير بحيث يشمل التفكير في معاني الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المروية عن الأئمة عليهم السلام ، والمسائل الدينية والأحكام الشرعية ، وبالجملة كلما أمر الشارع الصادع بالخوض فيه والعلم به .

قوله عليه السلام : جاف عن الليل جنبك ، الجفا البعد ، وجاف عنه كذا أى باعده عنه ، في الصحاح : جفا السرج عن ظهر القوس وأجفيتها أنا إذا رفعته عنه ، وجافا عنه فتجافا جنبه عن الفراش أى نبا ، انتهى .

وقال سبحانه : « تتجافى جنوبهم عن المضاجح » ^(١) وإسناد المجافاة إلى الليل مجاز في الإسناد ، أى جاف عن الفراش بالليل أوفيه تقدير مضاف أى جاف عن فراش

٢ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصيقل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس أن تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف يتفكّر ؟ قال : يمرُّ بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما [با] لك لا تتكلمين .

اللّيل جنبك ، وعلى التقادير كناية عن القيام بالليل للعبادة ، وقد مرَّ معنى التقوى والتوصيف بالربِّ للتعليل .

الحديث الثاني : مرسل .

« خير من قيام ليلة » أى للعبادة لأنّ التفكّر من أعمال القلب وهو أفضل من أعمال الجوارح ، وأيضاً أثره أعظم وأدوم ، إذ ربما صار تفكّر ساعة سبباً للتوبة عن المعاصي ، ولزوم الطاعة تمام العمر .

« يمرُّ بخربة » ^(١) كأنه عليه السلام ذكر ذلك على سبيل المثال لتفهيم السائل أو قال ذلك على قدر فهم السائل ورتبته فأنه كان قابلاً لهذا النوع من التفكّر ، والمراد بالدار مالم تخرب لكن مات من بناها وسكنها غيره ، وبالخربة ما خرب ولم يسكنه أحد ، وكون التريد من الراوى كما زعم بعيد ، ويحتمل أن يكون : أين ساكنوك؟ للخربة و أين بانوك؟ للدار على اللفّ والنشر المرتب ، لكن كونهما لكلّ منهما أظهر ، والظاهر أنّ القول بلسان الحال ، ويحتمل المقل ، وقوله : مالك لا تتكلمين؟ بيان لغاية ظهور الحال أى العبرة فيك بيئته بحيث كان ينبغي أن تتكلم بذلك ، وقيل : هو من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم ، فنفي التكلم كناية عن نفى الاستماع أى لم لا يسمع الغافلون ما تتكلم به بلسان الحال جهراً أو قيل : استفهام إنكارى أى أنت تتكلمين لكن الغافلون لا يستمعون وهو بعيد ، ويمكن أن يكون كلامها كناية عن تنبيه الغافلين أى لم لا تنبيه المغرورين بالدنيا مع هذه الحالة الواضحة ، ويؤل إلى تعيير الجاهلين بعدم الاتعاظ به كما أنّه يقول رجل لوالد رجل فاسق بحضرته : لم لا تعظ ابنك؟ مع أنّه يعلم أنّه يعظه وإنّما يقول ذلك تيسيراً للابن .

٣ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إيمان التفكّر في الله وفي قدرته .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد قال : سمعت

الحديث الثالث : مرسل كالصحيح فأنّه يقال مراسيل البرزخى في حكم المسانيد .
والإيمان الإدامة وقوله عليه السلام : وفي قدرته ، كأنّه عطف تفسير لقوله : في الله ،
فانّ التفكير في ذات الله وكنه صفاته ممنوع كما مرّ في الاخبار في كتاب التوحيد ،
لأنّه يورث الحيرة والدّهش واضطراب العقل ، فالمراد بالتفكّر في الله النظر إلى
أفعاله وعجائب صنعته وبدائع أمره في خلقه ، فأنّها تدلّ على جلاله وكبريائه
وتقدّسه وتعاليه ، وتدلّ على كمال علمه وحكمته ، وعلى نفاذ مشيئته وقدرته وإحاطته
بالأشياء ، وأنّه سبحانه لكمال علمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عبثاً من غير تكليف
ومعرفة ونواب وعقاب فأنّه لو لم تكن نشأة أخرى باقية غير هذه النشأة الفانية المحفوفة
بأنواع المكاه والآلام لكان خلقها عبثاً كما قال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ^(١) .

وهذا تفكّر أولى الأبواب كما قال تعالى : « انّ في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى
جنبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه
فقلنا عذاب النار » ^(٢) وقال سبحانه : « ومن آياته ، ومن آياته ، في مواضع كثيرة فتملك
الآيات هي مجارى التفكير في الله وفي قدرته لأولى النهى لإذاته تعالى ، فقد روى عن
النبي صلى الله عليه وآله إنّما قال : تفكّروا في آلاء الله فانّكم لن تقدروا قدره .

الحديث الرابع : صحيح .

(١) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١ .

أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حماد ، عن ربعي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إن] التفكير يدعو إلى البر والعمل به .

« ليس العبادة كثرة الصلاة » أى ليست منحصرة فيها « إنما العبادة » أى الكاملة « التفكير في أمر الله » بالمعنى المتقدم ، وقد يقال : المراد بالتفكير في أمر الله طلب العلم بكيفية العمل وآدابه وشرائطه ، والعبادة بدون باطله ، فالحاصل أن كثرة الصلاة والصوم بدون العلم بشرائطهما وكيفياتهما وأحكامهما ليست عبادة . وأقول : يحتمل أن يكون المعنى أن كثرة الصلاة والصوم بدون التفكير في معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أئمة الهدى كما يصنعه المخالفون غير مقبولة وموجبة للبعد عن الحق .

الحديث الخامس : ضعيف .

« التفكير يدعو إلى البر » كأن التفكير الوارد في هذا الخبر شامل لجميع التفكيرات الصحيحة التى أشرنا إليها كالتفكير في عظمة الله فأنه يدعو إلى خشيته وطاعته ، والتفكير في فناء الدنيا ولذاتها فأنها يدعو إلى تركها ، والتفكير في عواقب من مضى من الصالحين فيدعو إلى إقتفاء آثارهم ، وفي ما آل إليه أمر المجرمين فيدعو إلى إجتنب أطوارهم ، وفي عيوب النفس وآفاتنا فيدعو إلى الإقبال على إصلاحها ، وفي أسرار العبادة وغاياتها فيدعو إلى السعى في تكميلها ورفع النقص عنها ، وفي رفعة درجات الآخرة فيدعو إلى تحصيلها ، وفي مسائل الشريعة فيدعو إلى العمل بها في مواضعها ، وفي حسن الأخلاق الحسنة فيدعو إلى تحصيلها ، وفي قبح الأخلاق السيئة وسوء آثارها فيدعو إلى تجنبها ، وفي نقص أعماله ومعايبها فيدعو إلى السعى في إصلاحها ، وفي سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعث عن الله

﴿باب المكارم﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الهيثم بن أبي مسروق ، عن يزيد بن إسحاق شعر ، عن الحسين بن عطية عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المكارم عشر فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده

والحرمان عن السعادات فيدعوه إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى به بالتوبة والندم ، وفي صفات الله وأفعاله من لطفه بعباده وإحسانه إليه بسوابغ النعماء وبسط الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جليل ، وتسخيره له مافي السماوات والأرض وما بينهما. إلى غير ذلك فيدعوه إلى البر والعمل به ، والرغبة في الطاعات والابتغاء عن السيئات ، وبالمقايضة إلى ما ذكرنا يظهر آثارها في التفكرات ، والله الموفق للخيرات .

باب المكارم

الحديث الاول : مجهول .

وفي الخصال ومجالس الشيخ والمفيد عن الحسن بن عطية ، فالحديث حسن كالصحيح وهو الظاهر .

وفي القاموس : الكرم معرّكة ضد اللؤم ، كرم بضم الراء كرامة فهو كريم ومكرمة وأكرمه وكرّمه عظمه وتزّهمه ، والكريم الصفوح والمكرم والمكرمة بضم دأئهما فعل الكرم ، وأرض مكرمة كريمة طيبة ، انتهى .

والمكارم جمع المكرمة أى الأخلاق والأعمال الكريمة الشريفة التي توجب كرم المرء وشرافته .

« فان استطعت ، يدلّ على أن تحصيل تلك الصفات أو كمالها لا يتيسر لكل أحد فاتها من العناية الربانيّة والمواهب السبحانيّة التابعة للطينات الحسنة الطيبة ، وبين عليه السلام ذلك بقوله . فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده مع

وتكون في الولد ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في الحر ، قيل : وما

شدة المناسبة والخلطة والمعاشرة بينهما ، وكذا العكس ، ولامدخل للشرافة النسبية في ذلك ولا الكرامة الدنيوية و بينَ ﷺ ذلك بقوله : وتكون في العبد ، « الفخ » .
فان قيل : إذا كانت هذه الصفات من المواهب الربانية فلا اختيار للعباد فيها ، فلا يتصور التكليف بها والمذمة على تركها ؟

قلت : يمكن أن يجاب عنه بوجهين : الأول : أن يكون المراد بالاستطاعة سهولة التحصيل ، لا القدرة والاختيار ، وتكون العناية الالهية سبباً لسهولة الأمر لا التمكّن منه ، الثاني : أن تكون الاستطاعة في المستحبات كإقراء الضيف وإطعام السائل والتذمّم والحياء لا في الواجبات كصدق اللسان وأداء الأمانة .
قوله ﷺ : صدق البأس ، في بعض نسخ الكتاب ومجالس الشيخ وغيره بإلقاء المثناة التحتانية ، وفي بعضها بالباء الموحدة .

فعلى الأول المراد به اليأس عما في أيدي الناس وقصر النظر على فضله تعالى ولطفه ، والمراد بصدقه عدم كونه بمحض الدعوى من غير ظهور آثاره ، إذ قد يطلق الصدق في غير الكلام من أفعال الجوارح ، فيقال : صدق في القتال إذا وفي حقه وفعل على ما يجب وكما يجب ، وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك ، وقد يطلق على مطلق الحسن نحو قوله تعالى : « مقعد صدق » ^(١) و « قدم صدق » ^(٢) .

وعلى الثاني المراد باليأس إما الشجاعة والشدة في الحرب وغيره ، أي الشجاعة الحسنة الصادقة في الجهاد في سبيل الله ، وإظهار الحق والنهي عن المنكر ، أو من اليأس والفقر كما قيل : أريد بصدق اليأس موافقة خشوع ظاهره وإخباته خشوع باطنه وإخباته لا يرى التخشع في الظاهر أكثر ممّا في باطنه ، انتهى .
وهو بعيد عن اللفظ إذ الظاهر حينئذ اليأس بالضم وهو خلاف المضبوط من

(١) سورة القمر : ٥٥ .

(٢) سورة يونس : ٢ .

هن؟ قال: صدق اليأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء الضيف

الرسم، قال في القاموس: اليأس العذاب والشدة في الحرب، يؤس ككرم بأساً فهو بئس شجاع، وبئس كسمع يؤساً اشتدت حاجته، والتباؤس التفافرو أن يرى تخشع الفقراء إخبائاً وتضرعاً، انتهى.

وكانه أخذ من المعنى الأخير ولا يخفى ما فيه، وقال بعضهم: صدق اليأس أي الخوف أو الخضوع أو الشدة والفقر ومنه «البائس الفقير» أو القوة وصدق الخوف من المعصية بأن يتركها، ومن التقصير في العمل بأن يسعى في كماله، ومن عدم الوصول إلى درجة الأبرار بأن يسعى في اكتساب الخيرات، وصدق الخضوع بأن يخضع لله لا لغيره، وصدق الفقر بأن يترك عن نفسه هواها ومتمنياتها، وصدق القوة بأن يصرفها في الطاعات، انتهى.

وفي أكثرها تكلف مستغنى عنه.

«وأداء الامانة» الأمانة ضد الخيانة وما يؤتمن عليه وكانها نعم المال والعرض والسر وغيرها من حقوق الله وحقوق النبي والأئمة عليهم السلام وسائر الخلق، كما قال تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» ^(١) وقد فسرت الأمانة في هذه الآية وغيرها بالودائع والتكاليف، والامامة والخلافة في أخبار كثيرة من بعضها.

وفي النهاية قد تكرر في الحديث ذكر صلة الرحم وهي كناية عن الاحسان الى الأقربين من ذوى النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا وأساؤا، وقطع الرحم ضد ذلك كله، يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلة، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة، فكانت بالاحسان إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر، انتهى.

وشمولها للأصهار لا يخلو من نظر وإن كان حسناً.

«وإقراء الضيف» كذا في نسخ الكتاب وغيره إلا في رواية أخرى رواها الشيخ

و إطفاء السائل و المكافأة على الصنایع و التذمّم للجار و التذمّم للصاحب و رأسهنّ

في المجالس موافقة المضامين لهذه الرواية فإنّ فيها قرى الضيف وهو أظهر و أوفق لما في كتب اللغة ، في القاموس : قرى الضيف قرى بالكسر والقصر ، والفتح والمدّ أضافه و استقرى واقرى وأقرى طلب ضيافة ، انتهى .

مكن قد نرى كثيراً من الابنية مستعملة في الأخبار والعرف العام والخاص لم يتعرّض لها اللغويون ، وقد يقال : الأفعال هنا للتعريض نحو أباغ البعير، وقيل: إقراء الضيف طلبه للضيافة ولم أدر من أين أخذه ، و كأنّه أخذه من آخر كلام الفيروز آبادي، ولا يخفى ما فيه .

واقرى والاطعام إمّا مختصّان بالمؤمن أو بالمسلم مطلقاً كما يدلّ عليه بعض الأخبار وإن كان ياباه بعضها أو الأعمّ منه ومن الكفّار كما اشتهر على الألسن: أكرم الضيف ولو كان كافراً ، وأمّا الحربى فالظاهر العدم، ثمّ هما يتفاوتان في الفضل بحسب تفاوت نيّة القارى أو المطعم و إحتياجهما واستحقاق الضيف أو السائل و صلاحهما ، والغالب إستحبابهما وقد يجبان عند خوف هلاك الضيف والسائل .

والمكافأة على الصنایع أى المجازات على الاحسان ، في القاموس : كافأ مكافاة و كفأً أجازاه ، وفي النهاية : الاصطناع إفتعال من الصنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان ، ولعلّها من المستحبات والآداب لجواز الأخذ من غير عوض لما رواه إسحاق بن عمار قال : قلت له : الرّجل يهدى إلى الهدية يتعرّض لما عندي فأخذها ولا أعطيه شيئاً؟ قال : نعم هي لك حلال ولكن لا تدع أن تعطيه ، وهذا هو الأشهر الأقوى .

و عن الشيخ أنّ مطلق الهبة يقتضى الثواب و مقتضاه لزوم بذله وإن لم يطلبه الواهب وهو بعيد ، وعن أبى الصّلاح أنّ هبة الأدنى للأعلى يقتضى الثواب فيعوض عنها بمثلها ولا يجوز التصرف فيها مالم يعوّض ، والأظهر خلافه .

نعم إن اشترط الواهب على المتهب العوض وعينه لزم وإن أطلق ولم يتفقا على

الحياء .

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ رَسُلَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَاِمْتَحَنُوا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحِدُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَيْرِ**

شيء فالظاهر أنّه يلزم المتّهب مثل الموهوب أو قيمته إن أراد اللزوم ، وهل يجب على المتّهب الوفاء بالشرط أوله التخيير فيه وفي ردّ العين ؟ فيه قولان .

وفي النهاية التذمّم للصاحب هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذمّ الناس له إن لم يحفظه ، وفي القاموس تذمّم استنكف يقال : لولم اترك الكذب تأثماً لتركته تذمّماً ، والحاصل أن يدفع الضرر عمن يصاحبه سراً أو حضراً وعمن يجاوره في البيت أو في المجلس أيضاً ، أو من أجاره وآمنه خوفاً من اللوم والذمّ لكنّه مقيّد بما إذا لم ينته إلى الحميّة والعصبية بأن يرتكب المعاصي لإعائته

في القاموس : الجار المجاور ، والذمّ أجرته من أن يظلم ، والمجير والمستجير والحليف « رأسهن الحياء » لأنّ جميع ما ذكر إنّما يحصل ويتمّ بالحياء من الله أو من الخلق ، فهي بالنسبة إليها كالرأس من البدن ، والحياء إنقباض النفس عن القبايح وتركها لذلك .

الحديث الثاني : موثق وآخره مرسل .

والخلق بالضم ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة ، ومنهما ما تكون خلقية ومنها ما تكون كسبية بالتفكير والمجاهدة والممارسة وتمارين النفس عليها ، فلاينا في وقوع التكليف بها كما أنّ البخل يعطى أولاً بمشقة ومجادلة للنفس ثمّ يكرّر ذلك حتّى يصير خلقاً وعادة له ، والمراد بتخصيص الرّسل بها أنّ الفرد الكامل منها مقصور عليهم أو هم مقصرون عليها دون أضعافها ، فإنّ الباء قد تدخل على المقصور كما هو المشهور وقد تدخل على المقصور عليه ، أو المعنى خصّ الرّسل بانزال المكارم عليهم وأمرهم بتبليغها كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله : **« بَعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »** و اعلموا أنّ

وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها ، قال : فذكر [ها] عشرة : اليقين والفناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة

ذلك من خير « أى من خير عظيم أراد الله بكم أو علم الله فيكم من صفاء طينتكُم أو من عمل خير أو نيّة خير صدر عنكم فاستحققتُم أن يتفضّل عليكم بذلك . أو اعلموا أن ذلك من توفيق الله سبحانه ، ولا يمكن تحصيل ذلك إلاّ به ، أو عدّوه من الخيرات العظيمة أو خصّ رسله من بين سائر الخلق بالنبوة والرّسالة والكرامة بسبب مكارم الاخلاق الثّنى علمها فيهم .

واليقين أعلى مراتب الإيمان بحيث يبعث على العمل بمقتضاه كامر .
والفناعة الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها يقال : قنع يقنع فناعة إذا رضى ، والأظهر عندي أنّها الاكتفاء بما أعطاه الله تعالى و عدم طلب الزيادة منه قليلاً كان أم كثيراً .

و الصبر هو حبس النفس عن الجزع عند المصيبة و عن ترك الطاعة لمشقّتها و عن ارتكاب المعصية لغلبة شهوتها .

و الشكر مكافاة نعم الله في جميع الاحوال باللسان والجنان والأركان .
والحلم ضبط النفس عن المبادرة إلى الانتقام فيما يحسن لا مطلقاً .
و حسن الخلق هو المعاشرة الجميلة مع الناس بالبشاشة و التودّد و التلطّف والا شفاق و احتمال الأذى عنهم .

و السخاء هو بذل المال بسهولة على قدر لا يؤدّي إلى الاسراف في موضعه ، و أفضله ما كان بغير سؤال .

والغيرة الحميّة في الدّين و ترك المسامحة فيما يرى في نساءه و حرمة من القبايح ، لا تغيّر الطبع بالباطل والحمية فيه ، والقتل والضرب بالظنّ من غير ثبوت شيء عليه شرعاً وأمثال ذلك .

و الشجاعة الجرأة في الجهاد مع أعادى الدّين مع تحقّق شرائطه ، والأمر

قال : وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق وأداء الأمانة .
٣ - عنه ، عن بكر بن صالح ، عن جعفر بن محمد الهاشمي ، عن إسماعيل بن

بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومجاهدة النفس والشيطان .
والمرؤة بالهمز وقد يشدد الواو بتخفيف الهمزة هي الانسانية ، وهي صفات
إذا كانت في الانسان يحق أن يسمى إنساناً أو يحق الانسان من حيث أنه إنسان
أن يأتي بها فهو مشتق من المرء فهي من أمهات الصفات الكمالية ، قال في المصباح :
المرؤة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق
وجميل العادات ، انتهى .

و قريب منه معنى الفتوة و يعبر عنهما بالفارسية (بمردى و جوانمردى)
ويرجع اكثر ما يندرج فيه إلى البذل والسخاء وحسن المعاشرة و كثرة النفع للعباد
والايتان بما يعظم عند الناس من ذلك .

و روى الصدوق (ره) في معاني الأخبار بسند مرفوع إلى أبي عبد الله عليه السلام
قال : تذاكرنا أمر الفتوة عنده فقال : أظنن أن الفتوة بالفسق والفجور ! إنما
الفتوة طعام موضوع و نائل مبذول ، و بشر معروف و أذى مكفوف ، و أمّا تلك
فشطارة و فسق ، ثم قال : ما المرؤة ؟ قلنا : لانعلم قال : المرؤة والله أن يضع الرجل خوانه
في فناء داره .

قوله : قال : وروى بعضهم ، الظاهر أن فاعل قال البرقي حيث روى من كتابه ،
و يحتمل ابن مسكان أيضاً ، و على التقديرين قوله : روى ، و « زاد فيها » تنازعا في
الصدق ، فقوله : وزاد فيها تأكيد للكلام السابق لئلا يتوهم أنه أتى بها بدلاً من
خصلتين من العشر تركهما ، فلا بد من سقوط عشرة من الرواية الأخيرة كما في
الرواية الآتية ، أو إبدالها باثنتي عشرة ، و يحتمل أن يكون المراد بقوله : وزاد فيها
أنه زاد في اصل العدد أيضاً بما ذكرنا من الابدال والله أعلم بحقيقة الحال .

الحديث الثالث : ضعيف .

عَبَادُ قَالَ بَكَرَ : وَأُظْنِنِي قَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : إِنَّ النَّحْبَ مِنْ كَانَ عَاقِلًا ، فَهَمًّا ، فَقِيهًا ، حَلِيمًا ، مَدَارِيًّا ، صَبُورًا ، صَدُوقًا ، وَفِيًّا . إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا ،

وقد مرّ تفسير العقل في أوّل الكتاب والأظهر هنا أنّه ملكة للنفس يدعو إلى إختيار الخير والنافع واجتناب الشرور والمضارّ ، وبها تقوى النفس على زجر الدّواعي الشهويّة والغضبّيّة والوساوس الشيطانيّة .

والفهم هو جودة تهيهؤ الذهن لقبول ما يرد عليه من الحقّ وينتقل من المبادئ إلى المطالب بسرعة ، والفقه العلم بالأحكام من الحلال والحرام وبالأخلاق وآفات النفوس وموانع القرب من الحقّ ، وقيل : بصيرة قلبيّة في أمر الدين تابعة للعلم والعمل ، مستلزم للخوف والخشية ، وقال الراغب : الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، فهو أخصّ من العلم ، قال تعالى : « فما اهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » ^(١) « بأنهم قوم لا يفقهون » ^(٢) إلى غير ذلك من الآيات .

والفقه العلم بأحكام الشريعة يقال : فقه الرّجل إذا صار فقيهاً ونفقّه إذا طلبه ، فتخصّص به ، قال تعالى : « ليتفقّهُوا في الدّين » ^(٣) والمداواة الملائمة والملاينة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم وقد يهمز قال في القاموس : درأه كجعل دفعه ودرأته وداريته دافعته ولاينته ضدّ ، وفي النهاية فيه : كان لا يداری ولا يمارى ، اى لا يشاغب ولا يخالف ، وهو مهموز فأما المداواة في حسن الخلق والصّحبة فغير مهموز وقد يهمز ، انتهى .

والوفيّ الكثير الوفاء بعهود الله وعهود الخلق ، وهو قريب من الصّدق ملازم له كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : الوفاء توأم الصّدق ويؤمى الحديث إلى التحريض

(١) سورة النساء : ٧٨ .

(٢) سورة الانفال : ٦٥ .

(٣) سورة التوبة : ١٢٢ .

قال : قلت : جعلت فداك وما هن؟ قال : هن الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصديق الحديث وأداء الأمانة .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل ارتضى لكم الإسلام ديناً ، فأحسنوا صحبتته بالسخاء وحسن الخلق .

٥ - علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله

علي محبة الموصوف بالصفات المذكورة ، واختيار مصاحبتهم .

والورع قريب من التقوى بل أخص منها بعض معانيها ، فإنه يعتبر فيه الكف عن الشبهات بل المكروهات وبعض المباحات ، قال في النهاية فيه : ملاك الدين الورع ، الورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرّج منه ، ثم استعير للكف عن المباح والحلال .

والبر هو الاحسان بالوالدين والأقربين بل بالناس أجمعين ، وقد يطلق على جميع الأعمال الصالحة والخيرات .

الحديث الرابع : مرسل .

«ارتضى لكم الاسلام» إشارة إلى قوله تعالى : «ورضى لكم الاسلام ديناً»^(١) ولما ورد في الأخبار المتواترة أن الآية نزلت بعد نصب أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة فالخطاب في الرواية متوجه إلى الشيعة لأنهم الذين قبلوا الولاية «فأحسنوا صحبتهم» شبه الاسلام برجل صالح يصاحبه المؤمن فإن أحسن صحبتهم لازمه وإلا فارقته ففيه إشعار بأنه إذا ترك هاتين الخصلتين لا يؤمن أن يفارقه الاسلام فيدل على أن للأعمال الحسنة والأخلاق الجميلة مدخلا في رسوخ الاسلام والايمان وثباتهما وكما لهما .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : الْإِيمَانُ أَرْبَعَةٌ أَرْكَانٌ : الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَتَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ .

٦- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي ، عن عبد الله بن سنان ، عن رجل من بني هاشم قال : أُرْبِعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كِبَالُ إِسْلَامِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى قَدَمِهِ خَطَايَا لَمْ تَنْقُصْهُ : الصَّدْقُ وَالْحَيَاءُ وَحَسَنُ الْخُلُقِ وَالشُّكْرُ .

٧- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، جَمِيعاً عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ ، عَنْ ابْنِ رِثَابٍ ، عَنْ أَبِي حِزَّةٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِنْ مِنْ خَيْرٍ

« الْإِيمَانُ أَرْبَعَةٌ أَرْكَانٌ » أَيْ مَرَكَبٌ مِنْهَا أَوَّلُهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ فَكَأَنَّهُ عَيْنُهَا وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ تِلْكَ الدَّعَائِمِ وَسَيَأْتِي أَيْضاً إِنْشَاءُ اللَّهِ .

الحديث السادس : ضعيف على المشهور .

وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْرَ هَكَذَا لَشِدَّةِ التَّقِيَّةِ ، أَوْ الرَّجُلِ رَادٍ وَضَمِيرٌ قَالَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَالْحَدِيثُ مُضْمَرٌ ، وَالْخَبَرُ مَرْوًى بِسَنَدٍ آخِرٍ عَنْ أَبِي وَلَادٍ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَسَيَأْتِي فِي بَابِ حَسَنِ الْخُلُقِ .

« أَرْبِعٌ » أَيْ أَرْبَعُ خِصَالٍ « لَمْ تَنْقُصْهُ » ضَمِيرُ الْمَفْعُولِ رَاجِعٌ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ إِلَى الْمَوْصُولِ أَيْ لَمْ يَنْقُصْهُ شَيْئاً مِنَ الْإِسْلَامِ ، قِيلَ : أَيْ يَوْفَقُهُ اللَّهُ لِلتَّوْبَةِ بِسَبَبِ تِلْكَ الْخِصَالِ فَلَا يَنْقُصْهُ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، مَعَ أَنَّ حَصُولَ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَوْجِبُ تَرْكَ أَكْثَرِ الْمَعَاصِي وَيَسْتَلْزِمُهُ .

الحديث السابع : حسن كالصحيح .

« بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ » بِمَا يَتَوَهَّمُ التَّنَافِي بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ : مِنْ خَيْرِ رِجَالِكُمْ ، وَاجْتِبَاءُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الصَّنْفِ ، وَبِالثَّانِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ أَوْ الْحَصْرِ فِي الْأَوَّلِ إِضَافِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يَوْجَدْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ ، دُونَ الْخَيْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَأَقُولُ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ ذِكْرَ الْكُلِّ ثُمَّ اكْتَفَى بِذِكْرِ الْبَعْضِ ،

رجالكم النقي^١، النقي^٢ . السمع الكفّين ، النقي^٣ الطرفين البر^٤ بوالديه ولا يلجىء

أو المراد أن المتّصف بكل من الصفات المذكورة من جملة الخير ، أو المراد بقوله بخير رجالكم ببعضهم بقرينة الأخير ، ومرجه إلى بعض الوجوه المتقدمة «النقي» أى من الشرك وما يوجب الخروج من الايمان أو من سائر المعاصي أيضاً ، فقوله : النقي^١ الطرفين ، تخصيص بعد التعميم أو المراد به الاحتراز عن الشبهات ، و «النقي» التنظيف الطاهر من الأوساخ الجسمانية والأدناس النفسانية من رذائل العقائد والأخلاق .

«السمع الكفّين» قال في النهاية : سمع وأسمع إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء ، انتهى .

والاسناد إلى الكفّين لظهور العطاء منهما ، والتثنية للمبالغة أو إشارة إلى عطاء الواجبات والمندوبات .

«النقي» الطرفين أى الفرج عن الحرام والشبهة ، واللسان عن الكذب والخناء والافتراء والفحش والغيبة وسائر المعاصي ، وما لا يفيد من الكلام ، أو الفرجين أو الفرج والفم عن أكل الحرام والشبهة ، أو المراد كريم الأيوين والأوّل أظهر ، قال في النهاية : طرفا الإنسان لسانه وذكره ، ومنه قولهم : لا يدري أى طرفيه أطول ، وفيه : وما أدري أى طرفيه أسرع ، أراد حلقه ودبره أى أصابه القى والإسهال ، فلم أدر أيتهما أسرع خروجاً من كثرته ، انتهى .

والمعنى الثالث أيضاً حسن لما روى عن النبي ﷺ أن أكثر ما يدخل النار الأجوفان ، قالوا : يا رسول الله وما الأجوفان ؟ قال : الفرج والفم أيضاً قرئوا في أخبار كثيرة في بيان المهلكات بين شهوة البطن والفرج ، وروى في معانى الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : من ضمن لى ما بين لجييه وما بين رجله ضمنت له الجنة ، وحمله الأكثر على المعنى الأوّل ، قال الصدوق (ره) : يعنى من ضمن لى لسانه وفرجه

عياله إلى غيره .

﴿باب فضل اليقين﴾

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن
المثنى بن الوليد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس شيء إلا وله حد .

وأسياب البلايا تنفتح من هذين العضوين ، انتهى .

« ألبير » بوالديه « أي المحسن إليهما والمطيع لهما والمتحرى لمحابهما » ولا
يلجئ عياله إلى غيره « أي لم يضطروهم لعدم الانفاق عليهم مع القدرة عليه إلى السؤال
عن غيره ، يقال : ألجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف أي اضطررته وأكرهته .

باب فضل اليقين

الحديث الاول : ضعيف على المشهور معتبر .

وقال المحقق الطوسي (ره) في أوصاف الأشراف : اليقين إعتقادٌ جازم مطابق
ثابت لا يمكن زواله ، وهو في الحقيقة مؤلف من علمين العلم بالمعلوم ، والعلم بأن
خلاف ذلك العلم محال ، وله مراتب ، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

وقال قدس سره في بعض مصنفاته إن مراتب المعرفة مثل مراتب معرفة النار
مثلاً فإن أدناها من سمع أن في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه ويظهر أثره في
كل شيء يحاذيه ، وأي شيء أخذ منه لم ينقص منه شيء ، ويسمى ذلك الموجود
ناراً ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدقوا بالدين من
غير وقوف على الحجة ، وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أنه
لا بد من مؤثر فحكم بذات لها أثر هو الدخان ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله
تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا باليهن القاطعة على وجود
الصانع ، وأعلى منها مرتبة من أحس بحرارة النار بسبب مجاورتها وشاهد الموجودات

قال : قلت : جعلت فداك فما حدُّ التوكُّل ؟ قال : اليقين ، قلت : فما حدُّ اليقين ؟ قال : ألاَّ تخاف مع الله شيئاً .

٢ - عنه ، عن معلى ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد الحنّاط وعبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من صحّة يقين المرء المسلم

بنورها وانتفع بذلك الأثر .

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه معرفة المؤمنين الخالص الذين اطمانت قلوبهم بالله وتيقنوا أنّ الله نور السماوات والأرض كما وصف به نفسه، وأعلى منها مرتبة من احترق بالنار بكليته وتلاشى فيها بجملته ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله وهو الدرجة العليا والمرتبة القصوى رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها بمنته وكرمه ، انتهى .

والمراد بالحدّ هنا إمّا علامته أو تعريفه أو نهايته ، فعلى الأوّل المعنى أنّ علامة التوكُّل اليقين ، وعلى الثاني تعريف له بلازمه ، وعلى الثالث المعنى أنّ التوكُّل ينتهي الى اليقين فأنّه إذا تمرّن على التوكُّل وعرف آثاره حصل له اليقين بأنّ الله مدبّر أمره وأنته الضارّ النافع ، وكذا الفقرة الثانية تحتمل الوجوه المذكورة وعدم الخوف من غيره سبحانه لا ينافي التقيّة وعدم القاء النفس الى التهلكة إطاعة لأمره تعالى فإنّ صاحب اليقين يفعلهما خوفاً منه تعالى كما أنّ التوكُّل لا ينافي التوسّل بالوسائل والاسباب تبعثاً مع كون الاعتماد على الله تعالى في جميع الامور .

الحديث الثاني له سندان أوّلهما ضعيفٌ على المشهور كالصحيح عندي ، وثانيهما صحيح ، فهما في غاية الصحة والقوّة .

«من صحّة يقين المرء المسلم» أي من علامات كونه يقينه بالله وبكونه مالكا لنفعه وضرّه وقاسماً لرزقه على ما علم صلاح دنياه وآخرته فيه ، وأنّ الله مقلب

أن لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ؛ ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من

القلوب وهي بيده يصرفها كيف يشاء وأن الآخرة الباقية خير من الدنيا الفانية صحيحاً غير معلول ولا مشوب بشكّ وشبهة وأنه واقع ليس محض الدعوى .

« أن لا يرضى الناس بسخط الله » بأن يوافقهم في معاصيه تعالى طلباً لما عندهم من الخراف الدينيّة أو المناصب الباطلة ، ويفتيهم بما يوافق رضاهم من غير خوف أو تقيّة ، ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر من غير خوف ضرر أو عدم تجويز تأثير ، بل لمحض رعاية رضاهم وطلب التقرب عندهم ، أو يأتي أبواب الظالمين ويتذلل عندهم لا لتقيّة تجوّزه ولا لمصلحة جلب نفع لمؤمن أو لدفع ضرر عنه ، بل لطلب ما في أيديهم لسوء يقينه بالله وبراز قيته ، مع أنه يترتب عليه خلاف ما أمله ، كما روى : من أَرْضَى النَّاسَ بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ، أي لا يذمّهم ولا يشكرهم على ترك صلّتهم إياه بالمال وغيره فإنّه يعلم صاحب اليقين أن ذلك شيء لم يقدره الله له ولا يرزقه إياه لعدم كون صلاحه فيه مطلقاً أو في كونه بيد هذا الرّجل وبتوسطه بل يوصله إليه من حيث لا يحتسب فلا يلوم أحداً بذلك لأنّه ينظر إلى مسبب الأسباب ولا ينظر إليها ولا يعترض على الله فيما فعل به .

وهذا اللّوم يتضمّن نوعاً من الشرك حيث جعلهم الرّازق والمعطى مع الله وسخطاً لقضاء الله والموفق بريء منهما ، فضمير يؤته راجع إلى المرء المسلم ، وعائد « ما » محذوف بتقدير إياه .

وقيل : يحتمل أن يكون المراد أنّه لا يلومهم على ما لم يؤته الله إياهم فإن الله خالق كلّ أحد على ما هو عليه وكلّ ميسر لما خلق له فيكون كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحد أحداً .

الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ، ثم قال : إن الله بعدله وقسطه جعل

ولا يخفى بعده لاسيما بالنظر الى التعليل بقوله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص أي الرزق الذي قدره الله للانسان لا يحتاج في وصوله الى حرص بل يأتيه بأدني سعي أمر الله به « ولا يردّه » هذا الرزق « كراهة كاره » لرزق نفسه لقلته أو للزهد ، أو كاره لرزق غيره حسداً ، ويؤكد الأول : ولو أن أحدكم « الخ » وهذا يدل على أن الرزق مقدّر من الله تعالى ويصل إلى العبد ألبتة .

وفيه مقامان : الأول : أن الرزق هل يشمل الحرام أم لا ؟ فالمشهور بين الامامية والمعتزلة الثاني ، وبين الأشاعرة الأول قال الرازي في تفسير قوله تعالى : « وممّا رزقناهم ينفقون » ^(١) الرزق في كلام العرب الحظ وقال بعضهم : كل شيء يؤكل أو يستعمل ، وقال آخرون : الرزق هو ما يملك ، وأمّا في عرف الشرع فقد اختلفوا فيه فقال أبو الحسن البصري : الرزق هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء والحظر غير أن يمنعه من الانتفاع به فاذا قلنا رزقنا الله الأموال فمعنى ذلك أنه مكنتنا من الانتفاع بها والمعتزلة لما فسروا الرزق بذلك لا جرم قالوا : الحرام لا يكون رزقاً وقال أصحابنا : الحرام قد يكون رزقاً .

حجة الأصحاب من وجهين : الأول : أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب على ما بيناه فمن انتفع بالحرام فذلك الحرام صار حظاً ونصيباً له ، فوجب أن يكون رزقاً له ، الثاني : أنه تعالى قال : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » ^(٢) وقد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة فوجب أن يقال : أنه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئاً .

وأما المعتزلة فقد احتجوا بالكتاب والسنة ، والمعنى ، أمّا الكتاب فوجوه

(١) سورة البقرة : ٣ .

(٢) سورة هود : ٦ .

الرَّوْحَ والرَّاحَةَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ .

أحدها : قوله تعالى : « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » ^(١) مدحهم على الانفاق ممّا رزقهم الله تعالى فلو كان الحرام رزقاً لوجب أن يستحقّوا المدح إذا أنفقوا من الحرام وذلك باطل بالاتفاق، وثانيها. لو كان الحرام رزقاً لجاز أن ينفق الغاصب منه لقوله تعالى : « وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ » ^(٢) وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق منه بل يجب عليه رده ، فدلّ على أن الحرام لا يكون رزقاً ، وثالثها : قوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذْنٌ لَكُمْ » ^(٣) فبيّن أن من حرم رزق الله فهو مشتر على الله ، فثبت أن الحرام لا يكون رزقاً .

وأما السنة فما رواه أبو الحسين في كتاب الغرر بإسناده عن صفوان بن أمية قال : كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمرو بن مرّة فقال : يا رسول الله إن الله كتب على الشقوة فلا أراني أرزق إلاّ من دفتى بكفتى فاذن لي في الغناء من غير فاحشة ؟ فقال ﷺ : لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة ، كذبت أي عدوّ الله لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، أما إنك لو قلت بعد هذه النبوة شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً .

وأما المعنى فهو أن الله تعالى منع المكلف من الانتفاع به وأمر غيره بمنعه من الانتفاع به ، ومن منع من أخذ شيء والانتفاع به لا يقال أنه رزقه إياه ، ألا ترى أنه لا يقال : أن السلطان رزق جنده مالاً وقد منعهم من أخذه .

الثاني : أن الرزق هل يجب على الله إيصاله من غير سعي وكسب ، أم لا بد من الكسب والسعي فيه ؟ ظاهر هذا الخبر وغيره الأوّل ، وقد روى في النهج عن أمير المؤمنين

(١) سورة البقرة : ٣ .

(٢) سورة المنافقون : ١٠ .

(٣) سورة يونس : ٥٩ .

٣ - ابن محبوب ، عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين .

عليه السلام أنه قيل له عليه السلام : لو سدَّ على رجل باب بيت وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه ؟ فقال عليه السلام : من حيث يأتيه أجله ، وظاهر كثير من الأخبار الثاني ، وسيأتي تمام الكلام فيه في كتاب المكاسب إنشاء الله تعالى .

قوله عليه السلام : وقسطه ، العطف للتفسير والتأكيد ، وكذا الراحة ، والروح راحة القلب وسكونه عن الاضطراب ، والراحة فراغ البدن وعدم المبالغة في الاكتساب « في اليقين » برازقته سبحانه ولطفه وسعة كرمه ، وأنه لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم ، وأنه لا يصل إلى العباد إلا ما قدر لهم « والرضا » بما يصل من الله إليه وهو نمرة اليقين ، والحزن بالضم والتحريك أيضاً إمّا عطف تفسير للمهم أو المهم اضطراب النفس عند تحصيله والحزن جزعها و اغتمامها بعد فوائده « في الشك » أي عدم اطمينان النفس بما ذكر في اليقين « والسخط » وعدم الرضا بقضاء الله المترتب على الشك .

ونعم ما قيل :

و الصبر في حكم القضا

ما العيش إلا في الرضا

إلا على جمر الغضا ^(١)

ما بات من عدم الرضا

الحديث الثالث : صحيح .

و ابن محبوب معلق على ثاني سندی الخبر السابق ، ويدل على أن لكماز اليقين وقوة العقائد مدخلا عظيماً في قبول الأعمال وفضلها بل لا يحصل الاخلاص الذي هو روح العبادة وملاكمها إلا بها ، وكأن قيد الدوام معتبر في الثاني ايضاً ليظهر مزيد فضل اليقين ، ويحتمل أن يكون حذف قيد الدوام في الثاني للاشعار بأن إحدى

(١) الجمر : النار المتقدة ، والغضا شجر خشبه من أصلب الخشب و جمره يبقى زمناً

٤ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه على المنبر : لا يجد أحد [كم] طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

ثمرات اليقين دوام العمل فإنّ اليقين الذى هو سببه لا يزول بخلاف العمل الكثير على غير يقين فانه غالباً يكون متفرّعاً على غرض من الأغراض تبدل سريعاً ، أو ايمان ناقص هو بمعرض الضعف و الزوال على نهج قول أمير المؤمنين عليه السلام : قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه .

الحديث الرابع : ضعف على المشهور .

قوله عليه السلام : طعم الايمان ، قيل : إن فيه مكنية وتخييلية حيث شبه الايمان بالطعام في أنه غذاء للروح به ينمو و يبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن . قوله عليه السلام : لم يكن ليخطئه يحتمل أن يكون من المعتل أى يتجاوزه ، أو من المهموز أى لا يصيبه كما يخطئ السهم الرمية .

قال الراغب : الخطاء العدول عن الجهة وذلك أضرب : أحدها : أن يريد غير ما يحسن ارادته فيفعله ، والثانى : أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد ، وهذا قد أصاب في الارادة و أخطأ فى الفعل ، والثالث : أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطئ في الارادة و مصيب في الفعل ، فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله ، و جملة الأمر أن من أراد شيئاً و اتفق منه غيره يقال : أخطأ ، وإن وقع منه كما أراده يقال : أصاب ، وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد ارادة لا تنجمل أنه أخطأ .

وقال الجوهرى في المعتل قولهم في المعتل : إذا دعوا للانسان خطا عنه السوء أى دفع عند السوء وتخطئته تجاوزته ، وتخطئيت رقاب الناس وتخطئيت إلى كذا ، ولا تقل تخاطئت .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لاتقعد تحت هذا الحائط ، فإنه معور فقال أمير المؤمنين

وفي المصباح : الخطأ مهموزاً ضد الصواب يقصر ويمد ، وهو اسم من أخطأ فهو مخطيء ، قال أبو عبيدة : خطيء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد ، وقال غيره : خطأ في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً أو كان غير عامداً ، وأخطأ الحق بعد عنه ، وأخطأه السهم تجاوزه ولم يصبه ، وتخفيف الرباعي جائز . وقال الزمخشري في الأساس في المهموز : ومن المجاز لن يخطئك ما كتب لك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وقال في المعتل : ومن المجاز تخطأه المكره ، انتهى .

وأقول : فظهر أن الهمزة أظهر ، وحاصل المعنى أن ما أصابه في الدنيا كان يجب أن يصيبه ولم يكن بحيث يتجاوزه إذا لم يبالغ السعي فيه ، وما لم يصبه في الدنيا لم يكن يصيبه إذا بالغ في السعي ، أو المعنى أن ما أصابه في التقدير الازلي لا يتجاوزه وإن قصر في السعي وكذا العكس ، وهذا الخبر بظاهره مما يؤهم الجبر ، ولذا أوّل وخصّ بما لم يكلف العبد به فعلاً وتركاً ، أو بما يصل إليه بغير اختياره من النعم والبلايا ، والصحة والمرض وأشباهها ، وقد أوردنا الكلام في أمثاله في كتاب العدل [من البحار] .

الحديث الخامس : حسن كالصحيح .

«فاته معور» على بناء الفاعل من باب الافعال أي ذو شقّ وخلل يخاف منه ، أو على بناء المفعول من التفعيل أو الأفعال أي ذو عيب ، قال في النهاية : العوار بالفتح العيب وقد يضم ، والعورة كل ما يستحي منه إذا ظهر ، وفيه رأيته وقد طلع في طريق معورة ، أي ذات عورة يخاف فيها الضلال والانقطاع ، وكلّ عيب وخلل في

صلوات الله عليه : حرس امرأاً أجله فلماً قام سقط الحائط ، قال : وكان أمير المؤمنين

شيء فهو عورة ، وفي الأساس مكان معورة ذو عورة .

قوله عليه السلام : حرس امرأاً أجله ، إمرأاً مفعول حرس ، وأجله فاعله ، وهذا ممّا استعمل فيه النكرة في سياق الإثبات للعموم ، أى حرس كل إمرأى أجله كقولهم : أنجز حرماً وعد ، ويؤيده ما في النهج أنه قال عليه السلام : كفى بالأجل حارساً ، ومن العجب ما ذكره بعض الشارحين أن إمرأاً مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية والعكس محتمل ، والمقصود الإنكار لأنّ أجل المرء ليس بيده حتّى يحرسه ، انتهى .

و يشكل هذا بأنّه يدلّ على جواز إلقاء النفس إلى التهلكة وعدم وجوب الفرار عما يظنّ عنده الهلاك ، والمشهور عند الأصحاب خلافه .

ويمكن أن يجاب عنه بوجوه : الأول : أنّه يمكن أن يكون هذا الجدار ممّا يظنّ عدم إنهدامه في ذلك الوقت ولكنّ الناس كانوا يحترزون عن ذلك بالاحتمال البعيد لشدة تعلّقهم بالحياة ، فأجاب عليه السلام : بأنّ الأجل حارس ولا يحسن الحذر عند الاحتمالات البعيدة لذلك ، وإنّما يحترز عند الظنّ بالهلاك تبعثاً وهذا ليس من ذلك ، لكنّ قوله عليه السلام : فلماً قام « النح » ممّا يبعد هذا الوجه ويقعده وإنّ أمكن توجيهه .

الثاني : أن يقال : هذا كان من خصائصه عليه السلام وأضرابه ، حيث كان يعلم وقت أجله بأخبار النبي ﷺ وغيره ، فكان يعلم أنّ هذا الحائط لا يسقط في ذلك الوقت وإن كان مشرفاً على الانهدام لعدم الكذب في إخباره ، وأمّا من لم يعلم ذلك فهو مكلف ، بالاحتراز وكون هذا من اليقين لكونه متفرّعاً على اليقين بخبر النبي ﷺ الثالث : أن يقال أنّه من خصائصه عليه السلام على وجه آخر ، وهو أنّه عليه السلام كان يعلم أنّ هذا الحائط لا ينهدم في هذا الوقت ، فلماً علم أنّه حان وقت سقوطه قام

عَلَيْهِ السَّلَامُ هَمَّا يَفْعَلُ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ ، وَهَذَا الْيَقِينُ .

فسقط ، ويؤيده ما رواه الصدوق في التوحيد باسناده عن الاصبع بن نباتة أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عدل من عند حائط مائل الى حائط آخر فقيل له : يا أمير المؤمنين ! تفر من قضاء الله ؟ قال : أفر من قضاء الله إلى قدر الله .

ولعل المعنى أني لما علمت أنه ينهدم وأعلم أن الله قدر لي أجلاً متأخراً عن هذا الوقت فأفر من هذا إلى أن يحصل لي القدر الذي قدره الله لي ، أو المراد بقدر الله أمره وحكمه ، أي إنما أفر من هذا القضاء بأمره تعالى ، أو المعنى أن الفرار أيضاً من تقديره تعالى ، فلا ينالنا في كون الأشياء بقضاء الله تعالى ، الفرار من البلاء ، والسعي لتحقيق ما يجب السعي له فإن كل ذلك داخل في علمه وقضائه ، ولا ينالنا في شيء من ذلك اختيار العبد كما حققناه في محله .

ويؤيد الوجوه كلها ما روى في الخصال باسناده عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال رسول الله ﷺ : خمسة لا يستجاب لهم ، أحدهم رجل مر بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه ... « الخبر » .

الرابع : ما قال بعضهم : التكليف بالفرار مختص بغير الموقن لأن الموقن يتوكل على الله ويفوض أمره إليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز وجل : « أليس الله بكاف عبده » ^(١) وكما قال مؤمن آل فرعون : « وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا » ^(٢) وسر ذلك أن المؤمن الموقن المنتهي إلى حد الكمال لا ينظر إلى الأسباب والوسائط في النفع والضّرر ، وإنما نظره إلى مسببها ، وأما من لم يبلغ ذلك الحد من اليقين فإنه يخاطب بالفرار قضاءً لحق الوسائط .

« وهذا اليقين » أي من ثمرات اليقين بقضاء الله وقدره وقدرته وحكمته ولطفه

(١) سورة الزمر : ٣٦ .

(٢) سورة غافر : ٢٥ .

٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن صفوان الجمال قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما» ^(١) فقال : أما إنه ما كان ذهباً ولا

ورأفته وصدق أنبيائه ورسله .

الحديث السادس : صحيح .

« وأما الجدار » الخ ، هذا في قصة موسى والخضر عليه السلام حيث قال تعالى : «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية» هي أنطاكية وقيل : ايلة بصرة ، وقيل : باجروان أرمنية ، وقيل : هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة ، وهو المروى عن أبي عبد الله عليه السلام «استطعما أهلها» أي سألاهم الطعام «فأبوا أن يضيفوهما» أي لم يضيفوهما أحد من أهلها ، وقال أبو عبد الله عليه السلام : لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما أحداً الى يوم القيامة «فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض» أي أشرف على أن ينهدم استعيرت الإرادة للمشاركة «فأقامه» بعمارته أو بعمود عمد به ، وقيل : مسحه بيده فقام ، وقيل : نقضه وبناء «قال لو شئت لانتخذت عليه أجراً» قيل : هو تحريص على أخذ الجمل ليسداً به جوعتهما ، وقيل : تعريض بأنه فضول .

فلما أراد الخضر فراق موسى عليه السلام بيّن له علل ما فعله حتى قال : «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة» أي في القرية المذكورة «وكان تحته كنز لهما» قال الطبرسي رحمه الله الكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك ، واختلاف في هذا الكنز فقيل : كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد ، قال ابن عباس : ما كان ذلك الكنز إلا علماً ، وقيل : كان كنزاً من الذهب والفضة رواه أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : كان نوحاً من الذهب وفيه مكتوب : عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب ، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجباً لمن رأى الدنيا

فضة وإثما كان أربع كلمات : لا إله إلا أنا ، من أيقن بالموت لم يضحك سنه ، ومن

وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عن ابن عباس والحسن ، وروى ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام ، وفي بعض الروايات زيادة ونقصان ، وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن أن الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال وعلم .

« وكان أبوهما صالحاً » بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصالح أبيهما ، ولم يذكر منهما صالحاً عن ابن عباس ، وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء ، وقال عليه السلام : إن الله ليصلح بصالح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله . « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » قال البيضاوي : أي الحلم وكمال الرأي « ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » أي مرحومين من ربك ، ويجوز أن يكون علة أو مصدراً لأراد ، فإن إرادة الخير رحمة ، وقيل : يتعلق بمحذوف تقديره : فعلت ما فعلت رحمة من ربك ، انتهى .

قوله عليه السلام : ما كان ذهباً ولا فضة ، أقول : يدل على أن الأخبار الواردة بأنه كان من ذهب محمول على التقيسة ، ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أنه لم يكن كونه كنزاً وإدخاره وحفظ الخضر عليه السلام له لكونه ذهباً بل للعلم الذي كان فيه . وإنما اقتصر على هذه الأربع لأن الأولى مشتملة على توحيد الله وتزيهه عن كل ما يليق به سبحانه ، والثانية على تذكر الموت والاستعداد لما بعده ، والثالثة على تذكر أحوال القيامة ، وأحوالها الموجب لعدم الفرح بلذات الدنيا والرغبة في زخارفها ، والرابعة على اليقين بالقضاء والقدر المتضمن لعدم الخشية من غير الله وهي من أعظم أركان الإيمان ومن أمتهات الصفات الكمالية .

« لم يضحك سنه » إنما نسب الضحك إلى السن لاخراج التبسّم فأنه محدوح ،

أيقن بالحساب لم يفرح قلبه ، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله .

٧ - عنه ، عن علي بن الحكم ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الضرر النافع هو الله عز وجل .

٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحررت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع ؟ فقال : نعم ياسعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ

و كان ضحك رسول الله تبسماً ، و قراءته بالنصب بأن يكون المراد بالسن العمر بعيد ، و ظاهر أن تذكر الموت والأهوال التي بعده يصير الإنسان مغموماً مهموماً متهيناً لرفع تلك الأهوال ، فلا يدع في قلبه فرحاً من اللذات يصير سبباً لضحكه ، و كذا اليقين بالحساب لا يدع فرحاً في قلب أولى الألباب ، و كذا من أيقن بأن جميع الأمور بقضاء الله وقدره علم أنه الضرر النافع في الدنيا والآخرة فلا يخشى ولا يرجو غيره سبحانه .

الحديث السابع : صحيح .

« والله هو الضرر النافع » لأن كل نفع و ضرر بتقديره تعالى و إن كان بتوسط الغير و أن النفع و الضرر الحقيقيان منه تعالى ، و أمّا الضرر اليسير من الغير مع الجزاء الكثير في الآخرة فليس بضرر حقيقة ، و كذا المنافع الفانية الدنيوية إذا كانت مع العقوبات الآخروية فهو عين الضرر ، و بالجملة كل نفع و ضرر يعتد به . فهو من عنده تعالى ، و أيضاً كل نفع أو ضرر من غيره فهو بتوقيفه أو خذلانه سبحانه .

الحديث الثامن : حسن .

« في مثل هذا الموضع » فيه تقدير أى تكفى بلبس القميص والإزار من غير

و واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر ، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء .

درع و جنة في مثل هذا الموضع « حافظ » أى ملك حافظ لأعماله و ملائكة واقية له من البلايا دافعة لها عنه كما قال تعالى : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » ^(١) و روى على بن إبراهيم في تفسيرها عن أبى الجاورد عن أبى جعفر عليه السلام « من أمر الله » يقول : بأمر الله من أن يقع فى ركي ^(٢) أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبان، وروى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: إنما نزلت « له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله » . و قال الطبرسى (ره) فى سياق الوجوه المذكورة فى تفسيرها : والثانى أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحولون بينه وبين المقادير عن على عليه السلام ، و قيل : هم عشرة أملاك على كل آدمي يحفظونه من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله أى يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظ ، و قيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه ، و قيل : يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب ، و من الجن و الانس و الهوام ، و قال ابن عباس : يحفظونه مما لم يقدر نزوله ، فإذا جاء المقدر بطل الحفظ ، و قيل : من أمر الله أى بأمر الله ، و قيل : يحفظونه عن خلق الله فمن بمعنى عن ، قال كعب : لولا أن الله و كئل بكم ملائكة يذبتون عنكم فى مطعمكم و مشربكم و عوراتكم لتخطفنكم الجن ، انتهى .

و روى الصدوق (ره) فى التوحيد باسناده عن أبى حيان التميمي عن أبيه و كان مع على عليه السلام يوم صفين و معاوية مستقبلة على فرس له يتأكل تحتها أكلا

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) الركي جمع الركبة : البثر ذات الماء .

٩ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن علي بن أسباط قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : كان في الكنز الذي قال الله عز وجل : « وكان تحته كنز لهما » كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، عجبت لمن أيقن بالمولود كيف يفرح

و علي عليه السلام على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرتجز ويده حربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متقلد سيفه ذا الفقار ، فقال رجل من أصحابه : احترس يا أمير المؤمنين فانا نخشى أن يغتالك هذا الملعون ؟ فقال علي عليه السلام : لئن قلت ذاك إنه غير مأمون على دينه وأنه لأشقى القاسطين وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين ، ولكن كفى بالأجل حارساً ، ليس أحد من الناس إلا و معه ملائكة حفظه يحفظونه من أن يترد في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء ، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه ، وكذلك أنا إذا حان أجلى إنبعث أشقاها مخضب هذه من هذا - و أشار إلى لحيته و رأسه - عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب .

و قيل : التاء في قوله واقية للنقل إلى الاسمية إذ المراد الواقعة من خصوص الموت و قيل : واقية أى جنة واقية كأنها من الصفات الغالبة أو التاء فيها للمبالغة عطف تفسيرى للمحافظ ، انتهى .

وقد مضى الكلام فيه في الحديث الخامس .

الحديث التاسع : ضعيف على المشهور معتبر عندى .

و قوله : كان فيه ، تأكيد لقوله كان في الكنز ، واختلاف الأخبار في المكتوب في اللوح لا ضير فيه لأن الجميع كان فيه واختلاف العبارات للنقل بالمعنى مع أن الظاهر أنها لم تكن عربية وفي النقل من لغة إلى لغة كثير أمّا تقع تلك الاختلافات . فان قلت : الحصر في الحديث السادس بما ينما ينافي بتجوز الزيادة على الأربع ؟ قلت : الظاهر أن الحصر بالاضافة إلى الذهب والفضة مع أن المضامين قريبة ، وإنما التفاوت بالاجمال والتفصيل ، و نسبة التعجب إلى الله تعالى مجاز ، و الغرض الاخبار

وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف
يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه ،

عن ندرة الوقوع أو عدمه .

وقال بعض المحققين : إنما اختلفت ألفاظ الروايتين مع أنهما إخبار عن أمر
واحد لأنهما إنما تخبران عن المعنى دون اللفظ فاعل اللفظ كان غير عربى ،
أما ما يترأى فيهما من الاختلاف في المعنى فيمكن إرجاع إحدهما الى الأخرى
وذلك لأن التوحيد والتسمية مشتركان في الثناء ولعلهما كانا مجتمعين فاكتمفى في
كل من الروايتين بذكر احدهما ، ومن أيقن بالقدر علم أن ما أصابه لم يكن
ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فلم يحزن على ما فاته ولم يخش إلا الله ، ومن
أيقن بالحساب نظر إلى الدنيا بعين العبرة ورأى تقلبها بأهلها فلم يركن إليها فلم
يفرح بما آتاه ، فهذه خصال متلازمة اكتمفى في إحدى الروايتين ببعضها ، وفي الأخرى
بآخر ، وأما قوله : ينبغي... إلى آخره ، فلعلمه من كلام الرضا عليه السلام دون أن يكون من
سلسلة ما في الكنز وعلى تقدير أن يكون من جملة ذلك فذكره في إحدى الروايتين
لأينا فى السكوت عنه فى الأخرى ، انتهى .

«من عقل عن الله» أى حصل له معرفة ذاته وصفاته المقدسة من علمه وحكمته
ولطفه ورحمته ، أو أعطاه الله عقلاً كاملاً أو علم الأمور بعلم ينتهى إلى الله بأن أخذه
عن أنبيائه وحججه عليهم السلام إما بلا واسطة أو بواسطة ، أو بلغ عقله إلى درجة يفيض
الله علومه عليه بغير تعليم بشر ، أو تفكر فيما أجرى الله على لسان الأنبياء والأوصياء
وفيما أراه من آياته في الآفاق والأفئس وتقلب أحوال الدنيا وأمثالها ، والثانى أظهر
لقول الكاظم عليه السلام لهشام : ياهشام ما بعث الله أنبيائه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن
الله ، وقال أيضاً : انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه
على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها فى قلبه .

« أن لا يتهم الله فى قضائه » بأن يظن أن ما لم يقدره الله له خير مما قدر له ،

فقلت : جعلت فداك اريد أن أكتبه قال : فضرب والله يده إلى الدواة ليضعها بين يدي ، فتناولت يده ، فقبلتها وأخذت الدواة فكتبته .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن عبد الرحمن العرزمي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان قنبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف ، فرآه ذات ليلة فقال : يا قنبر مالك ؟ فقال : جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال : ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض ؟! فقال : لا ، بل من أهل الأرض فقال :

أو يفعل من السعي والجزع ما يوهم ذلك «ولا يستبطئه» أي لا يبعده بطيئاً «في رزقه» إن تأخر بأن يعترض عليه في الإبطاء بلسان الحال أو المقال ، ويدل على رجحان كتابة الحديث وعدم الاتكال على الحفظ .

الحديث العاشر : مجهول .

وقنبر كان مولى أمير المؤمنين عليه السلام ومن خواصه وقتله الحجاج لعنه الله على حبه عليه السلام ، روى الكشي باسناده عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أن قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام أدخل على الحجاج بن يوسف فقال : ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب عليه السلام قال : كنت أؤصيه فقال له : ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟ فقال : كان يتلو هذه الآية : «فلما نبوا ما ذكر رآه فتحنأ عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» ^(١) فقال الحجاج : أظنّه كان يتأولها علينا ؟ قال : نعم ، فقال : ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك ؟ قال : إذا أسعدت شقي ، فأمر به . قوله عليه السلام : فإذا خرج ، روى أنه عليه السلام كان يخرج في أكثر الليالي إلى ظهر الكوفة فيعبد الله هناك .

إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ فَارْجِعْ ، فَارْجِعْ .
 ١١- عليُّ بنُ إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن مَنْ ذَكَرَهُ قَالَ : قِيلَ
 لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَالسَّيْفُ يَقْطُرُ دَمًا ! فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَادِيًا مِنْ
 ذَهَبٍ ، سَمَاءٌ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمْلُ ، فَلَوْ رَامَهُ الْبُخَاتِيُّ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ .

«إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ» إِنَّمَا نَسَبَ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّ التَّقْدِيرَاتَ فِيهَا ، وَالْإِذْنَ
 بِالتَّخْلِيَةِ كَمَا مَرَّ .

الحديث الحادى عشر : مرسل .

«بِهَذَا الْكَلَامِ» أَيْ بَدَعُوا الْأَمَامَةَ «وَالسَّيْفُ» أَيْ سَيْفُ هَارُونَ «يَقْطُرُ» عَلَى بِنَاءِ
 الْمَعْلُومِ مِنْ بَابِ نَصَرٍ وَ«دَمًا» نَمِيزٌ ، وَكَوْنُهُ مِنْ بَابِ الْأَفْعَالِ وَدَمًا مَفْعُولًا بَعِيدٌ ، وَفِي
 الْقَامُوسِ : الْبُخْتُ بِالضَّمِّ الْأَبْلُ الْخَرَّاسَانِيَّةُ كَالْبُخْتِيَّةِ . وَالْجَمْعُ بُخَاتِي وَبُخَاتِي وَبُخَاتٍ ،
 أَنْتَهَى .

وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُرُورِ أَنَّ عَسْكَرَ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعٍ فَنَظَرُوا عَنْ
 جَانِبِ الطَّرِيقِ إِلَى وَادٍ بُلُوحٍ مِنْهَا ذَهَبٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَيْهَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ نَعْلٌ
 كَثِيرٌ كَالْبَغَالِ فَقَتَلَتْ أَكْثَرَهُمْ .

إلى هنا تمّ الجزء السابع - حسب تجزئتنا - ويليه الجزء الثامن - إنشاء الله تعالى - وأوله « باب الرضاء بالقضاء » وكان الفراغ منه في الثامن والعشرين من شهر شوال الحكرم سنة ١٣٩٦ . والحمد لله أولاً وآخراً .

و أنا العبد المذنب الفاني
السيد هاشم الرسولي المحلاتي

الفهرست

عدد الاحاديث	العنوان	رقم الصفحة
	كتاب الايمان و الكفر	
٧	باب طينة المؤمن و الكافر	٢
٣	« آخر منه و فيه زيادة وقوع التكليف	١٦
٣	« آخر منه	٢٢
٣	« ان رسول الله أول من أجاب وأقرّ الله عز وجل بالربوبية	٣٢
١	« كيف أجابوا و هم ذرّ	٣٦
٥	« فطرة الخلق على التوحيد	٥٣
٢	« كون المؤمن في صلب الكافر	٦٤
١	« اذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن	٦٦
٣	« في ان الصبغة هي الاسلام	٦٨
٥	« في أن السكينة هي الايمان	٧١
٦	« الاخلاص	٧٣
٢	« الشرايع	٨٩
١٥	« دعائم الاسلام	١٠٠
٦	« ان الاسلام يحقن به الدم	١٢٠

رقم الصفحة	العنوان	عدد الاحاديث
١٥١	باب أن الإيمان يشرك الإسلام ولا عكس	٥
١٥٩	» آخر منه	٣
٢١٣	» في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها	٨
٢٦٩	» السبق إلى الإيمان	١
٢٧٢	» درجات الإيمان	٢
٢٧٧	» آخر منه	٤
٢٨٦	» نسبة الإسلام	٣
٢٩١	» خصال المؤمن	٤
٢٩٨	» - بدون العنوان -	١
٣١٣	» صفة الإيمان	١
٣٢٣	» فضل الإيمان على الإسلام و اليقين على الإيمان	٦
٣٣١	» حقيقة الإيمان و اليقين	٤
٣٣٨	» التفكير	٥
٣٤٣	» المكارم	٧
٣٥٣	» فضل اليقين	١١